

ابن الجـــوزى

قدَّسَ الله سِـرَّهُ

آمـين آمـين

حققه وعلق عليـه

محمد إبراهيم سنبـــل

كِتَابٌ قَدْ حَوَى دُرَرًا ... بِعَيْنِ الحُسْنِ مَلْحُوظَة
لِهَذَا قُلْتُ تَنْبِيهًا

الطبعة الأولى
١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م

دار الصحابة للتراث بطنطا
للنشر - والتحقيق - والتوزيع
شارع المديرية - أمام محطة بنزين التعاون
ت : ٣٣١٥٨٧ ص . ب ٤٧٧

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـــة الناشـــر :

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونستهديه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله .

﴿ ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾

[آل عمران : ١٠٢]

﴿ ياأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة . وخلق منها زوجها . وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءً ، واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام . إن الله كان عليكم رقيباً ﴾

[النساء : ١]

﴿ ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً ، يصلح لكم أعمالكم . ويغفر لكم ذنوبكم . ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيما ﴾ .

[الأحزاب : ٧٠-٧١]

ثم أمـا بعد :

فإن أصدق الحديث كتاب الله عز وجل وخير الهدى هدى محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة .

وبعـــد

أخى المسلم .. أخى المسلمة :

كثيراً ما تقسو القلوب وتغفل فتحتاج إلى مايزيل هذه القسوة وتلك الغفلة التى إن تركها الإنسان لران قلبه ... لذلك فقد قمنا بنشر هذا الكتاب بما فيه من مواعظ مؤثرة وآثار طيبة حتى يتذكر بها الغافلون ويتعلم منها الجاهلون . ويتنبه لما فيها العاصون فيتوبون إلى رب العالمين قبل يوم العرض والحساب أمام أحكم الحاكمين .

الناشـــر
أبوحذيفـــة
إبراهـــيم بن محمـــد

بسم الله الرحمن الرحيم

« ترجمة المصنف »

١ – نسبه ومولده :

هو عبدالرحمن بن على بن محمد بن على بن عبدالله بن حمادى بن أحمد ابن محمد بن جعفر الجوزى – نسبة إلى فرضة نهر البصرة – ابن عبدالله بن القاسم ابن النضر بن القاسم بن محمد بن عبدالله ابن عبدالرحمن بن القاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق – رضى الله عنه .

الشيخ الحافظ الواعظ جمال الدين أبوالفرج المشهور بابن الجوزى القرشى التيمى البغدادى الحنبلى ، ولد سنة عشر وخمسمائة ، ومات أبوه وعمره ثلاث سنين وكان أهله تجاراً فى النحاس .

٢ – مكانته العلمية :

كان علامة عصره وإمام وقته برز فى علوم كثيرة وانفرد بها عن غيره وجمع المصنفات الكبار والصغار نحواً من ثلاثمائة مصنف وكتب بيده نحواً من مائتى مجلدة وتفرد بفن الوعظ الذى لم يسبق إليه ولا يلحق شأوه فيه وفى طريقته وشكله وفى فصاحته وبلاغته وعذوبته وحلاوة ترصيعه ونفوذ وعظه وغوصه على المعانى البديعة وتقريبه الأشياء الغريبة فيما يشاهد من الأمور الحسية بعبارة وجيزة سريعة الفهم والإدراك بحيث يجمع المعانى الكثيرة فى الكلمة اليسيرة .

٣ – مؤلفاته :

وله فى العلوم كلها اليد الطولى والمشاركات فى سائر أنواعها من التفسير ، والحديث والتاريخ ، والحساب ، والنظر فى النجوم ، والطب ، والفقه وغير ذلك من اللغة والنحو وله مؤلفات متعددة منها على سبيل المثال :

١ – « زاد المسير فى علم التفسير » .

٢ – « جامع المسانيد » استوعب به غالب مسند أحمد وصحيحى البخارى ومسلم وجامع الترمذى .

٣ – « المنتظم فى تاريخ الأمم من العرب والعجم » فى عشرين مجلداً .

٤ – « العلل المتناهية فى الأحاديث الواهية » .

٥ – « لقط الجمان فى كان وكان » .

٦ – « تلبيس إبليس » .

٧ – « المدهش » .

٨ – « الحدائق لأهل الحقائق » .

٩ – « لقط المنافع » فى الطب .

١٠ – « فنون الأفنان فى علوم القرآن » .

١١ – « المنهل العذب أو الموارد العذاب » فى الوعظ .

١٢ – « أسماء الضعفاء والواضعين » .

١٣ – « الوفا فى فضائل المصطفى » .... الخ .

وله من المصنفات الكثير والكثير مما يضيق هذا المكان عن تعدادها وحصر أفرادها .

٤ – شيوخه :

ابن الحصين ، والقاضى أبوبكر الأنصارى ، وأبوبكر المرزوق وأبوالقاسم الحريرى ، وعلى بن عبدالواحد الدينورى ، وأبوالسعادات المتوكلى ، وأبوغالب ابن البنا ، وأخوه يحيى ، وأبوعبدالله البارع ، وأبوالحسن على ابن أحمد الموحد ، وأبوغالب الماوردى ، وأبوالحسن بن الزاغوانى ، وأبومنصور بن خيرون ، وأبوالقاسم السمرقندى وعبدالوهاب الإنماطى ، وعبدالملك الكروخى ، وأبوالقاسم عبدالله بن محمد الأصبهانى ، وأبوسعد البغدادى ، ويحيى بن الطراح

وإسماعيل ابن أبى صالح المؤذن ، وأبوالقاسم على بن معلى العلوى الهروى الواعظ ، أبومنصور القزاز ، وعبدالجبار بن إبراهيم بن عبدالوهاب بن مندة ، وتفرد بالرواية على طائفة منهم ، كالمتوكل والدينورى .

٥ - تلاميـــذه :

(طلحة - أبوعبدالله بن تيميَّة خطيب حران ،وولده محيى الدين - وسبطه أبوالمظفر الواعظ - والشيخ موفق الدين ، والحافظ عبدالغنى - وابن الدبيثى ، وابن القطيعى ، وابن النجار ، وابن خليل ، وابن عبدالدائم ، والنجيب عبداللطيف الحرَّانى وكثيرون غيرهم .

٦ - وفاتـــــه :

قال سبطه أبوالمظفر : جلس جدى يوم السبت سابع عشر رمضان - يعنى سنة سبع وتسعين وخمسمائة - تحت تربة أم الخليفة المجاورة لمعروف الكرخى ، وكنت حاضراً ، فأنشد أبياتاً قطع عليها المجلس ،

إلى أنْ قال : ثم نزل عن المنبر فمرض خمسة أيام ، وتوفى ليلة الجمعة بين العشائين فى داره بقتطفنا .

وكانت جنازته يوماً مشهوداً ضاق المكان بالناس حتى قيل إنهم لم يستطيعوا أن يصلوا إلى حفرته عند قبر الإمام أحمد إلا بعد وقت طويل وحزن الناس عليه حزناً شديداً وبكوا عليه بكاءً كثيراً ، وباتوا عند قبره طوال شهر رمضان يختمون الختمات بالقناديل والشموع والجماعات .

٧ - ولمزيد من التفصيل عن ترجمة الشيخ فعليك بالرجوع إلى المصادر والمراجع الآتية :

١ - « ذيل طبقات الحنابلة (١/٣٩٩-٤٣٣) رقم ٢٠٥ .

٢ - « وفيات الأعيان (٣/١٤٠-١٤٢) رقم ٣٧٠ .

٣ - « شذرات الذهب (٤/٣٢٩-٣٣١) .
٤ - « الأعلام » للزركلى (٣/٣١٦ ، ٣١٧) .
٥ - « البداية والنهاية » لابن كثير (١٣/٢٨-٣٠) .

« عمــلى فى الكتــاب »

١ - قمت بتخريج الآيات القرآنية وعزوها إلى سورها وموضعها فى المصحف .

٢ - خرجت الأحاديث النبوية الموجودة بالكتاب قدر الطاقة .

٣ - علقت على بعض النصوص التى تحتاج إلى تعليق .

٤ - ترجمت للأعلام المذكورين بالكتاب مع عدم الترجمة لمن اشتهر منهم كالصحابى مثلاً .

٥ - أصلحت ما استطعت من الأخطاء التى ربما يكون قد وقع فيها الناسخ .

٦ - علقت على بعض الآثار التى تخالف الشرع فى مبدأ من مبادئه .

٧ - شرحت بعض الألفاظ الغريبة أو الغامضة التى قد تحتاج إلى تعليق .

٨ - وضعت بعض العناوين التوضيحية لبعض الفقرات لتيسر للقارىء مهمته فى الكتاب ووضعت هذه العناوين بين معكوفتين .

٩ - تداركت ما قد سقط من خلال مقابلة نصوص الكتاب بكتب المؤلف الأخرى كالمدهش والتبصرة وصيد الخاطر وغيرها مما استدركناه نحن حتى يتضح المعنى ولايختل ، ووضعت كل ذلك بين معكوفتين وأوضحت المصدر الذى رجعت إليه فى استدراك السقط .

بين يدى الكتاب

نعم .. « إن من البيان لسحراً » كلمة قالها من لاينطق عن الهوى ﷺ .

فصدقت أيما صدق فى مواعظ إمامنا ابن الجوزى فى هذا الكتاب القيم الذى حوى درراً من الفصاحة والبيان ما يعجز كثير من الفصحاء عن قوله .

أقول – بحق – إن هذا الكتاب القيم – وكل كتب ابن الجوزى – لايستغنى عنه أى عامل فى مجال الدعوة والوعظ والخطابة فهو غزير فى مادته العلمية الضخمة فى أسلوب بديع يدل على تمكن من أساليب البلاغة فتجده يستخدم العبارة الرائقة والإشارة الفائقة والمعانى الدقيقة والاستعارة الرشيقة والكلمات المسجعة ، والمعانى الوادعة فى الألفاظ الشائعة .

أحيانا يقتبس بعض التعبيرات القرآنية فى أساليبه مما يعطى لكلامه نوراً وتأثيراً فى القلوب والعقول قل أن تجده فى غيره .

أحياناً أخرى يستخدم بعض الجمل من الأحاديث النبوية فى أسلوبه مما يحمّل العبارة الواحدة من عباراته المعنى الكثير والكثير ويدل ذلك أيضاً على امتلاكه لثروة حديثية فائقة .

يستخدم السجع البديع غير المتكلف الذى يكاد يخلع القلوب من صدورها وتأثيراً فى القلوب والعقول قل أن تجده فى غيره .

يستخدم الكلمة الواحدة بعدة معانى فى الأسلوب الواحد وأحياناً فى العبارة الواحدة – وهو ما يعرف فى علم العربية بالجناس – مما يثير انتباه القارىء أو السامع لمواعظه .

وقد برع أيّما براعة أيضاً فى استخدامه للاستفهام البلاغى فيستخدم الاستفهام وغرضه التوبيخ ويستخدمه وغرضه التحذير وأحياناً التنبيه وأحياناً التقرير مما يشد انتباه سامعه فيظل مشدوداً إلى كلامه بعقله ولبه معاً ...

إننا لو حاولنا أن نستقصى أسلوب ابن الجوزى وندرسه لأخرجنا من العبارة الواحدة الكثير من آيات الفصاحة والبلاغة لذلك كان تأثيره عظيما فى معاصريه حتى قيل إن أقل عدد حضر له فى مجالسه عشرة آلاف وزادت مجالسه أحياناً على المائة ألف نفس ، وقيل أيضاً إنه يوم مجلسه كانت شوارع بغداد تخلو من المارة وقيل الكثير والكثير فى تأثير مواعظه على معاصريه ...

وقد قسم إمامنا ابن الجوزى هذا الكتاب إلى ثلاثة وثلاثين فصلاً كل فصل يحتوى على عدة مواعظ كل موعظة مؤيدة إما بحديث لرسول الله ﷺ أو بأثر لصحابى أو لأحد التابعين ثم بعد ذلك يتبعها ببيت أو عدة أبيات شعرية حتى تكون أقرب إلى نفوس السامعين لأن النفس غالباً ما تميل إلى الكلام الموزون وتكون أشد تأثراً به – ثم بعد ذلك يتبعها بحكاية لأحد الصالحين سواء كان من الصحابة أو التابعين أو غيرهم من العباد والزهاد على مر التاريخ مما يجعل الموعظة أشد وقعاً فى النفس واستقراراً فى القلب الذى يؤثر بدوره على جوارح الإنسان فيتوب إلى ربه ويسير وفق منهجه ويبتعد عن كل ما يغضب ربه من البدع والضلالات والمنكرات .

ملاحظـة هامـة :

هناك بعض الأمور – التى ذكرت فى ثنايا بعض القصص – نتحفظ عليها ولا نسلم بكل ماجاء فيها وخاصة مايتعارض مع العقل أو النقل مما نص عليه الشارع الكريم مثل ادعاء علم الغيب الذى لاينبغى إلا لله وحده ولا يجب إسناده لأى مخلوق ، ومثل بعض الأمور التى تعتمد على زيف بعض المتصوفة وخيالاتهم التى تخالف منهج السلف الصالح – رضوان الله عليهم أجمعين .

وأخيراً أرجو من الله تبارك وتعالى أن تكون هذه المواعظ تبصرة لمن قرأها من الأخوة الأحباب وتعليماً للأخوة الذين يعملون فى مجال الدعوة والوعظ لتكون لهم نبراساً يسيرون فى ضوئه ومنهلاً يتعلمون منه فى سبيل خدمة الدعوة إلى الله فى كل زمان ومكان..

المحقق

محمـد إبراهيم سنبل

كتاب المواعظ والمجالس

وصف المخطوطة :

عثرنا بفضل الله على مخطوطة هذا الكتاب الطيب فى دار الكتب المصرية تحت رقم ٩٧٦ تصوف وأخلاق .

واسم الكتاب واضح كما هو بالصفحة الأولى ووسمه « هذا الكتاب المواعظ والمجالس ، للعالم العلّامة ابن الجوزى قدس الله سره آمين » .

والكتاب حجمه كبير نسبياً وفى كل ورقة (١٧) سطراً تقريباً ، كل سطر يحتوى على حوالى (٩) كلمات والخط مكتوب بخط نسخى واضح جداً .

وتم نسخها على يد الواثق بالله الغنى أبى العينين الزينى المالكى الأحمدى وهذا واضح فى آخر صفحة بالمخطوط .

هذا كتاب المواعظ
والمجالس للعالم العلامة
ابن الجوزي رحمه الله

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل الموت وعظا لمن وعى الاعتبار وتفرد
بالبقا فاعتبروا يا اولي الابصار واشهد ان لا اله الا
الله وحده لا شريك له الواحد القهار واشهد ان
سيدنا ونبينا محمدا صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله
وحبيبه وخليله صاحب الحوض المورود صلى الله
وسلم عليه ما تعاقب الليل والنهار وعلى اله وصحبه
ارباب التفكر والاستبصار وبعد فهذه مسائل
تتعلق بالتفكر والتدبر فيما اليه يؤول الحال
ليتصل الغافل ويتوصل العاقل الى احسن الخلال وينجي
العاملين بها عملا من سطوات الجلال ويحقق لهم
النزول في ساحة رحاب الجمال فتنبه للعمل بها
فانها نافعة ولمقامك من الحضيض الاوهد الى اوج
المعالي رافعة [illegible] اذ ملنا
تفكر فيما هو فيه من امر الاخرة وعلم ان ما هو فيه

بسم الله الرحمن الرحيم

[مقدمــة المصنــف]

الحمد لله الذى جعل الموت واعظا لذوى الاعتبار ، وتفرد بالبقاء فاعتبروا يا أولى الأبصار ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الواحد القهار ، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمد ﷺ عبده ورسوله وحبيبه وخليله صاحب الفيض المدرار ، ﷺ ما تعاقب الليل والنهار ، وعلى آله وصحبه أرباب التفكر والاستبصار .

وبعـــد . فهذه مسائل تتعلق بالتفكر والتدبر فيما إليه يؤول الحال ، تُبَصِّرِ الغافلَ وتوصِّل الكامل إلى أحسن الخلال ، وتنجى العاملين بها غدا من سطوات الجلال وتضويهم[1] النزول فى ساحة رحاب الجمال ، فتنبه للعمل بها فإنها نافعة ، ولمقامك من الحضيض الأوحد إلى أرج[2] المعالى رافعة .

الفصــل الأول

[إعــراض ملك عن الدنيــا]

حُكى أن ملكا تفكر فيما هو فيه من أمر لايَبْقى فعلم أن ما هو فيه منقطع وأن آخره الموت فانساب من قصره ليلا حتى أتى ساحل البحر فجعل يضرب

---

(١) تضويهم : أى تلجئهم وتأويهم . [لسان العرب (١٤/٤٩٠) مادة ضوا] ط دار صادر .

(٢) أرج : الأرج هو الطيب وربما هنا تصحيف فالصواب (أوج) ويكون المعنى على ذلك : قمة أى أنها ترفع مقامك من الحضيض الى قمة المعالى . [اللسان (٢/٢٠٧-ارج)] ط دار صادر .

اللبِنَ[٣] ويقتات[٤] بيمينه ويعبد الله عز وجل فبلغ ذلك ملكا كان بالقرب منه فبعث إليه رسولا ليستدعيه فأبى أن يأتيه فبعث إليه ثانيةً فأبى أن يأتيه فخرج الملكِ قاصدا إليه فلما رآه الملكُ العابدُ فرَّ منه فتبعه الملكُ وهو يقول : يا عبدالله لا بأس عليك فلم يلتفت إليه فجعل يؤانسه ويلاطفه حتى سكن إليه فقال له : ما حملك على اختيار هذه الأرض ؟ قال : وجدت قلبى فى مفارقة بنى آدم قال : فكيف تصبر على الوحدة ؟ قال : مَنْ أنِسَ بالله استوحش مِنْ سواه قال : فما سبب خروجك من ملكك ؟ قال : ذكرت عاقبة ما أنا فيه ، فرأيتها تؤول إلى الزوال ، فأعرضت عن مايفنى ، وأقبلت على طلب ما يبقى ، وفررت من ذنبى إلى ربى ، فقال الملك : ما أنت أحق منى بالخوف من الله عز وجل ، ثم خلى الملك الثانى سبيل دولته وتبعه ، فكانا يعبدان الله عز وجل وسألا الله تعالى أن يميتهما فى وقت واحد ، فكان كذلك ودُفِنا جميعا .

قال عبدُ الله بن مسعود[٥] : فلو كنت بمصر لأريتكم قبريهما بالنعت الذى نعت لى رسولُ الله ﷺ .

---

(٣) اللبن : طوب يضرب لغرض البناء ويضرب من الطين [لسان العرب (١٣/٣٧٥، مادة : لبن] ط . دار صادر .

(٤) يقتات : أى يأكل أو يرتزق . [لسان العرب (٢/٧٤–قوت)] ذ دار صادر .

(٥) عبدالله بن مسعود : هو عبدالله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلى ، أبوعبدالرحمن ، من السابقين الأولين ، ومن كبار العلماء ، من الصحابة ،مناقبه جمة وأمَّره عمر على الكوفة ومات سنة ٣٢هـ أو فى التى بعدها بالمدينة . [تقريب التهذيب (١/٤٥٠) برقم ٦٣٠] .

شـــعر

[المهيار](٦)

حموا راحةَ النومِ أجفانَهم　　　وأكفوا(٧) على الزفراتِ(٨) الضُّلُوعَا
وأحيوا فؤاداً(٩) ولكنهـم　　　على ملةِ الحُبِّ(١٠) ماتوا جميعَا

[صاحب أهل الدين وصافهم]

يا هـذا(١١) صاحِبْ أهلَ الدين وصافِهم ، واستفد من أخلاقهم وأوصافهم ، واسكن معهم بالتأدب فى دارهم ، وإن عاتبوك فاصبر ودارهم ، إن لم يكن لك مكنة البذر ولم تُطِق مراعاة الزرع فقف على رفقة ، ﴿ **وإذا حضر القسمة أولو القربى** ﴾(١٢) أنت وقت الغنائم نائم ، وقلبك فى شهوات البهائم هائم ، إن صدقت فانهض وبادر ، ولا تستصعب طريقهم فالمعين قادر ، تعرض لمن أعطاهم ، وسل فمولاك مولاهم . رُبَّ كنزٍ وقع به فقير ، ورب فضل فاز به صغير ، عَلِمَ الخِضْرُ ما خفى عن موسى وكشف لسليمان ماغطى عن داود ، لا تحقِر نفسك فالتائب حبيب الله . والمنكسر مستقيم ، إقرارُك بالإفلاس غنى واعترافُك بالخطأ إصابة ، وتنكيسُ رأسك بالندم رِفْعَةٌ .

---

(٦) نسب صاحب المدهش هذين البيتين للمهيار ، وذكر محققه بالهامش أنها من قصيدة كتب بها إلى عميد الكفاة سعد بن عبدالرحيم يهنئه بالنيروز ، أنظر ديوان شعره (٢٢٢/٢-٢٢٦) [المدهش ص٣٨١] .

(٧) فى المدهش (لفوا) (ص ٣٨١) .

(٨) الزفرات : جمع زفرة ، وهى أن يملأ الرجل صدره غماً ثم هو يزفر به [اللسان (٣٢٤/٤ - زفر)] والمعنى أى : لم يبوحوا بغمهم .

(٩) فى المدهش (فرادى) . (المدهش ص ٣٨١) .

(١٠) ذكرت فى المدهش (صيحة البين) .

(١١) ذكرت هذه الموعظة فى المدهش ص (٤٢٨) من قوله (يا هذا صاحب أهل الدين وصافهم .. إلى قوله (وتنكيس رأسك بالندم رفعة) .

(١٢) سورة النساء : الآية : ٨ .

[دار التعب والمجاهدة]

نزول[١٣] آدم إلى دار التعب صعود لا هبوط ، يا آدم لايغرنك قول ﴿ **اهبطوا منها** ﴾[١٤] ففى كل يوم يُنَادَى ألف ألف مرة ﴿ **والله يدعو إلى دار السلام** ﴾[١٥] .

نزل[١٦] آدم إلى دار المجاهدة فظهر من ثمرته صبرُ الخليل وثبوت الذبيح وجهادُ يوسف وكمالُ محمد ﷺ ، ثم جاء الأولياء فى هذه الأمة فخجلت عند زهدهم الرهبنةُ ، لابَلْ سبقوا تَعَبُّدَ الملائكة .

قال بعضهم[١٧] : ما فاتنى وِرْدٌ قط فقدرت على إعادته وذلك أن الزمان الذى يقضى فيه ، فيه وظيفة أخرى .

مصابيح القلوب الطاهرة ، فى أصل الفطرة منيرة ، قبل الشرائع ﴿ **يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار** ﴾[١٨] .

---

(١٣) وردت فى المدهش ٤٩٥ بمعناها فقط ، من قوله (نزول آدم إلى دار التعب ... إلى قول الله تعالى « والله يدعو إلى دار السلام » .

(١٤) سورة البقرة الآية : ٣٨ .

(١٥) سورة يونس الآية : ٢٥ .

(١٦) وردت بالمدهش ٢٠٩ بنصها ، من قوله (نزل آدم إلى دار المجاهدة ... إلى قوله سبقوا تعبد الملائكة) .

(١٧) ورد بالمدهش أن الذى قال ذلك هو (سرى) [مدهش ص ٢٠٩] .

(١٨) سورة النور الآية : ٣٥ .

زُهْدُ أولادِ مَلِكٍ من بنى إسرائيل

قال بكر بن عبدالله[١٩] : بلغنا عن ملك من ملوك بنى إسرائيل أنه كان ذا بنين فكان الولدُ منهم إذا بلغ مبلغَ الرجال لبس الشَّعْرَ ولحق بالعُبَّاد فى الجبال يتعبد حتى يموت فولد له ولد فى آخر عمره فدعا بخاصته وكبراء دولته وقال لهم : قد أحببت هذا المولود وأظن أن أجلى قد دنا وأخشى أن يحوِى هذا المُلْكَ غيرُنا إن لحق بإخوته فخذوه من صغره وحببوا له الدنيا وزخرفها فلعله أن يرغب فى الملك فيكم(*) عليكم بعدى قال : فعمدوا إلى فضاء من الأرض فبنوا له حائطا فرسخ فى فرسخ وجعلوا عنده من كل زينة حسنة وجمعوا له أنواع الملاهى والقيان[٢٠] فلم يزل فى ذلك الموضع حتى بلغ مابلغ إليه إخوته فنظر ذات يوم وقال : أحسب خلف هذا الحائط وجودا وعالما آخر أخْرِجُونى حتى أزداد علما ويقينا فقالوا له : لاشىء إلا ما ترى فأقام حولا ثم ركب وجعل يدور من داخل الحائط ثم قال : أحسب خلف هذا الحائط وجودا وعالما آخر أخرجونى حتى أزداد علما ويقينا فقالوا له : مثل ذلك فقال : لابد من الخروج فأخبروا أباه فقال : أخرجوه فإنا نريد ويأبى الله إلا مايريد .

شــعر

جذب الهوى بعِنَانِه فأطاعَهُ ... وعصى وأفضى لائما ومفنداً

وحلا الغرامُ له وعوَّدَه الهوى ... حمل الضنا فجرى على ماعُوِّدَا

---

(١٩) بكر بن عبدالله : المزنى ، أبوعبدالله البصرى ، ثقة ثبت جليل، من الثالثة، مات سنة ست ومائة .

[حلية الأولياء (٢/٢٢٥) برقم ١٨١] .

[تقريب التهذيب (١/١٠٦) برقم ١١٧] .

(٢٠) القيان : جمع قينة : وهى الأمة صانعة أو غير صانعة وغلب على المغنية . [المعجم الوسيط ٢/٧٧١] ولعل المراد هنا المغنيات .

(*) أظن هذه الكلمة حشو بالسياق .

قال : ففتحوا له الباب فخرج ومعه خواص الملك فبينا هو يسير إذ مَرَّ برجل مبتلى فقال : ما هذا قالوا : رجل مبتلى قال : أيصيب هذا البلاءُ كلَّ الناس أم ناسا دون ناس قالوا : بل يصيب أقواما قَدَّرَه الله عليهم قال : فيعلمه أولئك فَيَعْتَدُّوا[٢١] له أم كل له خائف ؟ قالوا : بل كل له خائف قال : وأنا فيما أنا فيه من سلطانى قالوا : نعم قال : إن عيشكم هذا عيش كدر ليس بصاف .

ثم سار وإذا هو برجل قد أصابه الكبر وأعجزه الهرم[٢٢] ولعابه يسيل على صدره فقال : ما هذا ؟ قالوا : رجل عمر فهرم ، قال : أيصيب هذا ناساً دون ناس أم كلٌّ له خائف إن هو عمر أن يصيبه مثل ذلك ؟ قالوا : بل كل له خائف إن هو عَمَّرَ أن يصيبه مثلُ ذلك قال : إن لعيشكم هذا عيش كدر ليس بصاف ثم سار فإذا هو بسرير تحمله الرجال فقال : ما هذا قالوا : رجل مات قال : أجْلسُوه قالوا : لايجلس قال : كلموه قالوا : لايتكلم قال : أيصيب هذا ناساً دون ناس أم كل له خائف قالوا : هذا مصيرُ الكل خافوا أم لم يخافوا قال : أفمن هذا كنتم تخبؤونى قالوا: هذا لاينجو منه بفرار ولايغلبه ذو قدرة باقتدار فقال : كاد هذا يأتينى بغتة وأنا لا أشعر لاسبيل لكم علىّ بعد هذا اليوم .

شـــعر

خليلَىَّ لا والله ما أنا منكما إذا علم من آل ليلى بداليا[٢٣]

ثم إنه هم بالفرار فأحاطوا به وقالوا : لاندعك حتى تصل إلى إبيك قال : فلما دخلوا على أبيه وأخبروه بالقصة قال لهم : ألم نقل لكم إنا نريد ويأبى الله إلا مايريد خلوا سبيله فلا طمع لكم فيه .

---

(٢١) والمراد : يتهيأوا ويستعدوا .

(٢٢) الهرم : الضعف والشيخوخة [المعجم الوسيط (٢/٩٨٣)] .

(٢٣) ورد هذا البيت فى المدهش ص٢١٤ .

شـــعر

دَعُــوه لا تلومــوه دعــوه فقد عَلِمَ الذى لم تعلمـوه
رأى عَلَمَ الهدى فسَمَى إليه وفـاز بمطـلبٍ لم تطلبـوه
لعَمرى ذاك من فطن لبيب تذوق مطعمـا لم تطعمــوه

[الاســتقامة]

لاحـت للقوم[٢٤] جادة السلوك فقالوا : ﴿ **ربُّنا الله ثم استقاموا** ﴾[٢٥] فركبوا سفنَ العزم ، وهبت لهم رياح العون ، فقطعوا بالعلم لجج[٢٦] الجهل ، فوصلوا إلى إقليم القرب[٢٧] ، وأرسوا[٢٨] على ساحل بلد الوصل .

شـــعر

صافحوا[٢٩] النجم على بُعْدِ المنازل واستظلوا[٣٠] الفيءَ من بردِ الظلالِ
واستذلوا الوعر من أخطارها إنما الأخطـار أثمانُ المعـالى
ركبــوا الصبر[٣١] إليها ربما صحت الأجساد يومًا بالهُزَالِ

---

(٢٤) وردت هذه الموعظة بالمدهش ص١٧٩ ، من قوله (لاحت للقوم جادة السلوك ... إلى قوله على ساحل بلد الوصل) .

(٢٥) سورة فصلت الآية : ٣٠ .

(٢٦) لجج : اللجة هنا بمعنى البحر [اللسان (٣٥٤/٢) لجج] ط . دار صادر

والمعنى أن علمهم قضى على شدة جهلهم أو على بحور جهلهم .

(٢٧) وردت بالمدهش (أرض الفهم) والصواب ما ذكره المدهش ص١٨٠ .

(٢٨) وردت بالمدهش (أرسلوا) المدهش (ص ١٨٠) .

(٢٩) وردت هذه الأبيات فى المدهش (ص ٣٧٠) .

(٣٠) وردت بالمدهش (واستطابوا القيظ) والصواب ماذكره المدهش .

(٣١) كذا بالأصل وردت بالمدهش (الضر) والصواب ما ورد بالأصل .

وجـروا سيفـاً[٣٢] إلى غايـاتها بالصفاح[٣٣] البيض والسمرِ[٣٤] الطّوالِ

إذا[٣٥] وقعت عزيمة الإنابة فى قلب مَنْ سبقت له منا السعادة قلعت قواعد الهدى[٣٦] من أساس[٣٧] الأمل .

تنبيـه لابن أدهـم

ركب[٣٨] إبراهيم بن أدهم[٣٩] يوما للصيد وقد نصب له فخ ﴿ **يهديهم ربهم** ﴾[٤٠] حوله حب (يحبهم)[٤١] فصيد قبل أن يصيد سمع هاتفا يقول : يا إبراهيم ما لهذا خُلقت ولا بهذا أُمرت فيا له من صوت[٤٢] ألقاه عن قرب

---

(٣٢) كذا بالأصل ووردت بالمدهش (يوماً) والصواب ما ذكره المدهش .

(٣٣) كذا بالأصل وورد بالمدهش (بالعوالى) والصواب ما ورد بالأصل .

(٣٤) كذا بالأصل وورد بالمدهش (والقب) والأفضل ما أثبت فى الأصل .

(٣٥) وردت هذه الموعظة بالمدهش (ص١٩٩) من قوله (إذا وقعت عزيمة الإنابة ... إلى قوله (من أساس الأمل) .

(٣٦) كذا بالأصل ووردت بالمدهش (الهوى) .

(٣٧) كذا بالأصل ووردت بالمدهش (مسناة) .

(٣٨) ووردت هذه الحكاية بالمدهش (ص١٩٩ ، ٢٠٠) ، من قوله (ركب إبراهيم ... إلى قوله (من كسب الفقر) .

(٣٩) إبراهيم بن أدهم : إبراهيم بن أدهم بن منصور ، التميمى ، البلخى ، أبوإسحاق : زاهد مشهور . كان أبوه من أهل الغنى فى بلخ فتفقه ورحل إلى بغداد وجال فى العراق والشام والحجاز اشتهر بالزهد والورع والسخاء الوافر . مات ودفن فى سوفنن (حصن من بلاد الروم) سنة ١٦١هـ .

[الأعلام (٣١/١)] .

و[حلية الأولياء (٣٦٨/٧)] .

و[تهذيب التهذيب (١٠٢/١)] .

(٤٠) سورة يونس الآية : ٩ .

(٤١) سورة المائدة الآية : ٥٤ .

(٤٢) فى المدهش (سهم) .

بُوس[٤٣] بؤسه كان رافد إلفهم فى ليل الغفلة مشغولا بأحلام المنا فصيح به قمر فقام ، وقيل له سر فاستقام ، لاح له جَمالُ الآخرة ، فنبت فى النظر عين اليقين ، فتمكن الحُبُّ من حَبِّ[٤٤] القلبِ فقام [يسعى][٤٥] فى [جمع] المهر من كسب الفقر .

كان[٤٧] إبراهيم الأسكندرى[*] كبير الهمة فاحتقر قصر بلخ فى جنب ما أمل فاجتنب سوابق العزم ، فى جبد الحزم وسار فى بيداء الجد ، فى قطع ظلمات الطمع ، فانفرد من جند جوارحه خضر القلب ، فوقع بمعين الحياة فى السر فعاش بالتوفيق أبد الدهر .

شـــعر

أما[٤٩] تقومون كذا أو فاقعدوا ما كل من رام[٥٠] السماء يصعدُ
لو شرُف الإنسان وهو وادع لقطع الصمصام[٥١] وهو مغمد

(٤٣) فى المدهش (قربوسه) بدل (قرب بؤسه) والصواب ما ورد بالمدهش ومعنى قربوس : حنو السّرج أى اعوجاجه [المعجم الوسيط أطّ/٧٢٣ ، ٢٠٤/١) .
(٤٤) كذا بالأصل وبالمدهش (حبة) .
(٤٥) ما بين المعكوفتين سقط استدركناه من المدهش .
(٤٦) سقطت كلمة (جمع) واستدركناها من المدهش .
(٤٧) وردت هذه الحكاية بالمدهش (ص ٢٠١) ، من قوله (كان إبراهيم إسكندرى ... إلى قوله (أبد الدهر) .

(*) بالمدهش (إسكندرى الهمة) وهى الأقرب للصواب نسبة إلى الإسكندر الأكبر أعظم قادة الرومان الذين غزوا بلاد المشرق كلها وصار ملكاً عليها .
(٤٨) كذا بالأصل ووردت فى المدهش (فانتخب) .
(٤٩) ورد هذان البيتان فى المدهش (ص ٢٠١) .
(٥٠) رام : قصد أو طلب أو أراد . [اللسان (٢٥٨/١٢ – روم)] دار صادر .
(٥١) الصمصام : السيف الصارم الذى لاينثنى [اللسان (٣٤٧/١٢ – صمم] دار صادر .

الفصل الثانى

من طلب واجتهد وَجَدَ

ياهذا[٥٢] من طَلَبَ وجَدَّ وجَد ، وليس من سهر كمن رقَد والفضائل تحتاج إلى وثبة أسد ، فيا غائبا عنا وهو حاضر ، أمالك ناظرٌ ناظر ! أما دموع الوجد قد ملأت المحاجر ! ، إن[٥٣] لبدوى لايطربه ذكر حاجر[٥٤] ، لما دارت كؤوس النوم على أفواه العيون ، سكرت بالشراب الألباب ، فطرحت الأجساد على فراش ﴿ **يتوفى الأنفس** ﴾[٥٥] صاحت فصاحة الحب بالمحب ، « كل مسكر حرام »[٥٦] ، فلما نفخ فى صور الأيقاظ ﴿ **ويرسل الأخرى** ﴾[٥٧] قام أموات النوم وقد رحل سفر الوصال ، فلم يروا إلا آثارا فى مَناخ ركائب الأحباب ، ستر القوم قيامهم بالليل فستروا بهم أن يطلع عليهم الغير ، ﴿ **فلا تعلمُ نفسٌ ماأُخفِىَ لهم من قرةِ أعيُن** ﴾[٥٨] لو عاينتهم وقد دارت كؤوس المناجاة بين من أقر[٥٩]

---

(٥٢) هذه الموعظة وردت بكتاب المدهش (ص ٣٠٤ ، ٣٠٩ ، ٤٣١) وردت متفرقة ، من قوله (يا هذا من طلب وجد .. إلى قوله تعالى (تعرفهم بسيماهم) .

(٥٣) كذا بالأصل ووردت بالمدهش (أ ف) .

(٥٤) حاجر : من مسايل المياه ومنابت العشب . [اللسان (١٦٩/٤ حجر)] ط. دار صادر

والمعنى : كيف يمكن لبدوى أن يرى العشب والماء ثم لايطرب .

(٥٥) سورة الزمر — الآية : ٤٢ .

(٥٦) رواه البخارى (٢٠٥/٥) ، (٣٦/٨) ، ومسلم (١٥٨٦/٣ ، ١٥٨٧ ، ١٥٨٨) ، (٧٠ ، ٧٣ ، ٧٤) من باب الأشربة .

(٥٧) سورة الزمر — الآية : ٤٢ .

(٥٨) سورة السجدة — الآية : ١٧ .

(٥٩) (من أقر) كذا بالأصل وورد بالمدهش (مزاهر) .

التلاوة فأسكرت قلب الواجد ، ورقمت فى صائف[٦٠] الوجنات ﴿ **تعرفهم بسيماهم** ﴾[٦١] .

شــعر

احذر إليك فى كل قلب فى أماليه — ساهٍ وعن كل دمعٍ فى مآقيه
ما واجدُ القلبِ فى المعنى كفاقدهِ — وجامدُ الدمع فى البلوى كجارِيه

حكايــة عن شعوانة العابــدة

يـروى عن جعفر الصادق[٦٢] - رضى الله تعالى عنه - أنه قال ، دخلت يوما على شَعوانة[٦٣] - رضى الله تعالى عنها - فرأيتها على حالة كرهت أن أشغلها عنها ، فأمسكت أكلمها فنظرت تجاه القبلة طويلا ثم قالت : إلى متى ؟ ثم تنفست الصعداء وقالت :

أتحرقُنى بالنارِ يا غايـةَ المُنـى — فأين رجائى فيكَ أين محبتى

ثم أقبلت على ورددت نظرها إلىَّ وقالت : يا ابن بنت رسول الله ﷺ : متى دخلت علىَّ ؟ فقلت : منذ زمان وكنتِ مشغولة فكرهتُ أن أشغلك

---

(٦٠) كذا بالأصل ووردت بالمدهش (صحائف) .

(٦١) سورة البقرة - الآية : ٢٧٣ .

(٦٢) جعفر الصادق : هو جعفر بن محمد الباقر بن على زين العابدين بن الحسين السبط الهاشمى سادس الأئمة الاثنى عشر عند الإمامية ، كان من أجلاء التابعين ، وله منزلة رفيعة فى العلم ، لم يعرف عنه الكذب قط لذلك لقب بالصادق ، مولده ووفاته بالمدينة (٨٠هـ - ١٤٨هـ) [الأعلام (١٢٦/٢)] .

(٦٣) شعوانة : هى من عابدات أهله الأُبَلّة ، وكانت كثيرة البكاء حتى انقلبت حدقتاها من شدة البكاء ، (واعتقد) أنها فارسية فقد ذكر صاحب صفة الصفوة فى آخر الكلام عنها أنها كانت تناجى ربها بالفارسية عندما زارت هى زوجها مكة .

[صفة الصفوة (٣٠٥/٤)]

عما كنت فيه فصرخت صرخة عظيمة وخرقت مرقعة[٣٨] كانت عليها وقالت : واشوقاه إلى مشاهدة ذلك الجمال ومحاضرة ذلك الكمال ، ثم شهقت شهقة أخرى فارقت فيها روحها .

شعر

لا[٦٤]أذاقَ الله عينًا أبصرت غيرَكم يا قوى نفسى[٦٥] وسنا
لو ولا كانت قلوب سكنت عند ذكراكم ولا نالت منى

عودة الإنسان إلى الحق

من[٦٦] رأى الحقائق رأى العين غض طرفه عن الدارين ، لو حضرتم حظيرة[٦٧] القدس لعبقتم[٦٨] بنشر الأنس .

ياهذا[٦٩] إن لم تقدر على كثرة العمل ، قف على باب الصُلب ، وتعرض لجذبة من جذبات الحق ، ففى لحظة أفلح السحرة .

---

(٦٤) ورد هذان البيتان المدهش (ص ٤٥٠) .

(٦٥) (ياقوى نفسى) كذا بالأصل ووردت بالمدهش (يا قوت روحى) .

(٦٦) وردت هذه الموعظة بالمدهش (ص ٤٧٥) من قوله (من رأى الحقائق ... إلى قوله (بنشر الأنس) .

(٦٧) كذا بالأصل وبالمدهش (حضرة) .

(٦٨) كذا بالأصل وبالمدهش (لعقبتم) والصواب ما ورد بالأصل .

(٦٩) وردت هذه الموعظة بالمدهش (ص ٤٧٦) ، من قوله (يا هذا إن لم تقدر ... إلى قوله (ففى لحظة أفلح السحرة) .

إسلام عيسى الكرخي وأمه وأهله

قال عيسى أخو معروف الكرخي[٧٠] كنت أنا وأخي في المكتب حين كنا نصارى فكان المعلم يعلمنا فيقول : بسم الأب والإبن وروح القدس . فيقول معروف : أحد أحد فيضربه المعلم ضربا شديداً فلما طال ذلك عليه هام على وجهه فكانت أمه تقول : لئن رد الله على ولدى لأتبعنه على أى دين كان عليه فبعد سنين قدم علينا معروف فقالت له أمه : على أى دين أنت يا ولدى ؟ قال : على دين الإسلام فأسلمت أمه ثم أسلمنا كلنا .

استغاثة

وحكى عن بعضِ العارفين أنه ذاتَ يومٍ ناجى ربَّه عز وجل فجعل يقول : : يارب أنت شِئتَ ، أنت قضيتَ ، أنت حكمتَ أنت أردتَ ، لا أعلم ربًّا سواك ، ولا مقدرا إلا إياك ، فنودى : هذا أدبُ التوحيد ، فأين أدب العبيد ؟ فقال : يارب أنا عصيتُ ، وأنا جنيتُ ، وأنا خالفتُ ، وأنا أخطأتُ فسمع هاتفا يقول : وأنا سترتُ ، وأنا صفحتُ ، وأنا غفرتُ وأنا عفوتُ .

فائدة الطاعة

ياهذا[٧١] اعرف قدر لُطْفنا بك ، وحِفْظنا لك ، إنما نهيناك عن المعاصي صيانة لك لا لحاجتنا إلى امتناعك ، فاجعل مراقبتك لمن لاتغيب عنه ، وشكرك

---

(٧٠) معروف الكرخي : معروف بن فيروز الكرخي ، أبو محفوظ ، أحد أعلام الزهاد والمتصوفين ، كان من موالى الإمام على الرضى بن موسى الكاظم ولد في كرخ ببغداد ونشأ وتوفى ببغداد ، اشتهر بالصلاح وقصده الناس للتبرك به (... - ٢٠٠هـ) .
[الأعلام (٢٦٩/٧)]

(٧١) وردت هذه الموعظة بالمدهش (ص ٤٧٥) ، من قوله (يا هذا اعرف قدر لطفنا بك ... إلى قوله (وما تشعر) .

لمن لاتصيبك نعمةٌ إلا منه، وطاعتُك لمن لا ترى خيرًا قط إلا منه ، وبكاؤك على إعراضك عنه ، فارفع إليه يد الذل فى طلب حوائج القلب ، تأتى وما تشعر .

كشــف من ولــى

قال جعفر الخلدى(٧٢) : كنت يوما ببيت المقدس فرأيت رجلا ملفوفا فى عباءة فجلستُ عنده طويلا وهو على تلك الحالة لم يتكلم ثم أخرج رأسه من عباءته ونام فقلت : هذا أحد رجلين إما مجنون أو ولى لله عز وجل فبينما أنا متفكر فى أمره إذ أقبل رجلٌ ومعه زنبيل(٧٣) وجعل ينظر يمينا وشمالا وجاء حتى جلس بين يديه وأخرج من الزنبيل فطيرة وحلاوة حارة فجلس الفقير وأكل حتى شبع ثم قال للرجل : رد الباقى إلى صغارك فقام الرجل من عنده فقمت وتبعته وقلت له : سألتك بالله هل بينك وبين هذا الفقير معاملة أو معرفة قبل هذا اليوم ؟ فقال : لا والله مارأيته قبل ساعتى هذه قط فقلت له : فكيف قصتك فقال : اشتهوا(٧٤) صغارى بالأمس فطيرة وحلاوة فقلت والله ما أقدر على ماطلبتم ولكن إن فتح الله علىَّ بشىء صنعته لكم فلما كان هذا اليوم فتح الله علىَّ بشىء فصنعت لهم ماطلبوه ووضعتُه بين أيديهم واضطجعت أستريح فغلبتنى عينى فنمت فأتانى آتٍ فى منامى وقال لى : قم وأحمل الفطيرة والحلاوة إلى بيت المقدس واجعله بين يدى الفقير الملفوف فى العباءة ، فإنَّا هيَّأْنَاهُ له على يدِك وما بقى منه فهو لصغارك فانتبهت وقد قدموا ليأكلوه فرفعته من بين أيديهم وجئت به إليه ، فقلت : والله هذه الهمم يا من يستهول أحوال القوم تَنَقَّلْ فى المراق تَعْلُ .

---

(٧٢) جعفر الخلدى : جعفر بن محمد بن نصير ، أبومحمد الخلدى ، شيخ الصوفية فى أيامه ببغداد ، وأعلمهم بالحديث ، وكان خواصاً ، حج ٥٦ حجة مولده ووفاته ببغداد (٢٥٣هـ - ٣٤٨هـ) .

[الأعلام (١٢٨/٢)]

(٧٣) زنبيل : الوعاء أو الجراب . [اللسان (٣٠٠/١١) - زبل] ط. دار صادر .

(٧٤) كذا بالأصل وهى على لغة شاذة والأفضل (اشتهى) .

[ابن هندو][75]

شــعر

لايؤيســنك من مجد تباعده فإن للمجد تدريجا وترتيبــاً
إن القناة التى شاهدت رفعتها تنمى وتنبت أنبوباً فانبوبــاً

ياهـذا[76] قد سمعتَ أخبارَ القوم[77] فسر فى سربهم ، وقد عرفت شرابهم فاشرب كشربهم ، فمتى سلكت طريقهم كنت رفيقهم ، أطار خوفُ النار نومَهم ، وأطال ذكرُ العطش الأكبر صومَهم ، يحسبهم الناظر مرضى الأبدان ، وإنما هو سقام الأحزان .

شــعر

لم[78] تُبْــقِ فيهم حرارةُ الهوى وجوالُ أسواقٍ[79] غيرَ خيالاتٍ وأشباحِ
تكادُ تُنكِرُهم عينُ الخبيرِ بهم لولا ترددُ أنفـــاسٍ وأرواحِ

الاشــتغال بحب الله

لله[80] در أقوام شغلهم حبُّ مولاهم عن لذات دنياهم ، اسمع حديثَهم إن كنتَ ما تراهم ، خوفهُم قد أزعج وأقلق ، وحذرهم قد أتلف وأحرق ، وحادى

---

(75) نسب صاحب المدهش هذين البيتين (لابن هندو) [المدهش (ص 445)] .

(76) هذه الموعظة بالمدهش (ص 445) من قوله (يا هذا قد سمعت أخبارهم ... إلى قوله (سقاهم الأحزان) .

(77) كذا بالأصل وبالمدهش (المتقين) وكلاهما صواب .

(78) ورد هذان البيتان بالمدهش (ص 180) .

(79) كذا بالأصل ووردت بالمدهش (وجوى الأحزان) والصواب ما ورد بالمدهش .

(80) وردت هذه الموعظة بالمدهش (ص 461) من قوله (لله در أقوام ... إلى قوله (إلى لقائهم أشوق) .

مجدهم مُجِدٌّ لايترفق ، دموعهم فى أنهار الخدود تجرى وتتدفق ، يشتاقون إلى الحبيبِ والحبيبُ إلى لقائهم أشوق .

قال أبويزيد[٨١] : مازلت أُشَوِّقُ نفسى إلى الله وهى تبكى حتى حملتنى وهى تضحك[*]، **ياطويل**[٨٢] النوم **فاتتك** رفقة[٨٣] أقوام « **تتجافى جنوبهم** »[٨٥] ، وحرمت منحة ﴿ **والمستغفرين بالأسحار** ﴾[٨٦] ولست من أهل عتاب « فإذا جنه الليل نام عينى » ليس فى ليل الهجر مَنَام ، ومتى رأيت محباً ينام ؟

---

(٨١) أبويزيد : هو طيفور بن عيسى البسطامى ، أبويزيد ، زاهد مشهور له أخبار كثيرة ، نسبته إلى بسطام (بين خراسان والعراق) أصله منها ووفاته فيها ، وقيل أنه كان يقول بوحدة الوجود ، ويعرف أتباعه بالطيفورية أو البسطامية (١٨٨هـ - ٢٦١هـ) .
[الأعلام (٣/٢٣٥)]

(*) وقد ورد هذا الأثر بالمدهش (ص ٤٦٣) من قوله (قال أبويزيد ... إلى قوله (حملتنى وهى تضحك) .

(٨٢) هذه الموعظة بالمدهش (ص ٤٣٢) من قوله (يا طويل النّوم ... إلى قوله (ومتى رأيت محباً ينام) .

(٨٣) كذا بالأصل وبالمدهش (مدحة) .

(٨٤) سورة السجدة - الآية : ١٦ .

(٨٥) سورة آل عمران - الآية : ١٧ .

(٨٦) جَنَّه : أى دخل عليه الليل أو ستره الليل . [المعجم الوسيط (١/١٤٠)] .

[للمتنبى][87] **شـــعر**

وإن نهـــارى ليلةٌ مُدْلَهِمَّة[88] على مقلةٍ مِنْ فقدِكم فى غَيَاهِب[89]
بعيدةٍ ما بين الجفونِ كأنمـــا عقدْتُم أعالى كلِّ هـدبٍ[90] بحَاجِب

البكاء[91] موكل بعيون الخائفين ، كلما همتْ بفتح طَرْفٍ لتنظر إلى طرف من طرف الدنيا طرفه دمعه .

قال عليه الصلاة والسلام :

« **عينان لاتمَسُّهما النار أبدا عينٌ بكتْ من خشيةِ الله ، وعين باتتْ تحرسُ فى سبيل الله** »[92] .

وقال الحسن :[93] إذا بكى العبدُ من خشية الله رحم مَنْ حَوْلَهُ ولو كانوا عشرين ألفا .

---

(87) نسب صاحب المدهش هذين البيتين (للمتنبى) [المدهش (ص ٤٣٢)] .

(88) مُدهمة :أى شديدة الظلمة، وليلة مدهمة أى مظلمة . [اللسان (٢٠٦/١٢ - دهم)]ط. دار صادر .

(89) غياهب : أى ظلمات شديدة [اللسان (٦٥٤/١ - غهب)] ط. دار صادر .

(90) هدب : شعر أشفار العين . [اللسان (٧٨٠/١ - هدب)] ط. دار صادر .

(91) وردت هذه الموعظة بالمدهش (ص ٤٣٦) ، من قوله (البكاء موكل بالعيون) إلى قوله (من طرق الدنيا طرقته دمعة) .

(92) صحيح سنن الترمذى للألبانى (١٣٣٨ - ١٧٠٦) جـ٢/١٢٦ ، مشكاة المصابيح (١١٢٥/٢) رقم (٣٨٢٩-٤٢) المكتب السلامى ، وقال عنه الألبانى صحيح لشواهده .

(93) هذا الأثر ورد بالمدهش (ص ٤٣٦) من قوله (وقال الحسن ... إلى قوله (ولو كانوا عشرين ألفاً) .

وقيل لثابت البنانى :[٩٤] تعالج عينك ولا تبكى ؟ فقال : أى خير فى عين لا تبكى ؟! قلب[٩٥] المحب جمرة تحت فحم الليل كلما هب النسيم التهب فإذا اشتد الحال تصعدت غيوم الغموم من أُودية القلوب وانبعث،وصعدت إلى سماء الأجفان فتراكمت واتلفت وابتسم برقُ السر فهطلت مياهُ العيون وانهملت ورقت[٩٦] ورى[٩٧] الشوق منابر الشجو[٩٨] وترغمت[٩٩] فأطربت وصاحت[١٠٠] بلابلُ المحبة بمكنون الضمائر فأغربت[١٠١] فكلما ناولها الوجد كأساً من الدموع أنشدتهم الحمائم ورجعت .

---

(٩٤) هذا الأثر ورد بالمدهش (ص ٤٣٦) من قوله (قيل لثابت ... إلى قوله (أى خير فى عين لا تبكى)

ثابت البنانى : ثابت بن مسلم البنانى ، يكنى أبا محمد ، عرف بكثرة العبادة ، وكثرة قراءة القرآن والصلاة ، وهو من الطبقة الثالثة ، من أهل البصرة وتوفى فى ولاية خالد بن عبدالله على العراق .

[صفة الصفوة (٣/٢٦٠) رقم ٥١٥]

(٩٥) هذه الموعظة بالمدهش (ص ٤٤٦) من قوله (قلب المحب جمرة ... إلى قوله (وصاحت بلابل المحبة) .

(٩٦) كذا بالأصل وبالمدهش (فارتقت) والصواب ما ورد بالمدهش .

(٩٧) كذا بالأصل وفى المدهش (ورق) .

(٩٨) كذا بالأصل وبالمدهش (الشدو) وكلاهما صواب .

(٩٩) ترغمت : غضبت أو ذلت . [اللسان (١٢/٢٤٦ – رغم ° ط. دار صادر .

(١٠٠) كذا بالأصل وبالمدهش (صدحت) وكلاهما صواب .

(١٠١) أغربت : كثّرت وبالغت . [اللسان (١/٦٤١ – غرب)] ط. دار صادر .

الفصل الثالث

يا مكرماً بحلية الإيمان

اسمع[١٠٢] يامُكْرَمًا بحليةِ الإيمان بعد حُلَّةِ الإيجاد وهو مخلقها فى مخالفة الخالق إلى متى يخدعك المنى ؟ ويغرك الأمل ؟ عجبا لك !! يتأمل الحيوانُ البهيمى العواقبَ وأنت لا ترى الحاضر ، أما تكاد تهتم بمؤنة الصيف حتى يشتد الحر ، وبمؤنة الشتاء حتى يقوى البرد ، ومَنْ هذه صفته فى أمر دنياه ﴿ **فهو فى الآخرة أعمى وأضل سبيلا** ﴾[١٠٣] .

أتراك ماعملت رجليك إلى القبر فهل لاتعبث بفراش ﴿ **فلأنفسهم يمهدون** ﴾[١٠٤] ، من[٢٠٥] ركب ظهرَ التفريط نزل به دارَ الندامة ، ألم تسمع أن داود كان قد أعطى نعمة حتى كان يقف له الماءُ والطير فامتدت يد الغفلة فقدت قميص العصمة فأثرت حتى فى التلاوة .

حكاية ذنب داود عليه السلام

يروى عن داود عليه السلام أنه لج به البكاء ذات يوم فلما كان فى آخر الليل نادى : يارب أما ترحمُ كثرةَ بكائى ؟ فأوحى الله عز وجل إليه : يا داود نسيت ذنبَك وذكرت بكاءك ، فقال : إلهى وسيدى لم أنس ذنبى ولكنى أرجو منك غفرانَهُ . إلهى وسيدى كنت إذا تلوت الزبور كف الماء الجارى عن جريانه

---

(١٠٢) هذه الموعظة بالمدهش (ص ١٥١ ، ١٦٠) من قوله (اسمع يا مكرماً بحلية الإيمان ... إلى قول الله تعالى : ﴿ فلأنفسهم يمهدون ﴾ .

(١٠٣) سورة الإسراء – الآية : ٧٢ .

(١٠٤) سورة الروم – الآية : ٤٢ .

(١٠٥) هذه الموعظة بالمدهش (ص ١٥١) من قوله (من ركب ظهر التفريط ... إلى قوله (فأثرت حتى فى التلاوة) .

وتسكن هبوب الرياح وتظلنى الطير وتطوف الوحوش بمحرابى وقد فقدت ذلك ، أفمن أجل هذا الذنب كل هذهَ الوحشة ؟ فأوحى الله تعالى إليه : يا داود ، آدم خلقتُه بيدى ، ونفخت فيه من روحى وأسجدت له ملائكتى ، وألبسته ثوب كرامتى ، وتوجته بتاج عنايتى ، وزوجته حين استوحش بحواء أَمَتِى ، وأبحت له ولها جنتى ، فلما عصانى أخرجته من جوارى ، ونزعت عنه تاجَ وقارى .

يا داود من أطاعنا قربناه ، ومن سألنا أعطيناه ، ومن عصانا أمهلناه ، وإن عاد إلينا على ما كان منه قبلناه .

شعر

تواليتَ قومًا لا وفاءَ لعهدِهم ... وأعرضتَ عنا والحفاظُ قِديمُ

سأتركُ ما بينى وبينك واقفًا ... فإنْ عُدْتَ عُدْنا والوداد سلِيمُ

يا مقيداً[106] بقيود الطرد ألقِ نفسك فى الدجى على باب الذل ، وقل إلهى كم لك سواى ، وما لى سواك ، فبفقرى إليك وغناك عنى ألا ماعفوتَ عنى .

أنجح الوسائل لطلب الحوائج

أنجح الوسائل لطلب الحوائج الذل ، وأبلغ الأسباب فى العفو البكاء ، وألعى عن ترتيب العذر بلاغةُ المنكسر ، وليس فى المياه ماءٌ يُقْلِعُ أثارَ الذنوبِ مِنْ ثوبِ القلب إلا الدموع ، فإن صب الماء ولم يُزَل الأثرُ فعليك بالاغتراف من بحر الاعتراف ، احضر نادى المجتهدين ، ونادهم طوبى لكم ، قد وجدتم قلوبكم ، فارحموا من لم يجد .

---

(١٠٦) وردت هذه الموعظة بالمدهش (ص ١٨٩) من قوله (يا مقيداً بقيود الطرد ... إلى قوله (فارحموا من لم يجد) .

شعر

إذا[١٠٧] وصلتم إلى وادى العقيقِ سَلُوا
عن حالِ منقطعٍ أودى به السفَر[١٠٨]
وفتشوا عن فؤادٍ هائـمٍ بكم[١٠٩]
قد ضاع منى فلا عين ولا أثـر

أبلغُ[١١٠] المراهم لجراح الذنوبِ الندم ، وأوطأ فراشِ المُعْتَذَر .

حكاية حميد وزوجته

قيل : كان شاب يختلف إلى رسول الله ﷺ يقال له حميد فسمع ذات يوم قارئا يقرأ ﴿ **وإنَّ جَهنَّمَ لموعدُهم أجمعين** ﴾[١١١] فلم يزل باكيا حتى رجع إلى أهله فلما جنَّه الليلُ صلى ما كتب الله تعالى له ولم يزل باكيا متضرعا إلى الله عز وجل حتى أصبح ، وكانت له زوجة عاصية وكان قد شكاها إلى رسول الله ﷺ قبل ذلك اليوم ، فقالت له : ياحميد ما الذى أسهرك فى ليلتك هذه وأبكاك ؟ قال لها : سمعت قارئا يقرأ ﴿ **وإن جهنم لموعدهم أجمعين** ﴾[١١٢] فألقى الله عز وجل فى قلبها خشيةً فقالت : والله لأنطلقنَّ إلى رسول الله ﷺ لعله يستغفر لى فقال لها حميد : تمضى إلى رسول الله ﷺ وقد شكوتك له بالأمس ؟ قال : فخرجتْ حتى أُوقِفتْ بين يدى رسول الله ﷺ وقالت : يارسول الله إنى أتيتك تائبة فاستغفر لى فقال سلمان الفارسى : يارسول الله هذه زوجة حميد التى شكاها

(١٠٧) ورد البيتان بالمدهش (ص ١٨٩) .
(١٠٨) كذا بالأصل وبالمدهش (السهر) والأفضل ما ورد بالمدهش .
(١٠٩) كذا بالأصل وبالمدهش (قلق) .
(١١٠) وردت هذه الموعظة بالمدهش (ص ١٩٢) ، من قوله (أبلغ المراهم لجراح الذنوب الندم ... إلى قوله (فراش المعتذر) .
(١١١) سورة الحجر – الآية : ٤٣ .
(١١٢) سورة الحجر – الآية : ٤٣ .

لك بالأمس ، فأعَرض رسولُ الله ﷺ بوجهه عنها ولم يكلمها فخرجت إلى جبال المدينةِ وجعلت تبكي وتنادى : إلهى أتيت نبيَّك تائبةً فلم يقبلنى وأعرض بوجهِه عنيِ ولم يكلمنى وقد أتيتك يا من وسعت رحمتُه الأحياء والأموات يا من يقبل التوبةَ عن عباده ويعفو عن السيئات إلهى أنا العوادة بالذنوب وأنت العواد بالمغفرة ، قال : فهبط الأمين جبريلُ على رسول الله ﷺ فقال : يامحمد الحق يُقْرِئُك السلامَ ويقول لك : أتتك أَمَتِى تائبة فلم تقبلها وأعرضت بوجهك عنها ، يا محمد قد أتتنى فقبلتها فغفرت لها ورضيت عنها فبشرها برضائى عنها فقال رسول الله ﷺ لأصحابه : **أيكم يأتينى بها** فقال سلمان : أنا يارسول الله فخرج سلمان فوجدها بين الجبال تبكي وتتضرع إلى الله عز وجل وتسأل فقال لها سلمان : أجيبى رسول الله ﷺ فقالت : ياسلمان كيف آتى رسول الله ﷺ وهو ساخط عليَّ والله يسخطُ لسَخَطِه فقال لها سلمان : أبشرى فقد أخبره الله عز وجل برضاه عنك فاقبلت فلما رآها رسول الله ﷺ قال لها : **مرحباً بمن عاتبنى ربى فيها أبشرى فقد تاب الله عليك وغفر لك ورضى عنك** ، قال : فخرَّتْ لله ساجدة وأطالت السجود فقال رسول الله ﷺ لسلمان : **ارفع رأسها** فذهب ليرفع رأسها فإذا هى قد ماتت(*) – رحمة الله تعالى عليها .

شـــعر

مرض[113] الحب شفائى فى الهوى	كلمـــا أكربنـــى أطـربنـــى
فبقـائى فى فَنـــائى فيكـــم	وســرورى منكم فى حـزنى
وشريتم بوصـــالى مهجتـــى	جئت سعياً لاقتضـاء[114] الثمنِ
وإذا البلـوى أفـادت قربكــم	فَمِـنَ النَّعْمَـاءِ دوامُ المِحَـــنِ

من علــم[115] أن عندنا حسنِ المآب آبَ .

(*) لم أقف عليه .

(١١٣) ورد هذان البيتان فى المدهش (ص ٤٥١) .

(١١٤) هذا الشطر ورد فى المدهش كالآتى : (وأنا منتظر للثمن) وكلاهما صواب .

(١١٥) هذه الموعظة وردت بالمدهش (ص ٢٠٣) من قوله (من علم أن عندنا حسن المآب ... إلى قوله (من تفكر فى مرارة الكاس كاس) .

من خاف الخبر(١١٦) بما فى الكتاب تاب ، من حذر أليم العذاب ذاب ، من سار فى طريق الأيجاب انجاب ، من تفكر(١١٧) فِعلَ الموتِ بالأبِ والجَدِّ جَدَّ ، من تفكر فى مرارة الكاسِ كاس(*)

[أين الدمـوع السواجم قبل المنايا الهواجـم]

أين(١١٨) الدموع السواجم(١١٩) قبل المنايا الهواجم ، أين القلق الدائم إلى الذنوب العظائم ، أيها القاعد والموت قائم ، أنائم عن حديثنا أم ذا متناوم ؟ بادر بالتوبة من هفواتك ، قبل فواتك ، والمنايا بالنفوس فواتك .

شـــعر

ما أسرعُ الأيام(١٢١) فى طينـا تَمْضى علينا ثم تَمضى بنـا
فى كل يوم أملٌ قد نأى مرامُهُ(١٢٢) عَنْ أجلٍ قد دنـا
أنذرنا الدهرُ وما نَرْعَوِى(١٢٣) كأنَّما الدهـرُ سوانـا عنـا

(١١٦) كذا بالأصل وفى المدهش (الجزاء) والصواب ما ورد بالمدهش .

(١١٧) كذا بالأصل والمدهش (ذكر) وكلاهما صواب .

(*) كاس : من الكياسة وهى الفطنة والذكاء [الوسيط (٨٠٧/٢)] .

(١١٨) وردت هذه الموعظة بالمدهش (ص ٢٠٧) ، من قوله (أين الدموع السواجم ... إلى قوله (أم ذا متناوم) .

(١١٩) السواجم : أى السائلة أو المنصبة بكثرة . [اللسان (٢٨٠/١٢ - سجم)] ط. دار صادر .

(١٢٠) الهواجم : أى التى تأتى بغتة بدون إنذار [اللسان (٦٠٠/١٢ - هجم] ط. دار صادر .

(١٢١) نسب صاحب المدهش هذه الأبيات (للشريف الرضى) [المدهش (ص ٢٧٠)] .

(١٢٢) نأى مرامه : أى بَعُدَ نيله . [اللسان (٢٥٨/١٢ - روم)] ط. دار صادر .

(١٢٣) نرعوى : أى نكف ونرتدع وننزجر . [اللسان (٣٢٨/١٤ - رعى)] ط. دار صادر .

أين الأولى قد شيدوا بناءَهم تهدموا قبل انهدامِ البِنَا
لا معدم يحميه إعدامُه ولا يَقى نفسَ العَنىِّ الغِنَى
لا تأمن الدهرَ على غرةٍ لابدَّ للغائب أن يؤمنا[124]

تالله[125] لقد كشفت العبر ماانسدل[126] ، فلم تبق من أولى[127] جدل ، يا حائرين احذروا ممن إذا قضى عدل ، واعلموا أن الآخرة ليس منها بدل .

[المحاسبة قبل الموت]

قال إبراهيم بن أدهم : كنت فى المسجد الحرام ذات يوم فغلبتنى عينى فنمت فرأيت حول البيت سواد قات[128] خضر مكتوب عليها بياض ينبغى لمن عرف قدرى أن لايعصى أمرى ، ولمن عرف عدلى فيمن يقف بين يدى ، أن يحاسب نفسه قبل قدومه على ، ولمن عرف إحسانى لاينسانى ، ولمن عرف كرمى ، أن يشكرنى .

---

(١٢٤) روى الشطر الثانى من هذا البيت بالمدهش هكذا (عزَّ ليث الغاب) وهو الأفضل .

(١٢٥) وردت هذه الموعظة بالمدهش (ص ٤٧٨) من قوله تعالى (تالله لقد كشفت العبر ... إلى قوله (ليس منها بدل) .

(١٢٦) انسدل : أرخى وأسبل وأرسل . [اللسان (٣٣٣/١١ - سدل)] ط. دار صادر .

(١٢٧) (من أولى) كذا بالأصل وفى المدهش (مراء) وهو الأجود .

(١٢٨) سوادقات : والسودق هو نوع من الطيور . [اللسان (١٥٥/١٠ - سدق)] ط. دار صادر .

ويحتمل أن يكون المقصود (سرادقات) بمعنى الخيمة أو الفسطاط .

[اللسان (١٥٦/١٠ - سردق)] ط. دار صادر .

شعر

إذ[١٢٩] المرء كانت له عَبْرَة[١٣٠] ففى كل شىء له عِبْرَة

قال بعض الحكماء لابنه : يا بنى لاتشغل قلبك من الدنيا إلا بقدر ما تتحققه من عمرك ، ولتكن جرأتك على المعاصى بقدر صبرك على النار ، وإذا أردت أن تعصى الله تعالى فانظر موضعا لايراك الله فيه ، وانظر إلى نفسك فإن كانت عزيزة فلا تذلها ، وإن كانت ذليلة فلا تزدها على ذلها ذلا .

[اعرف قدر نفسك]

ويحك[١٣١] لو عرفت قدر نفسك ما أهنتها بالمعاصى إنما أبعدْنا إبليس لأنه لم يسجد لك ، فالعجب كيف صالحته وهجرتنا .

شعر

رعى[١٣٢] الله من نَهْوَى وإنْ كان مارَعَى
حفظْنَا له العهدَ القديمَ وضيَّعَا

وواصلتْ قوما لقد[١٣٣] أنهاك عنهم
وحقًّا[١٣٤] ما أبقيت للصلح مَوْضِعَا

---

(١٢٩) ورد هذا البيت بالمدهش (ص ٢٣١) .
(١٣٠) كذا بالأصل ووردت بالمدهش (فكرة) .
(١٣١) وردت هذه الموعظة بالمدهش (ص ٣٤٠) ، من قوله (ويحك لو عرفت قدر نفسك ... إلى قوله (كيف صالحته وهجرتنا) .
(١٣٢) ورد هذان البيتان بالمدهش (ص ٣٤٠) .
(١٣٣) كذا بالأصل وبالمدهش (كنت) وهى الأصوب .
(١٣٤) كذا بالأصل وبالمدهش (حقك) .

يا مختار القدر[١٣٥] اعرف قَدْرَك ، فإنما خلقت الأكوان كلها لأجلك ، باخزانة الودائع ، يا وعاء البدائع ، يا من غذى بلبان البر ، وقلب بأيدى الأبادى ، يا زرعا تَهْمِى[١٣٦] عليه سحب الألطاف كل الأشياء شجرة ، وأنت الثمرة ، وصورة وأنت المعنى ، وصدف وأنت الدُّر ، كم فى السموات من ملك يسبح له مرتبة ﴿ **تتجافى جنوبُهم** ﴾[١٣٧] ، ولا يعرف طَعْمَ طَعَامِ ﴿ **يحبهم ويحبونه** ﴾[١٣٨] ، ولا حظى بمقام ﴿ **اذكرونى أذكركم** ﴾[١٣٩] ، فسبحان من اختارك على الكل وجادل عنك قبل وجودك بقوله ﴿ **إنى أعلم** ﴾[١٤٠] خلق سبعة أبحر ، واستقرض منك دمعة ، له ملك السموات والأرض ، واستقرض منك حبه .

شـــعر

الماءُ[١٤١] عندَك مبذولٌ لشارِبِهِ[١٤٢] وليسَ يرويكَ إلا دمعةُ[١٤٣] الباكى

---

(١٣٥) وردت هذه الموعظة بالمدهش (ص ٣٤٠) من قوله (يا مختار القدر ... إلى قوله (واستقرض منك حبه) .

(١٣٦) تهمى : تسيل وتسقط . [اللسان (٣٦٤/١٥ – همى)] ط. دار صادر .

(١٣٧) سورة السجدة – الآية : ١٦ .

(١٣٨) سورة المائدة – الآية : ٥٤ .

(١٣٩) سورة البقرة – الآية : ١٥٢ .

(١٤٠) سورة البقرة – الآية : ٣٠ ، ٣٣ ، يوسف : ٩٦ .

(١٤١) ورد هذا البيت بالمدهش (ص ٣٤٠) .

(١٤٢) كذا بالأصل وفى المدهش (لوارده) والأفضل ما ورد فى المدهش .

(١٤٣) كذا بالأصل وبالمدهش (مدمع) .

الفصـل الرابـع

[يا طـويل الأمل فى قصير الأجـل]

يا طويلِ[١٤٤] الأملِ فى قصيرِ الأجل ، ياكثير الخطايا فى يسير الأمل[١٤٥] خَلا لَكَ الزمانُ وما سددت الخَلَلَ[١٤٦] ، أفما عندك وجل[١٤٧] من هجوم الأجل ، أما رأيت مُسْلَباً وما كَمُل ، أتؤخر الإنابة وتقدم الزلل ؟

شـــعر

يا مَنْ[١٤٨] يَعُدُّ غداً لتوبَتِـــهِ أَعَلَى يقينٍ مِـنْ بلـوغ غَدِ؟!
المرءُ فى زكل[١٤٩] على أمـل ومَنِيَّـــــةُ الإنسانِ بالمرصَدِ[١٥٠]
أيـامُ عمـرِك كلُّهـا عـــدد ولعـل يومَك آخِـرُ العَـددِ

ما هذا[١٥١] التقصيرُ فى العمر القصير ؟ ما هذا الزهو يا من إلى البلا يصير ؟! كم فرَّقَ الموتُ مسيرةَ[١٥٢] أمير ؟ كم زاد[١٥٣] الإلحادُ من وزير ؟

---

(١٤٤) وردت هذه الموعظة بالمدهش (ص ٣٤٢ ، ٢٣٢) ، من قوله (يا طويل الأمل ... إلى قوله (وتقدم الزلل) .

(١٤٥) كذا بالأصل وبالمدهش (العمل) وهو الأصوب .

(١٤٦) الخلل : الفساد أو الضعف أو الفرجة بين شيئين . [اللسان (١١/ ٢١٣ ، ٢١٤ – خلل)] ط – دار صادر .

(١٤٧) وجل : خوف وفزع [اللسان (٧٢٢/١١ – وجل)] ط – دار صادر .

(١٤٨) وردت هذه الأبيات فى المدهش (ص ٢٣٢) .

(١٤٩) زكل :كذا بالأصل ووردت بالمدهش (زلل) وهى الصواب .

(١٥٠) كذا بالأصل وبالمدهش (بالرصد) .

(١٥١) وردت هذه الموعظة بالمدهش (ص ٢٧١) من قوله (ما هذا التقصير ... إلى قول الله تعالى ﴿ فريق فى الجنة وفريق فى السعير ﴾ .

(١٥٢) كذا بالأصل وبالمدهش (أميرة) .

(١٥٣) كذا بالأصل وبالمدهش (أزار) .

وسَوىَ فى القبورِ من هُجِرَ وَزير ، أين الأبطال الذين كان خاطرهم خطير ؟! لقد تَبرأ[١٥٤] كل منكر من منكر وكلٍ نكير من نكير ، فإذا بعثوا[١٥٥] بنفخة الصور ورُوِّقَ لهم شراب الفراق وأُدِير ، فـ ﴿ **فريقٌ فى الجنةِ وفريقٌ فى السعير** ﴾[١٥٦] ، سابقةُ[١٥٧] القَدَر قضت لقوم وعلى قوم ، أعْرَضَ عن قوم فلم تنفعْهم الحسنات ، ورضى عن قوم فلم تُضِرْهم السيئات .

حـكاية عابد صـنم

قال عبدالواحد[١٥٨] بن زيد : رَكبتُ البحر فعصفت بنا ريحٌ دفعتنا إلى جزيرة من جزائر البحر فطلعنا إليها وإذا نحن برجل قد عكف على صنم له يعبُدُه فقلنا له : ما معنا فى المركب من يعمل مثل هذا ، قال : فأنتم لمن تعبدون ؟ قلنا : نعبد الله عز وجل قال : ومن هو الله ؟ قلنا : الذى فى السماء عرشُه وفى الأرض سلطانُه ، قال : فكيف علمتم ذلك ؟ قلنا : أَرسلَ إلينا رسولا بالمعجزات الظاهرة فأخبرنا بذلك قال : فما فُعِلَ برسولكم ؟ قلنا : لما أدى الرسالةَ قبضَهُ الله إليه ، قال : أفما ترك عندكم علامةً ؟ قلنا : ترك فينا كتابَ الله سبحانه وتعالى ، قال : أرونى إياه فآتيناه بالمصحف ، قال : ماأُحْسِنُ قراءتَه ، فقرأنا عليه منه شيئا فبكى ، وقال : ينبغى لمن هذا كلامُه أن لايُعْصَى ، فأسلم وحَسُن إسلامه ، قال : ثم سألنا أن نحمله معنا فى المركب فحملناه وعلَّمناه سوراً من القرآن فلما جنَّ عليه الليل وأخذنا مضاجعنا لننام ، فقال : يا قوم هذا الذى دللتمونى عليه

---

(١٥٤) كذا بالأصل وبالمدهش (ورأوا) والأفضل ما ذكر بالأصل .

(١٥٥) كذا بالأصل وبالمدهش (اجتمعوا) .

(١٥٦) سورة الشورى – الآية : ٧ .

(١٥٧) وردت هذه الموعظة بالمدهش (ص ١٥٧) من قوله (سابقة القدر قضت – إلى قوله (فلم تغرهم السيئات) .

(١٥٨) عبدالواحد بن زيد : عابد من عباد البصرة ، وكان كثير البكاء ، وكان يصلى الغداة بوضوء العشاء أربعين سنة ، أسند عبدالوحد عن الحسن البصرى وأسلم الكوفى .

[صفة الصفوة (٣٢١/٣)]

ينام ، قلنا : هو حى قيوم لا تأخذه سنة ولا نوم ، فقال : إن من سوء الأدب نومُ العبد بين يدى سيده ، ثم وثب قائما فلم يزل قائما باكيا حتى أصبح .

شعر

وحياةُ[١٥٩] سقمى فى هواك وإنه   قسم الهوى وحق فيض دُمُوعى
لأوكلنَّ عليك عينى بالبكـاء   ولأهْجُرَنَّ لك طيبَ هُجُوعى[١٦٠]

قال : فلما قدمنا عبادان[١٦١] قلت لأصحابى : هذا رجل غريب حديث عهد بالإسلام ومِنَ المصلحة أن نجمع له شيئا ففعلوا ومددناه إليه فقال : ما هذا ؟ قلنا له : نفقه ننفقها عليك فقال : سبحان الله دللتمونى على طريق لم تعرفوه أنا كنت فى جزيرة من جزائر البحر أعبد غيره ولم يضيعنى فكيف يضيعنى وأنا أعبده وهو الخالق الرازق ثم مضى وتركنا . قال : فلما كان بعد أيام أخبرت أنه بموضع يعالج سكرات الموت فآتيناه وهو بآخر رَمَقٍ فسلمتُ عليه وقلت له : ألك حاجة ؟ فقال لى : قد قضى حاجتى الذى جاء بكم إلى الجزيرة وأنا لا أعرفه ، قال : فاستندت بإزائه وقصدت مؤانسته ساعة فغلبتنى عينى فنمت فرأيت فى مقابر عبادان روضة عليها قبة وتحت القبة سريرٌ وعلى السرير جارية لم أرَ أجمل منها وهى تقول : بالله عجل فى جهازه فقد طال شوقى إليه ، فانتبهت فوجدته قد مات فغسلته وكفنته فلما كان الليل نمت فرأيته وهو فى هيئة حسنة والجارية على السرير تحت القبة وهو إلى جانبها يكرر هذه الآية : ﴿ **سلام عليكم بما صبرتم فنعم**

---

(١٥٩) ورد هذان البيتان بالمدهش (ص ٢٣٥) .

(١٦٠) ورد الشطر الثانى من هذا البيت بالمدهش هكذا (ولأعشقن عليك طول هلوعى) .

(١٦١) عبادان : اسم بلدة على شاطىء الفرات على حدود إيران الآن وتنسب إلى عبَّاد بن الحصين .

[معجم البلدان (٣٤/٤)]

عقبى الدار ﴾[١٦٢] مصابيحُ القلوب الطاهرة فى أصل الفطرة منيرة قبل الشرائع **﴿ يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار ﴾**[١٦٣] .

حـــكاية راهـــب

قال مالك بن دينار :[١٦٤] وقفت يوما من الأيام تحت صومعة راهب فسمعتُه يقول : يا من لاذ بَحَرَمِه الخائفون ورغب فيما عنده الطالبون أسألك الخلاصَ من القصاص حين :[١٦٥] حين مناص ، وأستغفرك من ذنوبى ، ذهبت لذاتُها وبقيت تَبِعَاتُها ، ثم بكى ، فعلاً بكاؤه ، فناديته : يا راهب فأشرف علىَّ ، فقلتُ له لم تخليتَ عن الدنيا وحبست نفسك ها هنا وحيداً فريداً ؟ قال : تخليتُ عنها قبل أن تتخلى عنى وهربت منها قبل أن تتمكن منى فقلت له : حدثنى بقصتك . قال : كنت على دين النصرانية فاقربت على ذلك مدةً من عمرى فلما كان فى بعض الليالى أتانى آتٍ فى منامى ، فقال لى : ويحك إلى كم تعبد غير الله الذى خلقك ؟ أما تخاف أن يأخذك بغتة ؟! وأنت لا تشعر ؟ إن عيسى بن مريم عبدٌ من عبيد الله فقلت له : من أنت ؟ قال : أنا الأخذ بحُجَزِ[١٦٦] الخلائق وهم يقتحمون جهنم أنا شفيع المذنبين أنا خاتم النبيين أنا الذى بَشَّر بى عيسى وشهد بنبوتى موسى أنا فى التوراة موصوف ، وفى الإنجيل معروف ثم مسح بيده على صدرى وقال : اللهم ألهم عبدك للرشاد ، ووفقه للسداد ، فانتبهتُ ولا شىء أحب إلىَّ من الإسلام فاسلمت وبقيت فى صومعتى هذه هاربا من أبناء الدنيا

---

(١٦٢) سورة الرعد - الآية : ٢٤ .

(١٦٣) سورة النور - الآية : ٣٥ .

(١٦٤) مالك بن دينار : البصرى أبويحيى ، من رواة الحديث ، كان ورعاً ، يأكل من كسبه ، ويكتب المصاحف بالأجرة ، توفى بالبصرة (... - ١٣١هـ) .
[الأعلام (٢٦٠/٥)]

(١٦٥) بياض بالأصل ولعلها (ولات) .

(١٦٦) حُجَز : جمع حجزة : وهى موضع شد الإزار أو موضع التكة من السروال . [اللسان (٣٣٢/٥ - حجز)] ط - دار صادر .
والمعنى أن الرسول ﷺ يحاول منع الخلائق من دخول جهنم بكل طريق ممكن .

فقلت له : يا راهب أوصنى ، فقال : إياك أن تُدْخِل قلبك محبة الأبيضِ والأصفرِ فإن محبتهما شين[(١٦٧)] وبغضهما زين[(١٦٨)] ، إذا سبق الإنعامُ فى القِدَم لمن سبقت له منا الحسنى طلع نجمُ همته فى ظلام ليل بطالته ، وردفه قدم العزم ، فى ليل الحزم ، فأشرقت الأرض بنور ربها وسعد شقى الجهل وعاش ميت الغفلة .

شـــعر

[(١٦٩)]سُقِينا[(١٧٠)] النوى[(١٧١)] زمناً فلما تلاقَيْنَـــا كأنَّـــا ماسُقِينَـــا[(١٧٢)]
سَخِطْنـا عندمـا جَنَّ الليـالى فمـازالتْ بنـا حتـى رَضِيـنَا
فمن لم يحىَ بعد الموتِ يومًا فإنَّـا بعدمـــا متْنَـا حَيِينَـــا

---

(١٦٧) شين : أى عيب وقبح خلاف الزين [اللسان (٢٤٤/١٣ – شين)] ط – دار صادر .

(١٦٨) زين : الزين أى الحسن . [اللسان (٢٠١/١٣ – زين)] ط – دار صادر .

(١٦٩) وردت هذه الأبيات فى المدهش (ص ٢٢٦) .

(١٧٠) كذ بالأصل وبالمدهش (شقينا) .

(١٧١) كذا بالأصل وبالمدهش (الهوى) .

(١٧٢) كذا بالأصل وبالمدهش (شقينا) .

[الاجتهاد فى العبادة]

إخوانى(173) أوْقِدُوا أذهانَ الآن فى الفكر تبصروا ، [صابروا] سنى الجدب فى عام الخصب تعصروا(175) ، فمن أدلج(176) فى غياهب ليل البلاء(177) على نجائب(178) الصبر ، صبح منزل السرور فى السرور(179) ، ومن نام على فراش الكسل ، سال به سبيل التمادى إلى وادى الأسف وإنما تقطع مراحل الجد بالعزم والصبر ، ونظر المجد إلى آخر الأمر ، فإن الشهوات تغر وتفر ، وتمر . عيش العواقب وتمر وتبكى عينُ الندم أضعاف ماتُسَر .

زهد فى الدنيا

قال جابر بن عبدالله الأنصارى(180) : خرجت مع على كرم الله وجهه إلى خارج المدينة فتفكرت فى أحوال الدنيا وغرورها وفتنها لنا ، فقال : يا جابر

---

(173) وردت هذه الموعظة بالمدهش (ص 154) من قوله (اخوانى : أوقدوا أذهان ... إلى قوله (التمادى إلى وادى الأسف) .

(174) ما بين المعكوفتين سقط أثبتناه من المدهش .

(175) تعصروا : أى تعتصموا أو تلتجئوا . والمعنى تنجون من الجدب وتعتصمون بالخصب [اللسان (579/4 - عصر)] ط - دار صادر .

(176) أدلج : بمعنى صار ليلاً أو فى أول الليل . [المعجم الوسيط (292/1)] .

(177) كذا بالأصل وبالمدهش (العلى) والصواب ما ورد بالأصل .

(178) نجائب : أى فضائل وكرائم [اللسان (748/1 - نجب)] ط - دار صادر .

(179) كذا بالأصل وبالمدهش (السر) بمعنى النعمة .

(180) جابر بن عبدالله بن عمرو بن حرام ، الأنصارى ، ثم السلمى ، صحابى ابن صحابى ، غزا تسع عشرة غزوة ، ومات بالمدينة بعد السبعين ، وهو ابن أربع وتسعين . [تقريب التهذيب (122/1)]

إن الدنيا أحقر من أن يفتتِن بها لبيبٌ يا جابر إن لذَّاتِها فى ستةِ أشياء ، مأكول ، ومشروب ، وملبوس ، ومنكوح ، ومشموم ، ومسموع .

فأما المأكول : فألينُ مايؤكَلُ العسلُ وهو رَجِيعُ ذبابة .

وأما المشروب : فَأَلَذُّ ما يُشْرَب الماءُ وقد تساوى فيه جميع الحيونات .

وأما الملبوس : فأفخر مايُلْبَس الحريرُ ومخرجه من دودة .

وأما المنكوح : فمَبَالٌ فى مبالٍ .

وأما المشموم : فأطيبُه المسك وهو دمُ دابَّةٍ .

وأما المسموع : فألذ ما يُسْمَعُ الوَتَر وهو إثمٌ كله .

فيا مهلكاً نفسه[١٨١] التى لاقيمة لها فى طلب دنيا لا وقع لها أما تراها تميدُ[١٨٢] بأهلها وسكانها ، والشاهد ما يشاهد عواصف الحوادث تنسف جبال المقتنى ، ومعاول الزمان تهدم مشيد المبتنى ، وكلما ارتفع كثيبُ أملٍ وهال إنهال ، فإلى كم هذا الحرص ولا تنال إلا المقدور أما مرزوقا لا يتعب ، ومتعوبا لا يرزق هذا موسى يقول : إذ لحد[١٨٣] مارأى ومحمد ﷺ يزعج من منامه وما طلب ، لقد أنضى الحرص مطية عمرك وما وصلت بلد الأمل . لو قنعت الذبابة بطرف ظرف العسل ما تلفت ، لو عرفت قيمة نفسها رخصت أوغلت ، ما أوغلتِ . ويحك أحسنُ ما فى الدنيا قبيحٌ لأنه يشغل عما هو أحسن منه أتُرَى لو ابتليناك بترك عظيم ، كيف كنت تصنع ؟ إنما رددناك عن دنس ، ومنعناك من كدر ، ثم ما علمت أن الثواب على قدر المشقة ، ويحك : إن الأرباح الكثيرة فى الأسفار البعيدة مشقة .

---

(١٨١) وردت هذه الموعظة بالمدهش (ص ١٦٨ ، ١٦٩ ، من قوله تعالى (يامهلكا نفسه ... إلى قوله (فى الأسفار البعيدة مشقة) .

(١٨٢) تميد : أى تضطرب ولاتستقر وتميل وتتحرك وتتقلب . [اللسان (٤١١/٣ - ميد)] ط - دار صادر .

(١٨٣) (يقول : إذ لحد ما رأى) كذا بالأصل وبالمدهش (فى تقلقل « أرنى » ومارأى) وأرجح ان يكون هكذا (أرنى وما أرى) .

شعر

[صرردر][184]

لو قَرَّبَ الدرُّ على جَلابِه[185]	مالجج[186] الفائق[187] فى طلابِه
ولو أقام لازمًا أصدافه	لم تكن التيجان فى حِسَابِه
ما لؤلؤُ البحرِ ولا مُرْجانه	إلا وراء الهولِ من عُبَابِه
من يعشق العَلْياءَ يلقى عندها	ما لقى الحبُّ من أحبابِه

(١٨٤) نسب صاحب المدهش هذه الأبيات (لصردر) [المدهش (ص ١٥٧)] .

(١٨٥) جُلّابه : أى طُلّابه ومريديه ومستخرجيه . [اللسان (١/٢٦٨ – جلب)] ط – دار صادر .

(١٨٦) لجَّ : لجَّ فى الأمر أى تمادى فيه [اللسان (٢/٣٥٣ – لجج)] ط. دار صادر .

(١٨٧) كذا بالأصل وبالمدهش (الحائض) .

الفصل الخامس

[نداء إلى النفس اللاهية]

يانفس(١٨٨) تدبرى أمرك وتأملى ومثّلى ما يبقى وما يفنى ولا تعجلى ، لقد ضللت طريق الهدى قفى ، واسألى ، وآثرت وهنا يؤرث وهنا لاتفعلى ، يا غمرة من الشقاء ما أراها تنجلى ، أتبع الهوى والهوى علىَّ وليس لى ، أريد حياة نفسى ونفسى تريد مقتلى ، يا جسدا قد بلى بما قد بلى .

شعر

نخطوا(١٨٩) وما خطونا إلى الأجلِ   وينقضى وكأنَّ العمر لم يطل
والعيشُ مؤذننا بالموتِ أولهُ   ونحنُ نرغبُ فى الأيامِ والدولِ

---

(١٨٨) وردت هذه الموعظة بالمدهش (ص ١٥٤) من قوله (يانفس تدبرى أمرك ... إلى قوله (يا جسداً قد بلى بما قد بلى) .

(١٨٩) وردت هذه الأبيات (ص ١٥٤) بالمدهش .

يأتى الحِمَامُ فينسى المرءُ مُنْيَتَه ... وأعضل الداء مايُلهى عن الأملِ[190]
لا تحسب العيش ذا طول فتتبعه ... يا قرب مابين عنق النوم[191] والكفلِ
لنا بما ينقضي من يومنا[192] شغلٌ ... وكلنا علق الاحشاء بالغزلِ
وتُستلذُ الأمانى وهى مردية ... كشاربِ السمِ ممزوجاً من العسلِ

آه[193] لنفس تركت يقينها ، وتبعت آمالها ، جهلت ما عليها وما لها . أما ضربت المثل[194] بأخذ أمثالها ، ليتها تفقدت أمرها ، وشاهدت حالها ، تحضر المجلس بنية ، فإذا قمن[195] بدا لها ، ويحها لو ظهر جزء من مالها ، لهالها[196] .

موعظـــــة

قال إبراهيم[197] التيمى : كنت كثير التردد إلى المقابر أذكر الموتى وطول البلاء ، فبينما أنا ذات ليلة فيها إذ غلبتنى عينى فنمت فرأيت قبراً قد شق وسمعت قائلا يقول : خذوا هذه السلسلة فاسلكوها فى فيه وأخرجوها من دبره ، وإذا الميت يقول : يارب ألم أكن أقرأ القرآن ؟ ألم أكن أحج بيتك الحرام ؟! ، وجعل

---

(١٩٠) ورد الشطر الثانى من هذا البيت هكذا (ونستقر وقد أمسكن بالطول) [المدهش ص ١٥٤] .
(١٩١) كذا بالأصل ووردت فى المدهش (المرء) والأصوب ما فى المدهش .
(١٩٢) كذا بالأصل وبالمدهش (عمرنا) والأفضل ما فى المدهش .
(١٩٣) وردت هذه الموعظة بالمدهش (ص ١٧٨) من قوله (آه لنفس تركت ... إلى قوله (لها لها) .
(١٩٤) كذا بالأصل ووردت بالمدهش (العبر)
(١٩٥) كذا بالأصل ووردت بالمدهش (قامت) .
(١٩٦) لها لها : أى لأفزعها وأخافها [المعجم الوسيط (١٠٠٠/٢)] .
(١٩٧) إبراهيم التيمى: هو إبراهيم بن يزيد بن شريك التيمى : كان من العباد وروى عن أنس وأبيه وعن الحارث بن سويد وأرسل عن عائشة . كان عابداً صابراً على الجوع الدائم ، مات ولم يبلغ أربعين سنة مات سنة ٩٢هـ وقيل قتله الحجاج بن يوسف . [تهذيب التهذيب (١٧٦/١)]

يذكر أفعال البر شيئاً بعد شيءٍ ، وإذا قائل يقول : نعم كنت تفعل ذلك ظاهراً ، فإذا خلوت بارزتنى بالمعاصى ولم تراقبنى .

[مـيزان المحاسـبة]

إخـوانى :[198] فتشوا أحمال الأعمال قبل الوصول ، ولتنظر نفس ما قدمت من كفر[199] . من وقف على صراط التقوى وبيده ميزان المحاسبة ومحك[200] الورع ، يستعرض أعمال نفسه ويرد البهرج[201] إلى كير[202] التوبة ، سلم من رد الناقد ﴿ **يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية** ﴾[203] .

الزاهد حيث أحياه الله على يد عيسى عليه السلام

قال أبوعاصم : حدثنى أخى سفيان قال : مر عيسى عليه السلام بامرأة تبكى على قبر فقال لها : على من تبكى[*] ؟ قالت: على ولدى قال : عليك بالصبر قالت : لا أملكه ، قال : فإن أحياه الله لك ونظرت إليه أتدعين البكاء قالت : نعم قال: فأدعى الله بالاسم الأعظم الذى يحى به الموتى فانصدع القبر وقام ولدها وهو ينفض التراب عن رأسه فقالت المرأة : ياروح الله إن ابنى شاب وهذا شيخ

---

(١٩٨) وردت هذه الموعظة المدهش (ص٣٤٤) من قوله (إخوانى فتشوا أحمال .... إلى قوله .... ما قدمت من كفر) .

(١٩٩) كذا بالأصل وبالمدهش (لغد) .

(٢٠٠) محك الورع : ما يحك به يسمى محكاً . [الوسيط (١/١٩٠)] .
والورع : الكف عن المحارم . [اللسان (٨/٣٨٨ – ورع)] ط – دار صادر .

(٢٠١) البهرج : الباطل والزيف . [اللسان (٢/٢١٧ – بهرج)] ط – دار صادر .

(٢٠٢) كير التوبة : الكير جهاز من جلد أو نحوه يستخدمه الحداد للنفخ فى النار لإشعالها فينقى الحداد خبث الحديد بالنار [اللسان (٥/١٥٧ – كير)] ط – دار صادر .
والمعنى : نق نفسك من الذنوب والآثام بالتوبة .

(٢٠٣) سورة الحاقة – الآية : ١٨ .

(*) كذا بالأصل والصواب تبكين .

فسأله عيسى عليه السلام فقال : ياروح الله لما سمعت النداء ظننت أنها القيامة قد قامت فشاب رأسي ، فقال له عيسى : ما وجدت فى قبرك قال : يا روح الله كنت حمَّالا فحملت ذات يوم لبعض الناس حطباً فأخذت منه شظية فتخللت بها ورميت بها إلى الأرض فأول شيء سئلت عنه تلك الشظية .

موعظة عن النبى ﷺ

قال قيس بن عاصم[٢٠٤] : وفدتُ مع جماعةٍ من بنى تميم على رسولِ الله ﷺ فلما دخلنا عليه قلت : يارسول الله عظنا بموعظة ننتفع بها فقال عليه الصلاة والسلام : إن مع العزِ ذلاً ، وإن مع الحياةِ موتاً ، وإن مع الدنيا آخرة وإن لكل شيءٍ حسيباً ، ولكل حسنةٍ ثواباً ، ولكل سيئةٍ عقابًا وإنك لابدُ لك من قرينٍ يُدفن معك وهو حى وتُدفن معه وأنت ميتٌ فإن كان كريماً أكرمك وإن كان لئيمًا أسلمك لايُحشرُ إلا معك ولا تُبعثُ إلا معه ولا تُسأل إلا عنهُ فلا تجعله إلا صالحاً وهو عمـلك فقال قيس : وددنا يا رسول الله لو أن هذا الكلام فى أبيات من الشعر نعلمه لأبنائنا لينتفعوا فقال الصلصال بن الداهش : يارسول الله حضرتنى أبيات من الشعر أحسبها توافق ما يريده قيس فقال : **هاتها** فأنشد :

تخيرْ خليلاً من فعالِكَ إنـه ... قرينُ الفتى فى القبرِ ما كان يفعلُ
فإن كنتَ مشغولاً بشيءٍ فلا تكنْ ... بغيرِ الذى يرضى به الله يُشغلُ
فلن يصحبَ الإنسانَ مِن بعد موته ... إلى قبرِه إلا الذى كان يعملُ
ألا إنما الإنسان ضيفٌ بأهلـه ... يُقيمُ قليلاً عندهُم ثم يَرحلُ

---

(٢٠٤) قيس بن عاصم بن سنان بن خالد المنقرى ، صحابى مشهور بالحلم ، والشجاعة ، ووفد على النبى ﷺ فى وفد تميم (سنة ٩هـ) فأسلم . نزل بالبصرة فى آخر أيامه وتوفى بها ، وكان له ٣٣ ولد . (... - ٢٠هـ)

[تقريب التهذيب (١٢٩/٢)]
[الأعلام (٢٠٦/٥)]

[ألكـــم صبر على العقوبـــة]

يا أهل[٢٠٥] الذنوب والخطايا ، ألكم صبر على العقوبة ؟ ﴿ **كلا ، إنها لظى** ﴾[٢٠٦] إذا شاهدت من اشترى لذة ساعة بعذاب سنين ، ﴿ **تكاد تميز من الغيظ** ﴾[٢٠٧] ، من أراد النجاةَ منها ، فليتب ﴿**من قبل أن يتماسا** ﴾[٢٠٨]، كيف أمن العصاة وعيد ، ﴿ **وإن منكم إلا واردها** ﴾[٢٠٩] كيف نسوا غب الزلل ، ﴿ **ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره** ﴾[٢١٠] لونطق[٢١١] الموتى بعد دفنهم ، لنَدَبوا على قبيح فعلهم ولقالوا رحلنا عن ظلم شرورنا إلى ظلم قبورنا ، وخلونا عن الأخلاء فى ترابنا بآفة لا ترى بنا أفترى مُحبنا إذا ظعنا ، بمن أعتاض عنا ، وهذا مصيرك عن قليل فتأهب با مقيم للتحويل .

شـــعر

هل الدهرُ إلا ما عرفنا وأدركنا	فجائعه[٢١٢] تبقى ولذاته تفنى
إذا أمكنت فيه مسرة ساعة	تولت كمر الطرفِ واستخلفت حزنا
حَصلْنَاَ على هم وإثم وحسرة	وفات الذى كنا نَلذ به عنا
كأن الذى كنا نُسرُ بكونه	إذا خففته النفس لفظ بلا معنى

(٢٠٥) وردت هذه الموعظة بالمدهش (ص ٢١٧) من قوله (ياأهل الذنوب والخطايا ... إلى قوله الله تعالى ﴿ ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ﴾ .

(٢٠٦) سورة المعارج – الآية : ١٥ .

(٢٠٧) سورة الملك – الآية : ٨ .

(٢٠٨) سورة المجادلة – الآية : ٣ .

(٢٠٩) سورة مريم – الآية : ٧١ .

(٢١٠) سورة الزلزلة – الآية : ٨ .

(٢١١) وردت هذه الموعظة بالمدهش (ص ٢٤٤) من قوله (لو نطق الموتى بعد دفنهم ... إلى قوله (يا مقيم للتحويل) .

(٢١٢) فجائعه : أى مصائبه المؤلمة [اللسان (٨/٢٤٥ – فجع)] ط – دار صادر .

هـادم اللـذات

أين مصون[٢١٣] الحصون ؟ أزعج عنها ، أين مقصور القصور ؟ خرج منها ، نقله هادم اللذات[٢١٤] نقلا سريعا ، وغمسه فى بحار الآفات غمسا فظيعا ، وفرق بينه وبين أهله وبنيه ونقض من مشيد أهله ما كان يبنيه ، لقد ولى ولاء ذى ود ينفعه ، وبان فبان لبنى الدنيا مصرعه ، هجره والله من هاجر إليه ونسيه نسيبه وقد كان يحنو عليه ، فلا صديقه صدقه فى مودته ولا رفيقه رافقه فى شدته ، حلوا والله بالبلاء فى البلى ، وودعهم من أودعهم ثم قلى[٢١٥] ، وانفردوا فى الأخدود بين الدود ووحش الفلا ، وسألوا الإقالة[٢١٦] فقيل لهم أمَّا هذا فلا .

شـعر

إن[٢١٧] الليالى والأيامَ قد كشفتْ ... من مُكْرِهَا كلَ مستورٍ ومكنونِ
وحدثتنا بأنَّا من فرائسِهَا ... نواطقٌ بفصيح غير ملحونِ
واستشهدت من مضى منا فأخبرنا ... عن ذاكَ كل لَقاءٍ منا ومدفونِ
ونحن فى ذاكَ نصفيها مودتنا ... تباً لكلِّ سفيهِ الرأى مغبونِ
أغوى الهوى كل ذى عقلٍ فلستَ ترى ... إلا صحيحاً له أفعالُ مجنونِ
حتى متى نشترى دنيا بآخرةٍ ... سفاهةً ونبيع الغالِ بالدونِ
نجمع المالَ نرجوا أن يُخَلِدَنَا ... وقد أبى قبلنَا تخليدَ قارونِ

---

(٢١٣) وردت هذه الموعظة بالمدهش (ص ٢٤٤) من قوله (أين مصون الحصون – إلى قوله (فقيل لهم أمَّا هذا فلا) .
(٢١٤) هادم اللذات : الموت .
(٢١٥) قلى : هجر وترك [الوسيط (٧٥٧/٢ – قلى)] .
(٢١٦) الإقالة : الصفح والغفران [الوسيط (٧٧٠/٢ – قال)] .
(٢١٧) وردت هذه الأبيات بالمدهش (ص ٢٥٦) .

زهـــد ابن ملك فى الدنيـــا

يروى أن الإسكندر مر فى سفره بمدينة قد ملكها سبعة من الملوك وبادوا جميعهم فقال : هل بقى من نسل هؤلاء الملوك أحد فقالوا : نعم بقى رجل وهو فى المقابر لا يركن إلى أحد ولا يأنس بأحد قال لهم : دلونى عليه فلما آتاه رأى رجلا قد أنحله الخوف والعبادة فسلم عليه ذو القرنين فرد عليه السلام فقال له ذو القرنين : ماحملك على لزوم المقابر ؟ فأطرق إلى الأرض ثم رفع رأسه وقال : أردت أن أعزل عظام الملوك من عظام عبيدهم فلم أقدر على ذلك ، فقال له ذو القرنين : هل لك أن تتبعنى فأحيى بك شرف أبائك إن كانت لك همة ، قال الرجل : إن همتى لقليلة إن كان بغيتى عندك ، فقال له ذو القرنين : وما بغيتك ؟ قال : أبغى حياةً لا موتَ بعدها ، وشباباً لا هرمَ بعده ، وغناً لا فقر معه ، قال ذو القرنين ، لا أقدر على ذلك ، فقال له الفقير امض إلى شأنك ودعنى أطلب ذلك ممن هو عليه أقدر وله أملك ، فإن الدنيا قد ذهبت والآخرة قد اقتربت والسفر بعيد وليس معى زاد والرقاد طويل وأنا على غير معاد .

لما رأى المستيقظون سطوة الدنيا بأهلها وخداع العمل لأربابه لجأوا إلى حصن الزهد كما يأوى الصيد المذعور إلى الحرم . لاح لهم حب المشتهى فلما مدوا إليه أيدى التناول ، بان لهم خيط الفخ ، فطاروا بأجنحة الحذر ، وجمعوا الرحل قبل الرحيل ، وشمّروا إلى سواء السبيل فالناسُ فى الغفلات وهم فى قطع الفلاة ، باتت قلوبهم يقلقها الوجد ، فأصبحت دموعهم يسترها الجفن ، فإذا سمعوا ناطقاً باسم الحبيب ، أخذ جزر الدموع فى المد ، من قلقله الخوف كيف يسكتْ من أزعجهُ الحَبُ كيف يسكنُ ، من آلمهُ البعَدُ كيف يصبرْ ؟!

شـــعر

حياتى منك فى عود الوصال فصبرى عند من طلب المحال
وكيف أصبر ومالى عنك صبر وعطشان عن الماء الزلال .

[أرواح المحـــبين]

أرواح المحبين خرجت بالرياضة من أبدان العادات فهى فى حواصل طير الشوق ترفرف على أطلالِ الوجدِ ، وتسرحُ فى رياض الأنس ، عند المحبين شغل يشغلهم عن الجنة ، فكيف يلتفتون إلى الدنيا ، ما ترى عينُ المحبِ إلا المحبوب « فبى يسمع وبى يبصر » .

شـــعر

أنت[٢١٩] عينُ العينِ إن نظرتَ ولسانُ الذكـــرِ إن ذَكَـــرا
أنتَ سمعـــى إن سمعتَ به أنتَ سرُ السرِ إنْ خَطَـــرا

الفصـــل الســـادس

[يا متعباً فى جمع المال بدنـــه]

يامن[٢٢٠] قد بلغ أربعين سنة ، وكل عمره نوم وسنه ، يا مُتْعِبا فى جمعِ المالِ بدنه ، ثم لا يدرى لمن قد خزنه ، اعلم أن هذه النفس الممتحنة إنها بكسبها مرتهنة ، ألا يعتبر المغرور بمن قد دفنه ؟! كم رأى جبارا فارق مسكنه ؟ ، وسكن مسكن مسكنة ! يا راحلين بالإقامة ، يا هالكين بالسلامة ، أين من أخذ صفوها أنتم فى كدره ؟! أما وعظكم فى سيره بسيره ، أين من كان يخاف لباسه ؟! أما تغوض القبر من لباسه ، أين من كان على نسائه شديد الغيرة ؟!
أما رحل عنهن واخترن غيره ، أين من كان يسرى آمنا فى سربه ؟! أما قال للتلف خذه وسر به ، أما عاقبة الألفة فرقة : أما زاد ذى المال إلى القبر خرقه أعز سمعك

---

(٢١٨) وردت هذه الموعظة بالمدهش (ص ٣٦٥) من قوله (أرواح المحبين ... إلى قوله (إلا المحبوب « فبى يسمع وبى يبصر ») .

(٢١٩) ورد هذان البيتان بالمدهش (ص ٣٦٥) .

(٢٢٠) وردت هذه الموعظة بالمدهش (ص ١٥٥) ، من قوله (يا من بلغ أربعين سنة ... إلى قوله (أما وعظكم فى سيره بسيرة) .

الأصوات فلا تسمع إلا فلاناً مات ، أَجِل بصرَك فى الفلوات ، فهل ترى إلا القبور الدراسات؟!

شعر

ألا كل[٢٢١] حيٍّ هالكٌ وابنُ هالكٍ وذى نَسبٍ فى الهالكين عَرِيق
إذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت له عن عدوٍ فى ثياب صديقِ
فلا تحسب الدنيا إذا ما كسبتها[٢٢٢] قرارا فما دنياك غير طريق
عليك بدار لايزول بغمها[٢٢٣] ولا يتأذى أهلها بمضيق

[قد حام الحمام حول حماكم]

إخوانى[٢٢٤]: قد حام الحمام حول حماكم، وصاح بكم إذا خلا النادى وناداكم ، وأولاكم من النصيح حقكم ، فما أحقكم بالتدبر وأولاكم ، وهو عازم على اقتناصكم وما المقصود سواكم كم أخلى الموتُ داراً ؟ كم ترك العامر قفاراً ، كم أذاق الغصص المرة مراراً . لقد جال يمينا ويسارا ، فما حابى فقرا ولا يسارا .

شعر

خَلط الحِمامُ قويهم بضعيفهم وغنيهم ساوى بذى الإقتار
سُلبوا النضارة والنعيم فأصبحوا متوسدين وسائد الأحجار

---

(٢٢١) وردت هذه الأبيات فى المدهش ونسبها إلى (أبى نواس) [المدهش (ص ١٩٨)] .

(٢٢٢) كذا بالأصل وبالمدهش (سكنتها) والصواب ما ذكر فى المدهش .

(٢٢٣) كذا بالأصل وبالمدهش (ظلالها) والصواب ما ورد بالمدهش .

(٢٢٤) وردت هذه الموعظة بالمدهش (ص ١٨٧) من قوله (إخوانى قد حام الحمام ... إلى قوله (فما خاب فقراً ولايساراً) .

(٢٢٥) وردت هذه الأبيات بالمدهش (ص ٣١٢) .

تركوا ديارهم على أعدائهم وتوسدوا مدراً[٢٢٦] بغير دثار
والدهر يعجلنا على آثارهم لابد من صبح المجد السارى

سئل رسول الله ﷺ : من أزهد الناس قال : « **من لم ينس المقابر والبلى وآثر مايبقى على ما يفنى وعد نفسه من الموتى** »[٢٢٧] .

تنبيه لشقيق[٢٢٨]

أتيت إلى أستاذى أبى هاشم[٢٢٩] الرمانى ، وفى طرف كسائى شمبه[٢٣٠] مصرورة ، فقال لى : ما فى كسائك ياشقيق ، قلت : لويزات[٢٣١] أفطر عليهن ،

---

(٢٢٦) مدراً : قطع الطين اليابس ، والدثار : الثوب الذى يستدفأ به من فوق الشعار .

[اللسان (١٦٢/٥ - مدر] ط. دار صادر

[اللسان (٢٧٦/٤ - دثر] ط. دار صادر

(٢٢٧) روى بنحوه ابن أبى شيبة عن الضحاك بن مزاحم (٢٢٢/١٣ ، ٢٢٣) .

(٢٢٨) شقيق البلخى : هو شقيق بن إبراهيم الأزدى البلخى ، أبوعلى ، زاهد صوفى ، من مشاهير المشايخ فى خراسان ولعله أول من تكلم فى علم الأحوال (الصوفية) بكور خراسان ، وكان من المجاهدين . استشهد فى غزوة كولان (بما وراء النهر) (... - ١٩٤هـ) .

[الأعلام (١٧١/٣)]

(٢٢٩) أبوهاشم الرمانى : الواسطى ، واسمه يحيى بن دينار وقيل ابن الأسود وقيل ابن نافع .

[تقريب التهذيب (٤٨٣/٢)]

(٢٣٠) كذا بالمخطوطة ولعلها تكون (شملة) ومعناها : كساء من صوف أو شعر يتغطى به ويتلفف به أو شقة من الثياب ذات خمل يتوشح بها ويتلفع . [الوسيط (٤٩٥/١)] .

(٢٣١) لويزات : جمع لويزة وهى تصغير لكلمة لوزة واللوز شجر مثمر منه الحلو ومنه المر . [الوسيط (٨٤٥/٢)] .

دفعهن إلىَّ بعضُ الإخوان ، فقال : وأنت تحدث نفسك أنك تعيش إلى الليل ؟! ، والله لا كلمتك إلا أن يشاء الله ، وأغلق البابَ فى وجهى ودخل إلى منزله .

وقيل : وُجِدَ على لوحٍ منقوشٍ يا ابنَ آدم ما أقسى قلبك وما أجهلك بأمرك ، تُعَمِّر دارَ الفناءِ وتُخَرِّب دارَ البَقاءِ ، أشغلت قلبك بما لاينفعك فى الدنيا ، ويضرك فى العقبى ؟! فبادر ثم بادر بصلاح العمل ، قبل حلول ما تحاذره من مناقصة الأجل .

شعر

يانفسُ[٢٣٢] توبى فإنَّ الموتَ قَدْ حانا	وَاعْصى الهوى فالهوى مازالَ فتانا
أما تَرَيْنَ المنايا كيفَ تُدْركنا	غدا وتلحق أخرانا بأولانا
فى كلِ يومٍ لنا ميت نُشيعُه	نرى بِمَصْرَعِهِ آثارَ موتانا
يا نفسُ ما لى وللأموالِ أتركُها خَلْفى	وأُخْرُجُ مِنْ دنياى عُريانا
أبعد خمسين قد قضيتها لعبا	قد آنَ أَنْ تقصرى قد آنَ قد آنا

قيل[٢٣٣] : شيع الحسن جنازة فجلس على شفير القبر وقال : إنَّ أمراً هذا أولُهُ لحقيقٌ يخاف آخره ، وإن امرأً هذا آخره لجدير أَنْ يزهد فى أوله .

تفكر فى القبر

ويروى عن رسول[٢٣٤] الله ﷺ أنه قال : « **إذا وضع الميت فى قبره وحثى عليه التراب أمر الله تعالى الروحَ أن تعود إليه فيصيرَ حياً كما كان فى دارِ**

---

(٢٣٢) وردت هذه الأبيات بالمدهش (ص ٣٧٥) .

(٢٣٣) ورد هذا الأثر بالمدهش (ص ١٩٠) من قول (شيع الحسن جنازة ... إلى قوله (لجدير أن يزهد فى أوله) .

(٢٣٤) لم يرد هذا الحديث بنصه فيما أعلم ولكنه ورد بروايات أخرى [انظر حلية الأولياء (٥٦/٩ ، أبوداود الطيالسى فى منحة المعبود (١٥٤/١) برقم ٧٤٣ ، وأحمد (٢٢٦/٣ ، ٢٣٣) ، (٢٨٧/٤ ، ٢٨٨) ، وابن حبان فى الموارد (٧٨١) ص/١٩٧

الدنيا ، فيسمع خفق نعال الماشين وقول المنادى انصرفوا رحمكم الله فيقول : ياليتنى كنت من المنصرفين » .

شعر

انصرف الناسُ إلى دورِهم وغدوا والميت فى رَمْسِهِ
مرتهنُ النفسِ بأعمالها قَدْ يُرْتَجَى الإطلاق من حَبْسِهِ
لنفسه صالح أعمالها وما سواه فعلى نفسه

قال : ثم إن الميت ينظر إلى وحدته ، وانفراده فى حفرته فينادى ولده وأخاه وأباه ، حتى لايدع أحداً من أهله إلا ناداه ، فلا يجيبه منهم أحد ، فيأمر الله عز وجل قبره أن يجيبه ، فيقول له القبر : ما الذى تريد يا من حِيلَ بينه وبين ما يريد فيقول الميت : من أنت أيها المتكلم فقد أحزن كلامك قلبى ، فيقول : أنا قبرك وبيت عملك الذى نسيتنى ولو كنت عَمَّرتَنى كنت اليوم لقيتنى ووجدتنى ثم إن القبر يضمه ضمة تختلف فيها أضلاعه فيا من[٢٣٥] شيع ببدنه نفس ميته وقلبه فى سوقه أو بيته ، اتخلى بين الودود والدود ، وتعود إلى المعاصى حين تعود ، هل لا(*) أَجَلْتَ بالبال[٢٣٦] ذكر البالى ، وقلت للنفس الجاهلية هذا لى ، من زار القبور والقلب غافل ، وسحى بين الأحداث والفكر ذاهل وشغله عن الاعتبار لهو شاغل فهو قتيل ، قد أسكره القاتل .

شعر

وما أعطى[٢٣٧] الصبابةَ ما استحقت عليه ولا قضى حقَ المنازِلِ
ملاحظها بعين غير عبرى وزائرها بجسم غير ناحل

---

(٢٣٥) وردت هذه الموعظة بالمدهش (ص ١٩٠) من قوله (فيا من شيع ببدنه – إلى قوله (قد أسكره القاتل) .

(*) كذا بالمخطوطة والصواب (هلّا) .

(٢٣٦) البال : الخاطر أو الفكر [اللسان (٧٤/١١ – بول)] ط – دار صادر .

(٢٣٧) ورد هذان البيتان بالمدهش (ص ١٩٠) .

[جبـــال الأمـــل]

يا هذا(٢٣٨) عواصف الحوادث تنسف جبال الأمل ، ومعاول الزمان تهدم جدران الأجل ، أليس الزمان يعبر ثم يغير ، فأين الفهم لتدبير ما إليه تصير ، حالت غمائم الهوى ، بينكم وبين شمس الهدى ، وغدا ما فى يومكم ينسيكم غدا ، حتى كان الرحيل حديث خرافة ، وكأن الزاد يفضل عن المسافة ، أيها الشيوخ : آن الحصاد أيها الكهول : قرب الجذاذ(٢٣٩) ، أيها الشاب كم جرد الزرع جراد .

شـــعر

فيا ابنَ(٢٤٠) آدمَ لا يغررْكَ عافيةٌ ... عليك شاملةٌ فالعمر معدودُ
ما أنت إلا كزرع عندَ خُضرتِه ... بكلِ شيءٍ من الآفاتِ مقصودُ
فإن سَلِمْتَ من الآفاتِ أجمعها ... فأنتَ عندَ كمالِ الأمرِ محسودُ(٢٤١)

قال وهب بن منبه(٢٤٢) : ما من شعرة فى ابن آدم تَبْيَضُّ إلا وتقول للتى تليها : أختى قد جاء الموت فاستعدى له .

---

(٢٣٨) وردت هذه الموعظة بالمدهش (ص ١٥٩) ، من قوله (يا هذا عواصف الحوادث ... إلى قوله (كم جرد الزرع جراد) .

(٢٣٩) الجذاذ : القطع أو الكسر [الوسيط (١/١١٢)] .

(٢٤٠) وردت هذه الأبيات بالمدهش (ص ١٦٠) .

(٢٤١) هكذا بالأصل وبالمدهش (محصود) .

(٢٤٢) وهب بن منبه الأبناوى الصنعانى الذمارى ، أبوعبدالله : مؤرخ ، كثير الإخبار عن الكتب القديمة عالم بأساطير الأولين ولاسيما الإسرائيليات . يعد فى التابعين . أصله من أبناء الفرس الذين بعث بهم كسرى إلى اليمن وأمه من حمير ولد ومات بصنعاء (٣٤هـ ١١٤هـ) .

[الاعلام (٨/١٢٥)]

فى العبـــادة بعد الشـــيب

وذكـر عن إياس بن[٢٤٣] قتادة ابن أخت الأحنف بن قيس[٢٤٤] أنه كان ذات يوم فى داره وإذا ببنى تميم قد اجتمعوا بالباب فى بعض الأمور وكانوا إذا أشْكِلَتْ عليهم معضلة أخذوا رأيه فيها فقام ولبس ثيابه وقال : لا يرانى الله حماراً لحاجاتِ بنى تميمٍ بعدَ اليوم يا بنى تميم قد وهبتكم شبابى فهى إلى مشيبى ، ثم اعتزل ولزم العبادة والاجتهاد حتى مات .

وقال هلال بن قتادة : كان الرجل من أهل المدينة إذا رأى الشيب فى لحيته ترك الدنيا وتفرغ للعبادة .

وقال بعض الحكماء : من بلغ أربعين سنة ولم يغلب خيره على شره فلينع على نفسه .

وقيل : من بلغ أربعين سنة ولم يغلب خيره على شره أتاه الشيطان فمسح وجهه وقال يا بى وجه[٢٤٥] لا يفالح .

---

(٢٤٣) إياس بن قتادة : التميمى ، ابن أخت الأحنف بن قيس وكان قاضياً لبنى تميم .
[الحلية (١١٠/٣) رقم ٢٢٢]

(٢٤٤) الأحنف بن قيس بن معاوية بن حصين المرى السعدى المنقرى التميمى ، أبوبحر : سيد تميم وأحد العظماء الدهاة الفصحاء الشجعان الفاتحين يضرب به المثل فى الحلم ولد فى البصرة وأدرك النبى ولم يره ، شهد الفتوح فى خراسان واعتزل الفتنة يوم الجمل توفى بالكوفة (٣ق هـ - ٧٢هـ) وأخباره كثيرة جداً . [الأعلام (٢٧٦/١)] .

(٢٤٥) وجه لايفالح : كذا بالأصل ولعل المراد بذلك أن الشيطان يفرح فرحاً شديداً لعدم فلاح أحد من بنى الإنسان .

شـــعر

[للبحـترى][246]

إذا مضى للمرءِ من أعوامِه خَمسونَ وهو إلى المظالم[247] يجنح
ركضت[248] عليه المخزيات وقلن قد ارتضينا فاقم كذا لا تبرح[249]
وإذا رأى أبليس غرة وجهه حيا وقال قد تب[250] من لايفلح

توبـــة عـاص

يروى : أن حبشيا جاء إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله عصيت ربى ، أيام شبابى ، وسودت بالمعاصى كتابى ، وقد بدأ شبابى ينقرض ، وشيبى يعترِض والآن أنا أستحى من ربى ، أفتراه إن تبت يقبلنى ؟ قال : **نعم** فولّى الرجلِ ثم رجع ، فقال : يا رسول الله أكان يرانى وأنا أعملها ؟ قال : **نعم** فصاح صيحةً عظيمةً وخرَّ مغشيا عليه فحركوه فإذا هو ميت .

---

(٢٤٦) نسب صاحب المدهش هذه الأبيات (للبحترى) [المدهش (ص ٣٤٤)] (ديوان شعره ٤٨٢/١) .

(٢٤٧) كذا بالأصل وبالمدهش (التقى لا)

(٢٤٨) كذا بالأصل وبالمدهش (عكف) .

(٢٤٩) الشطر الثانى من هذا البيت ورد فى الديوان هكذا (قد أضحكتنا وسررتنا لاتبرح) [هامش المدهش (ص ٣٤٤)] .

(٢٥٠) كذا بالأصل وبالمدهش (فديت) والصواب ما ذكر فى الأصل ، (وتب) بمعنى خسر وهلك .

موعظـــــة

قال محمد بن إبراهيم الكوفى : سمعت محمد بن[٢٥١] السماك يقول : كنت كثيرا ما أطلب الزُهَّاد والعُبَّاد فذكر لى رجل من الزهاد بعبادان فخرجت فى طلبه ، حتى أتيت عبادان فسألت عن منزله فرشدت إليه ، فقرعتُ عليه البابَ فخرجتْ لى جارية خماسية[٢٥٢] القد ، فقالت : ما شأنك أيها الطارق ؟ قلت : أريد منزل فلان . قالت : عليه وقعت ، فما حاجتك ؟ قلت : أحب أن تستأذنيه لى فى الدخول عليه .

قال : فدخلت فإذا أنا برجل قد احتفر قبرا ووضع فيه رجليه وبيده خوص يصنعه وهو يتلو هذه الآية : ﴿ **أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء ، محياهم ومماتهم ساء مايحكمون** ﴾[٢٥٣] فسلمتُ عليه فردَّ علىَّ السلام وقال : ما اسمُك ؟ قلت : محمدٌ قال : ابنُ منْ ؟ قلت : ابنُ السماكِ ، قال : لعلك الواعظ ، قلت : أجل ، قال : إن الواعظ عندى بمنزلة الطبيب ، ولى داء قد أعيا المعالجين قبلك ، فعسى أنت تناله برفقك ، وتلصق عليه بعض مراهمك مما تعلم أنه يلائمه منها ، فقلت : أما تعلم أنه لا دار بعد هذه الدار إلا الجنة أو النار ؟ قال : فتغير وجهه فقلت : ياأخى إن العمر قد ولَّى ، والضعف قد تولَّى ، وإن كاتبيك قد حفظا عليك ما سلفك من قبيح العمل ، ولعل المنيةَ تعالجك قبل إدراك الأملِ ، قال : فلما سمع ذلك لم يتمالك أن شهق شهقة وخر مغشياً عليه فاقبلت امرأته وابنته يبكيان من خلف السِّتر فبقى كذلك طويلا ثم أفاق وقال : يا ابن السماك قد وافق دواؤك

---

(٢٥١) محمد بن السماك : هو محمد بن صبيح بن السماك ، يكنى أبا العباس ، وهو من الطبقة السابعة من أهل الكوفة لكنه قدم بغداد ، وقابل هارون الرشيد ومكث ببغداد مدة ثم عاد إلى الكوفة فتوفى فيها سنة ثلاث وثمانين ومائة .

[صفة الصفوة (٣/١٧٤) رقم ١٥٤]

(٢٥٢) جارية خماسية : الخماسى من الغلمان والثياب ما طوله خمسة أشبار . [الوسيط (٢/٢٥٦)] والمعنى أن طول قدها خمسة أشبار .

(٢٥٣) سورة الجاثية – الآية : ٢١ .

دائى ، ولصق مرهمك بجلدى ، زدنى فإن المرهم إذا خلف المرهم اندمل(٢٥٤) الجرح والتأم ، فقلت : ياأخى نحن على يقين من ذنوب سلفتْ ، وفى شكٍ من قبول توبة ، فإن جاد بالفضل فأين ذبول الخجل خشية العتاب ؟! وإن قضى بالعدل فأين تحول الرجل خيفة العقاب ، قال : فصرخ صرخة عظيمة وخر مغشيا عليه فمكث طويلا ثم أفاق وقال : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله ثم سكن طويلا فحركته فإذا هو ميت .

شـــعر

[قال المهيـار](٢٥٥)

أيها الرامى وما أجرى دما ... ليتنى قد بلغت(٢٥٦) الغرضـا

لما تمكنت(٢٥٧) المعرفة من قلوبهم ، أثرت شدة الخوف فارتفع ضجيج الوجد ، أتاهم من الله وعيد وقوفهم(٢٥٨) فعجزت أبدانهم عما حملت قلوبهم ﴿ **فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر** ﴾(٢٥٩) .

شـــعر

(٢٦٠)

قصوا علىَّ حديث من قتل الهوى ... إنَّ التأسىَ روحُ كلِ حزينِ

(٢٥٤) اندمل : أى أخذ فى البرء والشفاء [اللسان (١١/٢٥١ - دمل)] ط - دار صادر .

(٢٥٥) نسب صاحب المدهش هذا البيت (للمهيار) [المدهش (ص ٣٦٥)] .

(٢٥٦) كذا بالأصل وبالمدهش (أصبت) .

(٢٥٧) وردت بالمدهش (ص ٤٢٤) من قوله (لما تمكنت المعرفة ... إلى قول الله تعالى ﴿ فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر ﴾ .

(٢٥٨) كذا بالأصل وبالمدهش (وقذهم) .

(٢٥٩) سورة الأحزاب - الآية : ٢٣ .

(٢٦٠) ورد هذا البيت بالمدهش (ص ٤٢٥) .

الفصـــل الســـابع

[موعـــظة الدهـــر]

يا من يعَظُه الدهر ولايَقبل ، وينذره القهُر ثم يرحل ، ويضم العيب إلى الشيب وبئس مايفعل ، كن كيف شئت فإنما تجازى بما تعمل[٢٦١] .

شـــعر[٢٦٢]

دَعْنى فانَّ غريمَ العقلِ لازمنى	وذا زمانُك فامرحْ فيه لا زمنى
ولَّى الشباب بما أحببت من منح	والشيبُ جاءَ بما أبغضت من محن
فما كرهتُ سوى[٢٦٣] عندى وعنفنى	وما حرصت عليه حين عرفنى[٢٦٤]

[تحـــذير المـــوت]

كأنما[٢٦٥] بالموت وقد خطف ، ثم عاد إلى الباقى وعطف ، تنبه للموت ياابن النُطَف ، فقد حاذى الرامى الهدف كم تسير فى سرف ؟ ليت هذا العزم وقف ، تؤخر الصلاة ثم تأيتها كالبرق خطف ، تجمع سوء كيلة مع

---

(٢٦١) هذه الموعظة وردت بالمدهش (ص ٢٣٦) من قوله (يا من يعظه الدهر ... إلى قوله (تجازى بما تعمل) .

(٢٦٢) وردت هذه الأبيات بالمدهش (ص ٢٣٦) .

(٢٦٣) كذا بالأصل وبالمدهش (ثوى) .

(٢٦٤) كذا بالأصل وبالمدهش (عن فنى) .

(٢٦٥) وردت هذه الموعظة بالمدهش (ص ١٧٤) ، من قوله (كأنها بالموت وقد خطف ... إلى قوله (فأين ما منه خلف) .

حشف[٢٦٦]؟! الجسم أتى والقلب انصرف يا من باع الدر واشترى الصدف[٢٦٧] ، ابسط رماد الخوف على بساط الأسف ، وابك عليَّ فأين ما منه خلف .

[شــدة الخــوف]

قال بعض الصالحين : كنا فى مجلس بعض الوعاظ فوعظ حتى أبكى من حضر وكان فى المجلس شاب فذكر الواعظ النار وما أعد الله تعالى فيها من العذاب الأليم لمن عصاه فصاح الشاب : واأسفى على ما فرطت فى جنب الله ضيعت عمرى ونسيت أجلى وقصرت فى عملى ثم استقبل القبلة وقال : اللهم إنى استقبلتك فى يومى هذا بتوبة لك لا يخالطها رياء لغيرك فاقبلنى على ما كان منى ، وأَقِلْ عثرتى ، وارحم غربتى ، إلهى إليك رجعت بجميع جوارحى صادقا من قلبى ، فالويل لى إن لم تقبلنى ثم سقط مغشيا عليه فحركناه ، فإذا هو ميت رحمة الله تعالى عليه .

هـذا عبدٌ استيقظ فعلم تقصيره واستبصر ، فشاهد بعين البصيرة مصيرَهُ ، فاستولى عليه وارد الخوف ، فصدع قلبه فرضى الله عنه وأرضاه ، ﴿**ذلك لمن خشى ربه**﴾[٢٦٨] .

شــعر

يا صاحبـــى الهوى شـديـــدٌ ووعـــدٌ سلطانُــه وعيـــدٌ
فقـلـــلا بالمنـــى فــــردا قريب أطماعُـــه بعيـــدُ

قد هــان قتلى على علمى إن قتيـــل الهوى شـهيـــدٌ
أهـل الهوى لا الشقـى منهم يعـــرف فيهم ولا السعيـــدُ

(٢٦٦) الحشف أردأ التمر (وتجمع سوء كيلة إلى حشف) مثل يضرب لمن يجمع خصلتين مكروهتين . [الوسيط : ١٧٦/١] .

(٢٦٧) كذا بالأصل وبالمدهش (الخزف) وما بالأصل هو الأفضل .

(٢٦٨) سورة البينة – الآية : ٨ .

يا مـــن له عزة الموالـــى رفقـــا فقـــد ذلت العبيـــدُ
وحق دينُ الهوى يمينـــا إلا بها المرغـف العميـــدُ
من ظفـــرت بالمنى يـــداه فكـــلُ أيامِـــهِ سعـــودُ

وعن محمد بن السماك رضى الله عنه أنه قال : يا ابن آدم أما آن لك أن تطيع من لم يطع الحاسدين فيك ، أما وعزته لو أطاعهم فيك لجعلهم نكالا ، فاجتهد فى تحصيل زادك ليوم معادك مادام العمل يُرفع ، والقول يُسسمع .

(٢٦٩)

يروى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : ذكر رسول الله ﷺ باب التوبة: فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه يارسول الله وما باب التوبة ، فقال رسول الله ﷺ : « **باب التوبة خلف المغرب له مصراعان من ذهب مكللان بالدر والياقوت ما بين المصراع إلى المصراع أربعون عاما للراكب المجد وذلك الباب مفتوح منذ خلق الله الدنيا إلى صبيحةِ طلوع الشمس من مغربها فإذا أطلقت ولم يتب عبد توبة نصوحا ولجت التوبة من ذلك الباب ثم تغرب الشمس والقمر فى ذلك الباب ثم يرد المصراعان ويلتئم مابينهما كأن لم يكن بينهما صدع قط فعند ذلك لايقبل من العبد توبة ولا تنفعه حسنة يعملها فى الإسلام إلا من كان قبل ذلك محسنا فإنه يجرى له عمله على ما كان يجرى قبل ذلك وإلى ذلك الإشارة بقوله عز وجل : ﴿ يوم يأتى بعض آيات ربك لاينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيرا ﴾**(٢٧٠) .

شـــعر

بادر إلى التوبةِ الخلصاء مجتهدا والموتُ ويحكَ لم يمددْ إليك يدا
وارقبْ من الله وعدا ليس يُخلفَهُ لابد لله من إنجاز ما وعـــدا
فإنما المرءُ فى الدنيا على خطرٍ إن لم يكن ميتا فى اليوم مات غدا

(٢٦٩) روى بنحوه فى سنن الترمذى (٥/٥١٠)، ح (٣٥٣٥ ، ٣٥٣٦) ، وأحمد (٤/٢٤٠ ، ٢٤١) .

(٢٧٠) سورة الأنعام – الآية : ١٥٨ .

[المبــادرة بالتوبــة]

إخوانى[٢٧١] : بادروا قبل أن يفوت الغرض بالمرض ، إن عرض ، فكأنكم بمبسوط الأمل وقد انقبض ، وبمشيد المنى وقد وهى وانتقض .

شــعر[٢٧٢]

يا ساكــنَ الدنيــا تأهــبْ	وانتظــــر يوم الفـــــراق
وأعـــدَّ زاداً للرحيـــــلِ	فســوف يحدى بالرفـــاق
وابــك الذنــوب بأدمـــع	تنهل[٢٧٣] من سحب الأماق[٢٧٤]
يا من أضاع زمــانَـــــهُ	أرضيــت مايفنــى ببـــاق .

إخوانى : أين عزائم الرجال . أين صرائم الأبطال ، تدعى وتتوانى هذا كله محال ، إن هممت فبادر ، وإن عزمت فثابر ، وأعلم أنه لا يدرك المفاخر ، من رضى بالصف الآخر .

(٢٧١) وردت هذه الموعظة بالمدهش (ص ٢٢٨) – مع بعض الاختلاف فى اللفظ – من قوله (بادروا قبل أن يفوت ... إلى قوله (من رضى بالصف الآخر) .

(٢٧٢) وردت هذه الأبيات بالمدهش (ص ٢٢٨) .

(٢٧٣) ليست هذه اللفظة بالأصل ولكنها موجودة بالمدهش .

(٢٧٤) كذا بالأصل وبالمدهش (المآق) .

شــعر[٢٧٥]

فلا تحسبوا أنَّ المعالى رخيصةٌ ولا أنَّ إدراك العلاهينَّ سهلُ
فما كُل مَنْ قد حاولَ[٢٧٦] العزَّ نَالَه ولا كُل مَنْ يهوى العلا نفسه تعلوا

ياهـذا[٢٧٧] : ركائب الرحيل قد أنيخت بالجناب ولم تتحرج وناقد البائع لايروجه الزيف وناقدك بهرج كيف يلحق السابقين كسلان أعرج .
ما يحصل برد العيش إلا من يدخل بحر التعب .

تعبد يحيى فى صغره وخوفه من ذكر جهنـم

قال عمرو بن العاص : ذكر رسول الله ﷺ يحيى بن زكريا عليهما السلام فقال : « **أول ما كان من زهده أنه أتى بيت المقدس فرأى المجتهدين من الأحبار والرهبان عليهم مدارع[٢٧٨] الشعر[٢٧٩] وبرانيس[٢٨٠] الصوف وقد خرقوا[٢٨١] تراقيهم وشدوها إلى سوارى بيت المقدس فلما رأى ذلك أتى أمه**

(٢٧٥) وردت هذه الأبيات بالمدهش (ص ١٨٨) .

(٢٧٦) (قد حاول العز) كذا بالأصل وبالمدهش (يسعى إلى المجد) وكلاهما صواب .

(٢٧٧) وردت هذه الموعظة بالمدهش (ص ٢٢٩) من قوله (يا هذار كائب الرحيل ... إلى قوله (كيف يلحق السابقين كسلان أعرج) .

(٢٧٨) مدارع الشعر : الدراعة ثوب أو جبة مشقوقة المقدم وجمعها مَدارع . والمعنى ثياب من الشعر - [الوسيط (١/٢٨٠ ، ٢٨١)] .

(٢٧٩) الشعر : هو مايلى جسد الانسان دون ماسواه من الثياب [الوسيط (١/٤٨٤)] .

(٢٨٠) البرانيس : البرنس : كل ثوب رأسه منه ملتزق به . [اللسان (٦/٢٦ - برنس)] .

(٢٨١) خرقوا : أى قطعوا ومزقوا وشقوا . [الوسيط (١/٢٢٨)] ولعل المراد من العبارة أقاموا ولم يبرحوا .

فقال : يا أماه انسجي لنا مدرعة من شعر وبرنوسا من صوف حتى آتى بيت المقدس أتعبد مع الأحبار والرهبان فقالت له أمه : حتى يدخل نبى الله زكريا عليه السلام فلما دخل أخبرته بقول يحيى ، فقال : يابنى ما يدعوك إلى هذا وأنت صبى صغير ؟ قال : ياأبت أما رأيت من هو أصغر منى قد ذاق الموت ، قال : بلى قال : دعنى أذهب فيما يُهوّن علىَّ سكرات الموت، فصنعت له أمه ما طلب فتدرع ولبس البرنس وأقبل يتعبد حتى أكلت مدرعة الشعر بدنه فنظر ذات يوم إلى بدنه وقد أنحله الشعر فبكى ، فأوحى الله تعالى إليه أتبكى على ما نحل من بدنك ، فوعزتى وجلالى لو اطلعت على النار اطلاعة لتدرعت الحديد فضلا عن المنسوج فعند ذلك بكى يحيى حتى أكل لحم خديه الدموع وما شعر بذلك فقال زكريا : يابنى إنما سألت الله تعالى أن يهبك لى قرة عين ، والآن فقد كدَّرتَ على حياتى بكثرة بكائك فما يدعوك إلى هذا كله ، قال : يا أبت أنت حملتنى على ذلك ، قال : متى ؟ قال : ألست القائل أن بين يدى الساعة عقبةً كؤوداً لايقطعها إلا البكاءون من خشية الله تعالى ؟ ألست القائل ذلك ؟ قال : بلى ، قال : فدعنى أبكى لعلى أقطع هذه العقبة ثم نهض يريد الخروج فقالت له أمه : مهلا حتى أعمل لك قطعتين من لبود يواريان اضراسك وينشفان الدموع ، قال : شأنك وما تصنعين فاتخذت له قطعتين من لبود مكان لحم الخدين يواريان الأضراس وينشفان الدموع .

شـــعر

لاتَحسبوا فيضَ النواظرِ دمعٌ هى مهجتى ترفضُ من أجفـانى
ما أدَّعى زوراً فهذى أعـظمى نَحَلَتْ وهذا الدمْع أحمر قانـى

وكان ذكريا عليه السلام إذا أراد أن يعظ بنى إسرائيل نظر يمينا وشمالا فإن رأى يحيى لم يذكر جنة ولا نارا ، فأقبل يحيى ذات يوم وقَدْ لَفّ رأسه بعباءةٍ فنظر زكريا فلم يره فأنشأ يحدث . فقال : أخبرنى خليلى – يعنى جبريل – أن فى جهنم جبلا يقال له السكرات ، فى أصل ذلك الجبل وادٍ يقال له غضبان مملوء بغضب الرحمن فى الوادى جب مسيرته مائة عام فى ذلك الجب توابيت من نار فى تلك

التوابيت صناديق من نار فى تلك الصناديق لحف من نار قال : فرفع يحيى رأسه وقال : واغفلتا عن السكرات وخرج هائما على وجهه ، قال : ثم بعد ذلك جاء زكريا ودخل على أم يحيى فقال لها : قومى فاطلبى يحيى وما إخالك تجديه إلّا ذَاقَ وقذ الموت ، قال : فخرجت فى طلبه ولم تزلْ تتطوف عليه حتى وجدته فدنت منه وقبلت رأسه ووضعته فى حجرها وسألته أن ينطلق معها فلما أتت منزلها صنعت له عدسا ووضعته بين يديه فرفع رأسه إلى السماء ثم أطرق وهو مستبشر وأكل من ذلك العدس واضطجع فدثرته أمه فنام فلم يستيقظ حتى طلعت الشمس فأوحى الله تعالى إليه : يا يحيى هل وجدت داراً خيراً لك من دارى أو جواراً خيراً من جوارى قال : فعند ذلك نهض مذعورا ونادى بأعلى صوته : يارب أقلنى(٢٨٢) اليوم عثرتى : فوعزتك لا أستظل بعد هذا اليوم بظل سوى ظل بيت المقدس ، ثم قال لأمه : ناولينى مدرعة الشعر وبرنس الصوف فإنى أخشى أن توردينى المهالك ، فقال لها زكريا : ناوليه فإن ولدى قد كشف له عن قناع قلبه لاينتفع بالعيش بعد ذلك .

شعر

دَعْ يا عذولُ ملامةً إنَّ الهوى ... لهبٌ يزيدُ اللومُ فى إيقاده

هذى الخيامُ خيامُ سعدى فانتبه ... واستعمل الإنصاف فى إسعاده

وارجع إلى الوادِ الذى فيه الهوى ... واستطلع الأخبارَ من ورادِه

إن كان هذا اليومُ يوَم رحيلِهم ... فاليوُم من دنياه آخر وده(٭)

قال : فخرج يحيى وتعبد حتى كان من أمره ما كان .

---

(٢٨٢) أقلنى : أى اصفح عنى وتجاوز . [الوسيط (٢/٧٧٠)] .

(٭) كذا بالأصل ولعلها (زاده) .

[يا بعيـداً عن المجاهـدة]

(٢٨٣)

اسمع يا بعيدا عن المجاهدة قد اقتسم الرعيل الأول النقل يا من انحرف عن جداتهم[٢٨٤] تيامن ، يا قليل الهمة أقل ما فى الرقعة البندق فإذا نهض تفرزت ، متى همت أقدام العزم بالسلوك انقطع من بين يديها سد القواطع ، ومتى هاب الغائص ، موج البحر فى نيل الدر لم يحصل شيئا .

شـعر

[المهيار][٢٨٥]

إلى كم حبسها تشكوا المضيقا أثرها ربما وجدتْ طريقـا
أتعقلهـا وتقنـع بالهوينـا تكون إذاً بلذاتها[٢٨٦] خليقا

كأنك[٢٨٧] بحرب التلف قد قامت على ساق فانهزمت جيوش الأمل وإذا ملك الموت قد برز للروح يجتذبها بخطاطيف الشدائد وقد أوثق كتاف الذبيح ، وحار البصر لشدة الهول ، وملائكة الرحمة عن اليمين ، قد فتحوا أبواب الجنة ، وملائكة العذاب عن الشمال قد فتحوا أبواب النار وجميع المخلوقات تستوكف[٢٨٨] الخبر ، والكون كله قد قام على صيحة واحدة إما أن يقال سعد

(٢٨٣) وردت هذه الموعظة بالمدهش (ص ١٧٦) من قوله (يابعيداً عن المجاهدة ... إلى قوله (لم يحصل شيئاً) .

(٢٨٤) كذا بالأصل ووردت بالمدهش (جادتهم) والصواب ما ورد فى المدهش .

(٢٨٥) نسب صاحب المدهش هذين البيتين (للمهيار) المدهش (ص ١٧٧) .
ديوان شعره (٣٥٣/٢) [هامش المدهش ص ١٧٧] .

(٢٨٦) كذا بالأصل وبالمدهش (بذلتها) .

(٢٨٧) وردت هذه الموعظة بالمدهش (ص ١٨٥) من قوله (كأنك بحرب التلف ... إلى قوله (ولا نوم تستريح به ولا نفس) .

(٢٨٨) تستوكف الخبر : تسأل عنه . [الوسيط (١٠٥٤/٢)] .

فلان أو شقى ، فحينئذ تنجلى أبصار ﴿ **الذين كانت أعينهم فى غطاء عن ذكرى** ﴾[٢٨٩] ، وأسفاً من حياة على غرور وموت على غفلة ، ومنقلب إلى حسرة ، ووقوف يوم الحساب بلا حجة ، ياهذا مثِّل نفسك فى زاوية من زوايا جهنم وأنت تبكى أبدا ، وأبوابها مغلقة ، وسقوفها مطبقة وهى سوداء مظلمة ، لا رفيق تأنس به ولا صديق تشكو إليه ، ولا نوم تستريح به ولا نفس .

(٢٩٠)

قال كعب الأحبار[٢٩١] : إن أهل النار ليأكلون أيديهم إلى المناكب من الندم على تفريطهم ، وما يشعرون بذلك ، ويحك[٢٩٢] تهيأ لتلك الساعة ، حصل زاداً قبل العوز .

شـــعر

[الصمة القشيرى][٢٩٣]

لو تزودت[٢٩٤] من شميم[٢٩٥] عرار نجد[٢٩٦] فما بعد العشية من عـــــرار

---

(٢٨٩) سورة الكهف - الآية : ١٠١ .

(٢٩٠) ورد هذا القول فى المدهش (ص ١٨٥) من قوله (إن أهل النار ليأكلون ... إلى قوله (ومايشعرون بذلك) .

(٢٩١) كعب الأحبار : هو كعب بن ماتع الحميرى ، أبوإسحاق : تابعى . كان فى الجاهلية من كبار علماء اليهود فى اليمن ، وأسلم فى زمن أبى بكر ، وقدم المدينة فى زمن عمر ، فأخذ عنه الصحابة وغيرهم كثيراً من الأخبار عن الأمم الغابرة سكن حمص وتوفى فيها عن مئة وأربع سنين (... - ٣٢هـ) . [الأعلام (٥/٢٢٨)]

(٢٩٢) وردت هذه الموعظة بالمدهش (ص ١٨٥) . من قوله (ويحك تهيأ ... إلى قوله (حصل زاداً قبل العوز) .

(٢٩٣) نسب صاحب المدهش هذا البيت (للصمة القشيرى) [المدهش ص ١٨٥] .

(٢٩٤) كذا بالأصل وبالمدهش (تمتع) .

(٢٩٥) شميم : ما يشم . [الوسيط (١/٤٩٥)]

(٢٩٦) عرار : نبات طيب الرائحة [الوسيط (٢/٥٩٢)]

الفصــل الثامن

[الدنيــا معبر إلى الآخــرة]

(٢٩٧)

يا هـذا[*] إنما خلقت الدنيا لتجوزها لا لتحوزها ، ولتَعْبُرْهَا لا لِتُعْمِرْهَا ، فاقتل هواك المائل إليها ، واقبل نصحى لا تعول عليها .

شــعر

[ورقة بن نوفل][٢٩٨]

لا شيءَ فيما ترى تَبْقى بَشاشتُه ... يبقى إلا لهُ ويفنى المالُ والولدُ
لم تغن عن هرمز يوما خزائنه ... والخلد قد حاولت عادٌ فما خلدوا
ولا سليمان إذ تجرى الرياح به ... والإنس والجن فيما بينها يغدوا
حوض هنالك مورود بلا كدر ... لابد من ورده يوما كما وردوا

كم[٢٩٩] أخرج الموت [نفسا][٣٠٠] من دارها لم يدارها ، وكم أنزل أجساداً بجارها لم يجارها ، وكم نقل ذاتا ذات خطايا بأوزارها ، وكم أجرى عيونا كالعيون على بعد مزارها .

---

(٢٩٧) وردت هذه الموعظة بالمدهش (ص ٢٧٤) من قوله (إنما خلقت الدنيا ... إلى قوله (لاتعول عليها) .

(*) بالأصل (من يا هذا) والصواب ماأثبتناه .

(٢٩٨) نسب صاحب المدهش هذه الأبيات [لورقة بن نوفل] . [المدهش : ٢٧٤] .

(٢٩٩) وردت هذه الموعظة بالمدهش (ص ١٨٧) من قوله (كم أخرج الموت ... إلى قوله (على بُعد مزارها) .

(٣٠٠) ما بين المعكوفتين سقط استدركناه من المدهش .

شـــعر

أيا[٣٠١] مغرماً بوصال عيشٍ ناعمٍ ستصدعه طائعاً أوكارهـــا
إنَّ المنيةَ تُرْجِعُ الأحرار عن أوطانهم والطير عن أوكارهـــا.

يا من[٣٠٢] قد انطوى برد شبابه وصغره ، وجذبت[٣٠٣] خلع قلفه وبلغت سفينته ساحل سفره .

شـــعر[٣٠٤]

وَلِّ[٣٠٥] على ثنيـــة الـــوداع فلم يبق إلا نظرة[٣٠٦] تتغنم

لافى[٣٠٧] الشباب وافقت ولا فى الكهولة رافقت ، ولا فى الشيب أفقت ، ولا من العتاب استفقت[٣٠٨] ، وما آمنت بالمعاد ولا صدقت .

ولقد أنذرنا الموت بمن أخذ منا ، ونعلم هجومه علينا وقد أمنا ، أما ذكرتنا المواعظ ماكنا ، فما لنا ما لنا .

---

(٣٠١) ورد هذان البيتان فى المدهش (ص ١٨٧) .

(٣٠٢) وردت هذه الموعظة بالمدهش (ص ١٨٨) ، من قوله (يا من قد انطوى برد شبابه ... إلى قوله (مساحل سفره) .

(٣٠٣) كذا بالأصل وبالمدهش (خبيت) .

(٣٠٤) ورد هذا البيت فى المدهش كبقية للموعظة السابقة ولم يرد كبيت شعر . [المدهش ١٨٨] .

(٣(٥) كذا بالأصل وبالمدهش (قف) . وهو الأصوب .

(٣٠٦) كذا بالأصل وبالمدهش (ساعة) .

(٣(٧) وردت هذه الموعظة بالمدهش (ص ١٨٨) من قوله (لا فى الشباب وافقت ... إلى قوله (فما لنا ما لنا) .

(٣٠٨) ورد هذان البيتان بالمدهش (ص ٢٨٥) .

شعر

(٣٠٨)

واعجبـــاً لغافـــلٍ أمامَـــهُ هجوم[٣٠٩] لايتقى إذا هجـــم
إذا تخطاه على عهـــد الصبـا أو الشـباب لم تفتـه فى الهــرم .

قال الأصمعى[٣١٠] : بينما أمير المؤمنين يتمشى فى قصره إذ سمع هاتفا يسمع صوته ولا يرى شخصه وهو يقول :

كأنى بهذا القصرِ قَدْ كان أهله وقد دَرَسَتْ أعلامُه ومنازلـه
خُذْ أهبةً للموت إنك ميت وإنك مسئولٌ فما أنت قائله ؟

فقال المهدى[٣١١] :

أقول بأنَّ الله لا شيء غيره وذلك قول ليس تفنى فضائله

---

(٣٠٩) هنا سقط فقد ورد فى المدهش (ما) [المدهش : ٢٨٥] .

(٣١٠) الأصمعى : عبدالملك بن قريب بن على بن أصمع الباهلى ، أبوسعيد الأصمعى ، راوية العرب وأحد أئمة العلم باللغة ، والشعر والبلدان . نسبته إلى جده أصمع ومولده ووفاته بالبصرة كان كثير التطواف فى البوادى يقتبس من علومها ويتلقى أخبارها ، ويتحف بها الخلفاء وله تصانيف متعددة منها (الأضداد - الإبل - الأصمعيات ...) (١٢٢هـ - ٢١٦هـ) .

[الاعلام : (١٦٢/٤)]

(٣١١) المهدى : محمد بن عبدالله المنصور بن محمد بن على العباسى ، أبوعبدالله ، من خلفاء الدولة العباسية ولد فى أيذج (من كور الأهواز) وولى بعد وفاة أبيه سنة ١٥٨هـ وأقام فى الخلافة عشر سنين وشهراً ومات فى ماسبذان ، صريعاً عن دابته فى الصيد وقيل مسموماً ، كان محمود العهد والسيرة محبباً إلى الرعية حسن الخَلق والخُلق (١٢٧هـ - ١٦٩هـ) .

[الاعلام : (٢٢١/٦)]

فقال الهاتف :

تزود من الدنيا لسيرك بلغة فقد أزف الأمرُ الذى بك نازله

فقال المهدى :

متى ذاك خبرنى فإنى سأفعل أحصل ما قد قلته وأءاجله

فقال الهاتف :

تمتع ثلاثا بعد عشرين ليلة إلى أربع فالشهران تكامله

قال : فلم يلبث المهدى بعد ذلك إلا سبعة وعشرين يوما ومات .

إخوانى[٣١٢] : اعتبروا بالذين وطنوا[٣١٣] وخزنوا ، كيف صنعوا[٣١٤] وحزنوا وانظروا إلى آثارهم تعلموا أنهم قد غبنوا ، لاحت لهم لذات الدنيا فاغتروا وفتنوا فما انقشعت سحائب المنى حتى ماتوا ودفنوا .

شعر

[٣١٥]

جمعوا فما أكلوا الذى جمعوا وبنوا مساكنهم فما سكنوا
فكأنهم كانوا بها ظعنا لما استراحوا ساعة ظعنوا

يا مختار العاجلة بئس ما اخترت ، يامقبلا على المعاصى أدبرت ، كم تَعِدْ بالتوبة ولا تفى ، ويحك إن اللذة بالعقوبة لا تَفِى ، لله درُ أقوامٍ بادوا الدنيا ، وحاذروا آثامهم ، جعلوا الصوم أطعامهم ، والصمت كلامهم ، فالأبدان بين أهل الدنيا تسعى ، والقلوب فى رياض الملكوت ترعى ، قاموا لِخوف القيامة

(٣١٢) وردت هذه الموعظة بالمدهش (ص ٢٩٢) من قوله (إخوانى اعتبروا بالذين وطنوا ... إلى قوله (حتى ماتوا ودفنوا) .

(٣١٣) كذا بالأصل وبالمدهش (قطنوا) .

(٣١٤) كذا بالأصل وبالمدهش (ظعنوا) .

(٣١٥) ورد هذان البيتان فى المدهش (ص ٢٩٢) .

بالأوامر ، ووقفوا أنفسهم على الخير ، وباتوا كالمؤامر ، هجروا بالصيام لذيذ الهوى فى الهواجر ، وصمت اللسان حتى كأنه مقطوع عن الخنا[٣١٦] بالخناجر وجرى الدموع واصبا[٣١٧] حتى لقد محى المحاجر[٣١٨] .

حكاية ابن خفيف

قال أبوعبد بن خفيف :- خرجت من مصر أريد الدجلة[٣١٩] للقاء الروذبارى[٣٢٠] فقال عيسى بن يونس[٣٢١] المعروف بالزهد : إن فى صور[٣٢٢] كهلا وشابا قد اجتمعا على حالة المرافقة ، فلو نظرت إليهما نظرة واحدة لرجوت أن تنتفع بذلك ، قال : فمضيت إلى صور فدخلتها وأنا جائع عطشان ، فجئت إلى مسجد فإذا أنا بشخصين جالسين فسلمت عليهما فما ردًّا علىَّ السلام ، فكلمتهما فلم يردًّا على جوابا فقلت : نشدتكما الله تعالى ألا كلمتمانى ، فرفع الشاب رأسه من مرفقته وقال : يا ابن خفيف ، الدنيا قليل وما بقى من القليل

---

(٣١٦) الخنا : الفحش فى الكلام [اللسان (٢٤٤/١٤ - خنا)] ط - دار صادر .

(٣١٧) واصباً : دائماً أو مستمراً [اللسان (٧٩٧/١ - وصب)] ط - دار صادر .

(٣١٨) المحاجر : جمع محجر وهو ما أحاط بالعين [اللسان (١٦٩/٤ - حجر)] ط - دار صادر .

(٣١٩) الدجلة : موضع فى ديار العرب بالبادية [معجم البلدان (٤٤٢/٢)] .

(٣٢٠) الروذبارى : أبوعلى الروذبارى ، أحمد بن محمد بن مقسم ، له اللسان الفصيح والبيان النجيح ، بغدادى انتقل إلى مصر وتوفى بها . [الحليه : (٣٥٦/١٠) رقم ٦٣٠] .

(٣٢١) عيسى بن يونس : بن أبى إسحاق ، السبيعى ، أخو إسرائيل ، كوفى نزل الشام مرابطاً . ثقة مأمون من الثامنة، يكنى أبا عمر ، مات سنة سبع وثمانين وقيل سنة إحدى وتسعين [تقريب التهذيب (١٠٣/٢)] ، [صفة الصفوة (٢٦٠/٤)] .

(٣٢٢) صور : مدنية على ساحل بحر الشام (البحر المتوسط) داخلة فى البحر مثل الكف - وهى فى جنوب لبنان حاليا - سكنها خلق من الزهاد والعلماء . [معجم البلدان (٤٣٣/٣)] .

إلا القليل فخذ من القليل قليلا تنجو به ، ثم طأطأ رأسه وسكت عنى ، فبقيت عندهما حتى صليا العصر فذهب جوعى وعطشى وتعبى ، فقلت للشاب : بالله عليك عظنى ، فرفع رأسه وقال : يا ابن خفيف ، نحن أصحاب المصائب ، ولم يزدنى على ذلك ، فبقيت عندهما ثلاثة أيام لا آكل ولا أشرب ولا أنام لأنى رأيتهما على ذلك ، فلما كان اليوم الرابع قلت فى سرى لأحلفنهما حتى يعظانى ، لعلى أنتفع بموعظتهما ، قال : فرفع الشاب رأسه وقال : يا ابن خفيف عليك بصحبة من يذكرك الله رؤيته ويعظك بلسان فعله ، لا بلسان قوله ، والسلام عليك ، انصرف عنا فقد شغلتنا .

شعر

تَشَاغَلَ قومْ بدنياهم   وقد تخلوا لأُخْراهم
أَحَبوا الفرارَ وصاموا النهارَ   وبالليلِ صلوا لِمولاهم
فَحَلَّ السقام بأبدانهم   فعاد الطبيب وداواهم
وأرضاهم بالرضا عنهمُ   وعن سائِر الناسِ أغناهُم

حكاية امرأة من الأولياء

قال بعض العارفين :- كنت فى البادية مع القافلة فتقدمت فرأيت امرأة تمشى وبها ضعف ، فأدركتنى عليها رقة ، وكانت معى دراهم فوضعت يدى فى جيبى فأخرجتها ، وقلت لها : خذى هذه الدراهم وارجعى معى إلى القافلة أجمع لك شيئا ، وإذا فى يدها دراهم فناولتنى إياها وقالت لى : أنت أخذت من الجيب وأنا أخذت من الغيب ، اردد دراهمك عليك فمن كان هذا حاله فليس بمحتاج إليك .

حكاية شاب وفقه الله

وقال أبوعبدالله الواعظ :- خرجت سنة أريد الحج فبينما نحن فى الطريق وإذا بشاب مصفر اللون ، نحيف الجسم ، فأدركتنى عليه رقة وشفقه لما رأيت من

حاله ، ثم فكرت فى شيء أتحفه به فأخذت شيئا من خشكنان[٣٢٣] ، وقلت له : يا ولدى خذ هذا تتقوت به فى هذه الأرض المقفرة ، فنظر إلىَّ وقال : أبمثل هذا تتحف ؟! يا عبدالله ، هذا شيء جئت به معك من مصر ، وإنما نتحف الناس بمثل هذا ، وأخرج من مرقعته وردا مضعفا كما جيء فنثره على وغاب عنى فلم أره .

فرَّغ[٣٢٤] القوم قلوبهم من الشواغل ، فضربت فيها سرادقات المحبوب فشغلوا به عن كل مطلوب ، متى يطرق[٣٢٥] قبل الطوارق ، هذا ذئب السقام قد عوى بالعوابق ، يا من أعماله فيما حكى[٣٢٦] الخلائق ، كم داواك الطبيب وكم رقا بالرقائق .

شعر

صحا[٣٢٧] كلُ نشوانِ[٣٢٨] الغرامِ من الهوى
وأنتَ على حكمِ الصبابةِ نازل

وَلِّ[٣٢٩] الدنيا ظهركَ ، تسفر لك الآخرة نقابها ، تعر عن الدنيا تعز ، خذ قدر البلغة وَجُزْ[٣٣٠] تفز .

---

(٣٢٣) خشكنان : خبزة تصنع من خالص دقيق الحنطة وتملأ بالسكر واللوز أو الفستق وتقلى (فارسية) [المعجم الوسيط (٢٣٦/١)] .

(٣٢٤) وردت هذه الموعظة بالمدهش (ص ٢٢٢ ، ١٩٥) من قوله (فرَّغ القوم قلوبهم ... إلى قوله (وكم رقا بالرقائق) .

(٣٢٥) هنا سقط ورد فى المدهش (طريقهم) .

(٣٢٦) كذا بالأصل ووردت بالمدهش (خلا) .

(٣٢٧) ورد البيت بالمدهش (ص ١٩٥) .

(٣٢٨) كذا بالأصل وبالمدهش (عذرى) .

(٣٢٩) وردت هذه الموعظة بالمدهش (ص ١٩٥) من قوله (ول الدنيا ظهرك ... إلى قوله (وجُز تفز) .

(٣٣٠) جز : بمعنى اقنع واكتفى [الوسيط (١٢٠/١)] .

زيارة الجنيد[331] لشقيق البلخي

قال الجنيد رضى الله عنه :- شهد بفضل شقيق البلخي سبعون عالما فقلت لأصحابى : سيروا بنا فى غداة غد إن شاء الله تعالى إلى زيارة شقيق ، وكان بيننا وبينه مسافة بعيدة ، قال : فسرنا إلى أن أتينا البلد التى هو فيها آخر النهار ، ومن أدب الصوفية كراهية الدخول على أحد بعد العصر ، فأتينا إلى مسجد مهجور فصلينا فيه المغرب ، وأكلنا كسراً يابسة كانت معنا ، وقمت إلى ما كتب الله لى ثم غفوت ، وإذا بهاتف يهتف بى وفى يده لوح مكتوب فناولنيه وقال : يا أبا القاسم اقرأ هذا اللوح ، فقرأته فإذا هو فيه فلان سعيد ، وفلان شقى ، قوم أعرفهم وقوم لا أعرفهم فقال : ياأبا القاسم أدر اللوح ، فأدرته فإذا فيه شقيق البلخى من أهل الشقاء ، فبكيت بكاءً شديداً وقلت : أرجع إلى بلدى ولا أدخل على رجل من أهل الشقاء ، ثم أعلمت أصحابى بالقصه ، فقالوا : وما عليك من الدخول عليه فإن يكن كذلك فقد علم الله نيتك فيه ، وإن يكن سعيدا فقد فزنا بزيارته ، قال : فرجعت إلى قولهم ، فأتيته وقرعت عليه الباب ، فخرج إلى شيخ حسن الصورة له شيبة يعلوها وقار وتشرق منها الأنوار ، فقال : يا أبا القاسم ، شكر الله سعيك وإنى كنت أولى بالسعى إليك ، فقلت : من أين علمت أنى أبوالقاسم فقال : يا أخى إن لله عبادا إذا مسهم طيف من الشيطان تذكروا فقدوه وإذا نزل بهم ولى الله رأوه بعين البصيرة فعرفوه .

قال الجنيد :- فوقع علىَّ البكاء فبكيت بكاءً شديدا لما رأيته فى المنام فقال : يا أبا القاسم ما هذا البكاء أجزعا من المقدور ، فقلت : يا سيدى برح الخفا ، ثم قصصت عليه القصة إلى آخرها ، فقال : يا أبا القاسم إنما أنا عبد أمرنى سيدى ونهانى ، فما أمرنى به فعلته ، وما نهانى عنه تركته ، والأمر بعد ذلك إليه ،

---

(٣٣١) الجنيد : أبوالقاسم الجنيد بن محمد الجنيد ، كان كلامه بالنصوص مربوطاً وبيانه بالأدلة مبسوطاً ، وهو صوفى من العلماء بالدين مولده ومنشأ ووفاته ببغداد وهو أول من تكلم فى علم التوحيد ببغداد ، اشتهر بضبط مذهبه بالكتاب والسنة (توفى : ٢٩٧هـ) [الحلية (١٠/٢٥٥)] ، [الاعلام (٢/١٤١)] .

إن شاء أعتق ، وإن شاء أحرق فقلت له : مثلك جدير بأن يكون من خاص عباد الله عز وجل ، فلما صلينا المغرب قدم إلينا كسرا يابسة ، فأفطرنا عليها ثم قام إلى وِرْدِهْ فغلبني النوم ، وإذا بهاتف يقول لى : يا أبا القاسم اقرأ هذا اللوح فقرأته فإذا فيه شقيق البلخى ، من أهل السعادة فصرخت صرخة عظيمة ، وهو قائم يصلى ، فلما سمع ذلك أوجز فى صلاته ، وقال : يا أبا القاسم هل محا ماشاء وأثبت ماشاء قلت : يا سيدى قد كان ذلك ، فقال : يا أبا القاسم فى غداة غدٍ أموت(*) فإذا أنامت فاطلع إلى هذه الكوة التى فوق المحراب فإنك تجد فيها عباءة وحنوطا[332] وقطنا وقيراطا[333] ، فإذا كفنتنى ووضعتنى فى لحدى فضع القيراط فى لحدى فإنه سيأتيك الخبر ، فجعلت أراقب الشيخ لأكون مشاهده عند الموت ، فغلبتنى عينى فنمت ، فأدركتنى جنابة ، فقلت لبعض أصحابى : اخرج معى حتى أتطهر فخرجت فطهرت فلما رجعت وجدت الشيخ فى محرابه ساجدا فحركته فإذا هو ميت ، فصعدت الكوة وأخذت العباءة والحنوط والقيراط وغسلته وكفنته وصلينا عليه ، فلما ألحدتُه وضعت القيراط فى كفنه فوضع يده عليه ، ثم واريته ورجعت ، قال : فلما كان الليل كنت أسمع لمحرابه أنينا ، فلما نمت رأيته راكبا على نجيب[334] ومعه جماعة ، فقلت : يا سيدى ما فعل الله بك ، فقال : ياأبا القاسم أوقفنى بين يديه وقال لى : ياشقيق ما فعلت فيما وجدت فقلت : إلهى وسيدى أنت تعلم أنى لم أجد من الدنيا إلا البلاغ ولم أملك منها إلا هذا القيراط وجدته بمنى ، وقد عرفته سنة ؛ فلم أجد له طالبا وقد جئتك به ، فقال : يا شفيق ضعه من يدك وادخل الجنة(**) .

(*) هذا يتعارض مع قوله تعالى ﴿ وما تدرى نفس ماذا تكسب غداً وما تدرى نفس بأى أرض تموت ﴾ فالأجل غيب لايعلمه إلا الله .

(332) حنوط : كل مايخلط من الطيب لأكفان الموتى ، وأكفانهن خاصة من مسك وذريرة وصندل وعنبر وكافور وغير ذلك . [اللسان (278/7 – حنط)] ط. دار صادر .

(333) قيراط : جزء من أجزاء الدينار وهو نصف عُشْره فى أكثر البلاد وأهل الشام يجعلونه جزءاً من أربعة وعشرين . [اللسان (375/7)] ط. دار صادر .

(334) نجيب : الفاضل من كل حيوان . [اللسان (748/1 – نجب)] ط. دار صادر .

(**) هذه القصة فيها من خرافات الصوفية مايتعارض مع الشرع .

شعر

(٣٣٥)

وصلوا إلى مولاهمُ وبَقِينا ... وتَنَعَّموا بوصالِه وشقينا
ذهبت شبيبتنا وضاع زماننا ... ودنت منيتنا فمن ينجينا
فتجمعوا أهل القطيعة والجفا ... نبكى شهورا قد مضت وسنينا

الفصل التاسع

[إلى كم تغتر بسلامتك]

(٣٣٦)

يا معدوما بالأمس فانيا فى الغد عاجزاً فى الحال ، إلى كم تغتر بسلامتك وتنسى حتفك(٣٣٧) ؟ وأملك بين يديك وأجلك خلفك ، وكتابك قد حوى تفريطك وخلفك(٣٣٨) ، كم نهيت عن أمر فما كفك النهىُ أن تبسط كفك ، يا من طال زلله وتعثيره(٣٣٩) ، تفكَّر فى عُمْرٍ قد مضى كثيره ، ياقلباً مسيئا قد قل نظيره ، كم هذا الهوى وقد(٣٤٠) هوى أسيره .

---

(٣٣٥) وردت هذه الأبيات فى المدهش ٣٩٥ .

(٣٣٦) وردت هذه الموعظة بالمدهش (ص ٣١٥) من قوله (يا معدوماً بالأمس ... إلى قوله (وقد هوى أسيره) .

(٣٣٧) حتفك : موتك وهلاكك . [اللسان (٩/٣٨ - حتف)] ط. دار صادر .

(٣٣٨) ليت هذه اللفظة بالمدهش .

(٣٣٩) تعثيره : أخطائه وزلاته [الوسيط (٢/٥٨٤)] .

(٣٤٠) كذا بالأصل وبالمدهش (ولكم) .

رجـل ندم على كثرة ذنوبـه

يحكى عن توبة الصمة[٣٤١] ، وكان بالرقة[٣٤٢] إنه جلس ذات يوم يحاسب نفسه ، فحسب عمره فوجده ستين سنة وحسب أيامها فإذا هى إحدى وعشرون ألف يوم وستمائة[٣٤٣] يوم ، فصرخ وقال : ياويلتى ألقى الله بإحدى وعشرين ألف ذنب وستمائة[٣٤٤] ألف ذنب على أن فى كل يوم ذنب واحد فكيف ، وفى كل يوم عشرة آلاف ذنب ، ثم خر مغشيا عليه فحركوه ، فإذا هو ميت ، فسمعوا قائلا يقول : يا لها من وثبة إلى الفردوس .

اسمع[٣٤٥] أيها القاعد عن أعلى المعالى ، سبق الأبطال والبطال مايبالى ستعرف خبرك يوم عتابى وسؤالى ، وتقول يوم الحساب مالى ومالى ، أعمالك إن تصفحها[٣٤٦] لهواك لآلى ، لو أترك[٣٤٧] فيك وعظى ومقالى ، تجرى[٣٤٨] الحسرات على حر المعالى[٣٤٩] .

---

(٣٤١) توبة الصمة : توبة بن الصمة كان بالرقة وكان محاسباً لنفسه مات وعمره (٦٠ سنة) وهذه الحكاية وردت فى صفة الصفوة أيضاً . من قوله (يحكى عن توبة ... إلى قوله (يالها من وثبة) . [صفة الصفوة (١٩٦/٤)] .

(٣٤٢) الرقة : مدينة مشهورة على الفرات ، بينها وبين خراسان ثلاثة أيام . [معجم البلدان (٥٩/٣)] .

(٣٤٣) كذا بالأصل ووردت فى صفة الصفوة (خمسمائة) .

(٣٤٤) العبارة الآتية ليست فى صفة الصفوة (وستمائة ألف ذنب على أن فى كل يوم ذنب واحد) . [صفة الصفوة (١٩٧/٤)] .

(٣٤٥) وردت هذه الموعظة بالمدهش (ص ٣١٥) . من قوله (اسمع أيها القاعد ... إلى قوله (تجرى الحسرات على حر المعالى) .

(٣٤٦) كذا بالأصل وبالمدهش (تصفحت) .

(٣٤٧) كذا بالأصل وبالمدهش (أثر) .

(٣٤٨) كذا بالأصل وبالمدهش ، (لكنت لحر) .

(٣٤٩) كذا بالأصل وبالمدهش (المقالى) .

شـــعر

(٣٥٠)

إلى أى حينٍ أنت فى زى مجرمٍ وحتى متى فى شقوةٍ والى كم
وإلا تمت تحت السيوف مكرما تمت وتلاقى الذل غير مكرم
وثب واثقا بالله وثبة ماجد ترى الموت فى الهيجاء جنى النحل فى الفم

قال وهب بن منبه(٣٥١) :- قال الحواريون لعيسى بن مريم عليه السلام : يا روح الله ، من هم أولياء الله ، الذين لاخوف عليهم ولا هم يحزنون فقال عليه السلام : هم الذين نظروا إلى باطن الدنيا حين نظر الناس إلى ظاهرها ، فأصابوا منها ما يقوتهم يوما بيوم ، وتركوا ما وراء ذلك فما عرض لهم من زللها رفضوه ، وما ارتفع منها لغير الله وضعوه ، خلقت الدنيا عندهم فلم يجددوها ، وخربت فى صدورهم فلم يعمروها ، فهم يهد مونها ويبنون آخرتهم ، ويبيعونها ، ويشترون مايبقى لهم ، حال غريب وعندهم الخبر العجيب ، بهم قام الكتاب وبه قاموا ، وبهم نطق وبه نطقوا ليسوا يرون نائلا دون ما ينهجون ، ولا أمانا دون ما يرجون ، ولا خوفا دون مايجدون ، أولئك الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فيا من حجبه الهوى عنهم ، وأبعدته الخطايا منهم ، اطلب فى الأخبار أخبارهم ، واتبع فى الآثار آثارهم ، فإن وقعت ببعضهم حيلك إلى أرضهم .

---

(٣٥٠) وردت هذه الأبيات بالمدهش (ص ٣١٥) .

(٣٥١) وهب بن منبه الأبناوى الصفانى الذمارى ، أبوعبدالله : مؤرخ ، كثير الإخبار عن الكتب القديمة ، عالم بأساطير الأولين ولاسيما الإسرائيليات يعد من التابعين : أصله من أبناء الفرس الذين بعث بهن كسرى إلى اليمن ولد ومات بصنعاء (٣٤هـ - ١١٤هـ) .

[الأعلام (١٢٥/٨)]

حكاية حرامى مع مالك

ذكر فى بعض الأخبار : أن لصا تسور على مالك بن دينار[٣٥٢] داره فلم يجد فى الدار شيئا يسرقه ، فرآه وهو قائم يصلى فأوجز مالك فى صلاته ثم التفت إلى اللص وسلّم عليه وقال : يا أخى تاب الله عليك ، دخلت منزلى ، فلم تجد ماتأخذه ولا أدعك تخرج إلا بفائدة ، وقام وأتاه بإناء فيه ماء وقال له : توضأ وصل ركعتين فإنك تخرج بخير مما جئت فى طلبه ، فقال له اللص : نعم وكرامة وقام وتوضأ وصلى ركعتين ، وقال : يا مالك أيخف عليك أن أزيد ركعتين آخرتين قال : زد ما قدر الله لك ، فلم يزل اللص يصلى إلى الصبح فقال له مالك : انصرف راشدا فقال : يا سيدى أيخف عليك أن أقيم عندك هذا اليوم فإنى قد نويت صيامه فقال له مالك : أقم ما شئت ، فأقام عنده أياما صائما قائما ، فلما أراد الانصراف قال اللص : يا مالك قد نويت التوبة فقال مالك : ذلك بيد الله عز وجل ، فتاب اللص وحسنت توبته ، وخرج من عنده فلقيه بعض اللصوص فقال له : أظنك وقعت بكنز ، فقال : ياأخى وقعت بمالك بن دينار جئت لأسرقه فسرقنى وقد تبت إلى الله عز وجل ، وها أنا ملازم الباب فلا أبرح حتى أنال ما ناله الأحباب .

توبة سكران

وقيل : مر إبراهيم بن أدهم[٣٥٣] رضى الله تعالى عنه بسكران على قارعة الطريق فعدى إليه وقعد عند رأسه وجعل ينظر إليه ويبكى ، ويقول : ياليت شعرى بأى ذنب أصابتك هذه الفتنة ثم وضع رأسه فى حجره ومسح وجهه ثم دعا بماء فغسل وجهه وفمه ثم مضى وتركه فلما أفاق أخبر بذلك فخجل السكران

---

(٣٥٢) مالك بن دينار : البصرى أبويحيى ، من رواة الحديث ، كان ورعاً ، يأكل من كسبه ، ويكتب المصاحف بالأجرة توفى فى البصرة (... – ١٣١هـ) [الاعلام (٥/٢٦٠)] .

(٣٥٣) إبراهيم بن أدهم : سبقت الترجمة له .

وندم وتاب إلى الله عز وجل وأتى إلى إبراهيم وعاهده أن لا يعود إلى المعصية أبدا ، فرأى إبراهيم فى منامه كأن قائلا تقول له : يا إبراهيم أنت طهرت فمه لأجلنا ونحن طهرنا قلبه لأجلك .

انظر(٣٥٤) يامعجبا بتعبده ، تأمل فضائل السابقين وقد قرت(٢٥٥) شقاشق كبرك ، مضى والله أهل المعانى وبقى أرباب الدعاوى .

شعر

(٣٥٦)

هاتيك ربوعهم وفيها كانوا بانوا عنها فليتهم ما بانوا
ناديت وفى حشاشتى النيران يا قوم متى ترحل(١٥٧) السكران(٣٥٨)

اسمع(٣٥٩) يا من كثر تردده إلى المجلس ولم تزل قسوة قلبه ، لا تضجر فللزوم أثر ، جالس الباكين يتعد إليكِ حزنهم ، فتأثير الصحبة لا تخفى أما ترى دود البقل أخضر ؟ .

---

(٣٥٤) وردت هذه الموعظة بالمدهش (ص ٢٠٩) من قوله (انظر يا معجباً بتعبده ... إلى قوله (وبقى أرباب الدعاوى) .

(٣٥٥) كذا بالأصل وبالمدهش (هدرت) .

(٣٥٦) ورد هذان البيتان بالمدهش (ص ٢١٠) .

(٣٥٧) كذا بالأصل وبالمدهش (تحول) كلاهما صواب .

(٣٥٨) كذا بالأصل وبالمدهش (السكان) .

(٣٥٩) وردت هذه الموعظة بالمدهش (ص ١٩٦) ، من قوله (اسمع يا من كثر تردده ... إلى قوله (أما ترى دود البقل أخضر) .

حـــكاية رومى ذمى مع أبى يعقـوب

قال أبوتراب[٣٦٠] : جاء صبى من الروم إلىَّ عند أستاذى أبى يعقوب السوسى[٣٦١] فأسلم وصحبه أياما يسيرة فقال له الأستاذ : أتحج قال : نعم ، فقال لى الأستاذ : خذ بيده وحج بيده فقلت : ياأستاذى لايتهيأ لى أن أحج به إلا بنفقة فقال لى : خذ بيده وادخل البادية فقمت من وقتى امتثالا لأمر الشيخ وخوفا من مخالفته فأخذت بيده ودخلت به طريق الحج فكنا كلما نزلنا منزلة وجدنا مانحتاج إليه مهيأ ، فنأكل ونشرب فلم نزل كذلك إلى أن بلغنا مكة ، فلما رجعنا وبلغنا الرملة مرض الصبى فجلست عنده وقلت له : ما تشتهى قال : الرمان ، فصعدت الجبل واحتطبت منه حطباً وجئت به الى السوق فبعته بدرهم ، واشتريت به رمانا وجئت به إليه وقلت له : كُلْ شهوتَك ، فقال : ماآكله لأنه حرام فعزَّ قوله فى نفسى ، وقلت هذا قريب عهد بالإسلام من أين له ما ادَّعاه ، فسمعت صوتا من خلفى وهو يقول : لا تنكر على ولى الله ما ذكره ، هو صادق فى قوله لأنك ابتعت الحطب من رجل يخدم الرجل ، وأنت لا تشعر ، يا هذا أما تعلم أنه من قرع بابه ولج[٣٦٢] ومن اطمأن به ابتهج ، ومن صفى سره صفت له العطايا ، ومن اشتغل به عن غيره توالت عليه التحف والهدايا ، ما امتثل أوامره عبد إلا أنا به ولا دعاه مضطر إلا أجابه .

---

(٣٦٠) أبوتراب : عسكر بن الحصين (أو ابن محمد بن الحسين) النخشبى ، أبو تراب : شيخ عصره فى الزهد والتصوف . اشتهر بكنيته حتى لايكاد يعرف إلا بها وهو من أهل نخشب من بلاد ما وراء النهر ، وقف ٥٥ وقفة بعرفة ومات بالبادية قيل نهشته السباع (... - ٢٤٥هـ) .

[الأعلام (٢٣٣/٤)]

(٣٦١) أبويعقوب السوسى : ذكر اسمه فى طبقات الصوفية للسلمى (ص/٣٧٨) .

(٣٦٢) ولج : دخل . [الوسيط (١٠٥٥/٢)]

شكوى رجل مذنب لرابعة العدوية (٣٦٣)

قال بعض المريدين : أتى رجل إلى رابعة العدوية فقال لها : إنى أكثرت من الذنوب والخطايا أفتراه إن تبت يقبلنى ؟ فقالت : ويحك أما سمعته يدعو المُدْبرين عنه فكيف لايقبل على المقبلين عليه .

شعر

إنِّى خلوتُ بِمُهْجتى فعتبتها ... يا لائمى من قبلِ لومِ اللائمى
قالت فإنى قَدْ قدمتُ على الذى ... أسلفتُه من زلتى وجرائمى
أتراه يرحمنى ويقبل توبتى ... من لى سواه لزلتى من راحم

[عواصف الأقدار]

(٣٦٤)

هبت عواصف الأقدار فى بيداء الأكوان ، فنقلت الوجود وعم الخبر فلما ركدت الريح إذا أبوطالب غريق فى لجة(٣٦٥) الهلاك ، وسلمان على ساحل السلامة ، قضيت فى القدم سلامة سلمان ، فأقبل يناظر أباه فى دين قد أباه ، فلم

---

(٣٦٣) رابعة العدوية : رابعة بنت إسماعيل العدوية ، أم الخير ، مولاة آل عتيك ، البصرية ، صالحة مشهورة ، مولدها بالبصرة ، لها أخبار فى العبادة والنسك ولها شعر وفاتها سنة ١٣٥هـ . [الأعلام (١٠/٣)] .

(٣٦٤) وردت هذه الموعظة بالمدهش (٢١٣) مع بعض الاختصار ، وقد أكمل المدهش بقية قصة سلمان .

من قوله (هبت عواصف الأقدار ... إلى قوله (وخلى الوطن خلاءً يزعجه) .

(٣٦٥) لجة : الماء الكثير لايرى طرفاه ، وهى معظم البحر وتردد أمواجه [الوسيط (٨١٦/٢)] .

يكن لأبيه[٣٦٦] جواب إلا القيد فنزل به ضيف ﴿ ولنبلونكم ﴾[٣٦٧] ، فنال بإكرامه منزلة « سلمان منا أهل البيت » ، سمع راكبا[٣٦٨] على نية السفر ، فسرق نفسه من حرز أبيه ولا قطع ، فوقف نفسه على خدمة الأدلاء وقوف الأذلاء ، فلما أحس الرهبان بانقراض دولتهم ، سلموا له أعلام الأعلام على علامات نبينا – عليه أفضل صلاة وأزكى سلامة – وقالوا : إن زمنه قد أظل ، فاحذر أن تضل ، وإنه يخرج بأرض العرب ، ثم يهاجر إلى أرض بين حرتين ، فلو رأيتموه قد فلى الفلا ، والدليل شوقه وخلى الوطن خلاء يزعجه شوقه .

شعر

[الشبلى][٣٦٩]

إن بيتا أنت ساكنهُ غيرُ محتاجٍ إلى السرج
ومريضاً أنت عائدُهُ قد أتاه الله بالفرج
وجهُك المأمول حجتنا يوم تأتى الناس بالحُجج

الفصل العاشر

[يا من أخذ الهوى بأزمته]

يا من[٣٧٠] قد أخذ الهوى بأزمته ، وأمسك الردى بلمته ، يا رهين ذنوب تعلقت فى ذمته ، هذا أوان جدك إن كنت مجدا ، هذا أوان استعدادك إن كنت مستعدا .

---

(٣٦٦) (يكن لأبيه) كذا فى الأصل وورد فى المدهش (يعرف أبوه) وكلاهما صواب .

(٣٦٧) سورة البقرة – الآية : ١٥٥ .

(٣٦٨) كذا بالأصل ووردت بالمدهش (أن ركباً) وكلاهما صواب .

(٣٦٩) نسب صاحب المدهش هذه الأبيات (للشبلى) [المدهش (ص ٢١٥)] .

(٣٧٠) وردت هذه الموعظة (ص ٢٩٥) من قوله (يا من أخذ الهوى بأزمته ... إلى قوله (إن كنت مستعداً) .

شعر

(٣٧١)

إذا لاحَ مِنْ دنياكَ خيرٌ ففز به فإنَّ لجمع الدهر من صرفه شتا
فكم من مصيفٍ لم يشت[٣٧٢] بأهله وأخر لم يدركْه صيفٌ إذا شتا

فيا[٣٧٣] من يذنب ولايتوب ، كم قد كتبت عليك ذنوب ، حكى[٣٧٤] الأمل الكذوب ، فرب شروق بلا غروب ، متى تنتبه لخلاصك ؟! أيها الناعس متى تطلب الآخرة يا من على الدنيا ينافس ؟ متى تذكر وحدتك إذا انفردت من مؤانس ؟! يا من قسى قلبه وجفنه ناعس ، يا من تحدثه الآمال ، دع عنك هذه الوساوس أين من اعتاد القصور ، حبس فى القبور فى أضيق المحابس ، أين الرافل[٣٧٥] فى أثوابه ، عرى فى ترابه عن الملابس ، أين الغافل بأمله عن أجله؟ استسلبته[٣٧٦] كف المخالس .

شعر

اضجعوا بمهلكةٍ فى وسط معركةٍ قرعا ودارهم من بعدهم درسوا
وعمهم حدث وضمهم جـدث باتوا وهم جثث فى الرمس[٣٧٧] قد حبسوا
كأنَّهم قَطُ ما كانوا وما خلقوا ومات ذكرهم بين الورى ونسوا

---

(٣٧١) ورد هذان البيتان بالمدهش (ص ١٥١) .

(٣٧٢) (مصيف لم يشت) كذا بالأصل أما بالمدهش فقد وردت (مشت لم يصيف) وكلاهما صواب .

(٣٧٣) وردت هذه الموعظة بالمدهش (ص ٢٢٠) من قوله (فيا من يذنب ولا يتوب ... إلى قوله (استسلبته كف المخالس) .

(٣٧٤) كذا بالأصل ووردت بالمدهش (خل) .

(٣٧٥) الرافل : المتبختر كبراً . [اللسان (٢٩٢/١١ - رفل)] ط. دار صادر .

(٣٧٦) كذا بالأصل ووردت بالمدهش سلبه .

(٣٧٧) الرمس : القبر [اللسان (١٠١/٦ - رمس)] ط. دار صادر .

ولله[٣٧٨] درُّ العارفين بزمانهم ، إذا باعوا ماشانهم بإصلاح شأنهم ، ماأقل ماتعبوا ، ومايسر مانصبوا ، وما زالوا حتى نالوا ما طلبوا ، شمروا عن سوق الجد فى سوق العزائم ، وأصحبوا منزل النجاة وأنت باللهو نائم ، متى تسلك طريقهم يا ذا المآثم ؟ يا إخوان الأمل بقى القليل وتفنى المواسم .

شـــعر

(٣٧٩)

وما هى إلا ليلةٌ بَعْدَ ليلةٍ[٣٨٠] ويومٍ إلى يومٍ وشهر إلى شهر .
مطايا يقربن الجديد إلى البلا ويدنين أشلاء الصحيح إلى القبر .

(٣٨١)

فتيقظ يا هذا لنفسك ، وانتبه وأحضر قلبك[٣٨٢] ، وميز ما يشتبه فهذا منزلك اليوم ؟ وغدا لست به .

شـــعر[٣٨٣]

إذا ما انجلى الرأى فاحكُم به ولا تَحكُمَـــنْ بما يشـتبـــه
وَنَبِّـهْ فؤادَك من نومِـــه فإنَّ الموفـــق من ينتبـــه
وإن كنت لم تنتبه[٣٨٤] بالذى وعظت به فانتبه [أنت][٣٨٥] به

(٣٧٨) وردت هذه الموعظة بالمدهش (ص ١٧٠) من قوله (لله در العارفين بزمانهم ... إلى قوله (بقى القليل وتفنى المواسم) .

(٣٧٩) ورد هذان البيتان بالمدهش (ص ١٩٨) .

(٣٨٠) كذا بالأصل وبالمدهش (ثم يومها) والصواب ما ورد بالأصل .

(٣٨١) وردت هذه الموعظة بالمدهش (ص ٢٤٨) . من قوله (فتيقظ يا هذا لنفسك ... إلى قوله (وغداً لست به) .

(٣٨٢) كذا بالأصل وبالمدهش (عقلك) .

(٣٨٣) وردت هذه الأبيات بالمدهش (ص ٢٤٨) .

(٣٨٤) كذا بالأصل وبالمدهش (انتبه) والصواب ما ورد بالأصل .

(٣٨٥) ما بين المعكوفتين سقط استدركناه من المدهش .

[استعد للآخرة]

أين(*) **أنت من أقوام** نصبوا الآخرة بين أعينهم فنصبوا فوفر النصب نصيبهم ﴿**إنا أخصلناهم بخالصة ذكرى الدار**﴾ عرف القوم ما طلبوا فجدوا ورغبوا ، لم يرضوا لأنفسهم مارضينا ، ولا اختاروا لها بنا طلبوا أعلى المقامات، وسارعوا إلى أرفع الدرجات ، أُمروا فائتمروا ونُهوا فانتهوا فوقع لهم بالولاية فأمروا ونهوا .

حكاية ابن أدهم مع ذمي

قال بعض الصالحين : كنت مع إبراهيم بن أدهم فى بعض أسفاره فدخلنا الكوفة فأوينا إلى مسجد خراب ، قال : فوجدت ألم الجوع فقلت : يا سيدى أنا جائع ، فقال: ائتنى بدواة وقرطاس ، فأتيته بهما فكتب بسم الله الرحمن الرحيم ، أنت المقصود فى كل معنى ، والمشار إليه بكل معنى .

شعر

أنا حامدٌ أنا شاكرٌ أنا ذاكرٌ ... أنا جائع أنا بائس أنا عارى
هى سته وأنا الكفيل بنصفها ... فكن الكفيل بنصفها يا بارى
مدحى لغيرك لهب نار خفضه ... فأجِرْ عبيدك من عذاب النار

قال : ثم دفع إلىَّ الرقعةَ وقال : ادفعها لأول رجل تجده قال : فصادفت شابا حسن الوجه نظيف الثياب يسير على بغلة فرفعت إليه الرقعة فلما قرأها بكى وقال : أين صاحب هذه الرقعة قلت : هو فى المسجد الفلانى ، فناولنى صرة فيها ستمائة دينار وقال : احملها إليه فسألت عنه ، فقيل : هو نصرانى ، فتعجبت من ذلك وحملت الصرة إلى إبراهيم وأخبرته بالقصة ، فقال : ضعها فإن صاحبها يأتى فى هذه الساعة قال : فلم نلبث إلا ساعة وإذا به قد أقبل وقبل رأس الشيخ وقال :

(*) وردت هذه الموعظة بالمدهش (ص ١٥٦) من قوله (اين أنت من اقوام نصبوا ... إلى قوله (الدار) .

نعم ما أرشدتنى إليه ، ثم قال : ياسيدى اعرض على الإسلام فعرض عليه فأسلم وحسن إسلامه .

حـكاية عبدالواحـد

وقال محمد بن إسماعيل الفرغانى :- كنت مع عبدالواحد بن واقد وإذا بقبطية معها حمار قد سخرها جندى فلما كان فى بعض الطريق راودها عن نفسها ، فزجره الشيخ عبدالواحد عن ذلك وقال : دعها فأبى ولج عليها فغضب عبدالواحد لذلك غضبا شديدا وأنكر عليه إنكاراً بليغا فغضب الجندى وقال لغلمانه : خذوه ، فقال عبدالواحد : ياأرض خذيه فأخذته الأرض ومضت المرأة إلى حال سبيلها ومضينا وتركناه فلما رأيت ذلك منه قلت لا أصحبنك بعدها ، قال : ولم ذلك قلت : لا آمنك إن زللت زلة أن تفعل بى مثل هذا ثم انصرفت عنه .

حـــكاية(٢٠٨)

قال جعفر(٣٨٦) **بن محمد** : اعتل(٣٨٧) بشر بن الحارث(٣٨٨) فعادته آمنة الرملية(٣٨٩) فبينما هى عنده إذ دخل الإمام أحمد بن حنبل للعيادة فقال : من هذه فقيل إنها آمنة الرملية جاءت للعيادة ، فقال الإمام للشيخ : اسألها لنا الدعاء ، فأعلمها الشيخ بذلك ، فقالت : اللهم إن بشرا وأحمد يستجيران بك من النار فأجرهما ، فانصرف الإمام أحمد فلما كان الليل سقطت عليه رقعة فيها

---

(٣٨٦) جعفر بن محمد : صاحب بشر الحافى [صفة الصفوة (٣٠٥/٤)] .

(٣٨٧) وردت هذه الحكاية فى صفة الصفوة (٣٠٥/٤) ، من قوله (قال جعفر بن محمد اعتل بشر ... إلى قوله (قد فعلنا ولدينا مزيد) .

(٣٨٨) بشر بن الحارث ابن على بن عبدالرحمن المروزى أبونصر ، المعروف بالحافى ، من كبار الصالحين له فى الزهد والورع أخبار وهو من ثقات رجال الحديث من أهل مرو سكن بغداد وتوفى بها (١٥٠هـ - ٢٢٧هـ) [الأعلام (٥٤/٢)] .

(٣٨٩) آمنة الرملية : عابدة من الرملة بفلسطين . [صفة الصفوة (٣٠٥/٤)] .

مكتوب(٣٩٠) ، بسم الله الرحمن الرحيم « قد فعلنا ولدينا مزيد » ، كم تدرس أخبارهم وما تدرس ، إنْ طواهم الضنا فلقد بشرهم ، إنْ نطقوا فبذكره ، وإن تحركوا فبأمره ، وإن فرحوا فلقربه ، وإن ترحوا(٣٩١) فلعتبه ، أقواتهم ذكر الحبيب ، وأوقاتهم بالمناجات تطيب ، لايصبرون عنه لحظة ، ولايتكلمون فى غير رضاه بلفظة : لو سمعتهم فى الرجاء يعجبون ، لو رأيتهم فى السحر يضحكون .

شعر

ولما وقَفْنا بالديارِ وقد غَدَتْ بَرياء سعاد وهى طيبةُ العرفِ
بكينا فمن دمعٍ يمازجُهُ دم هناك ومن دمع تجود به صرفِ

يا هذا : لو رأيت مطايا أجسامهم وقد أذابها الثرى ، فهى تحن مما تجن فالناس فى الغفلات ، وهم فى قطع الفلوات ﴿ **تلك أمة قد خلت** ﴾(٣٩٢)

شعر

رفقا(٣٩٣) بها يا أيها الزاجر قَدْ لاح سلم(٣٩٤) وبدا(٣٩٥) حاجر
فخلها تخلع أرسانها(٣٩٦) على الربا لا راعها ذاعر
واذكر أحاديث ليالى منى لا عدم المذكور والذاكر

---

(٣٩٠) (فيها مكتوب) كذا بالأصل وبصفة الصفوة (مكتوب فيها) [صفة الصفوة (٣٠٦/٤)] .

(٣٩١) ترحوا : أى حزنوا ، فالترح نقيض الفرح . [اللسان (٤١٧/٢ – ترح)] ط. دار صادر .

(٣٩٢) سورة البقرة – الآية : ١٣٤ .

(٣٩٣) وردت هذه الأبيات بالمدهش (ص ٣٥٢) .

(٣٩٤) كذا بالأصل وبالمدهش (سلع) .

(٣٩٥) كذا بالأصل وبالمدهش (دنا) .

(٣٩٦) أرسانها : الإرسان: الحبل أو اللجام تشد به الدابة. [اللسان (١٨٠/١٣ – رسن)] ط. دار صادر .

طالت عليهم بادية الرياضة ، ثم بدت بعدها الرياض ، فاستوطنوا فردوس الأنس فى قلة طور الطلب .

شـــعر

[ابن المعلم][397]

تقوى[398] الحما ومغانيه مغانيه فاحبس وعانى بليلى ما تعانيه
ما فى الصحاب أخو وجدٍ يطارحه حديث وجدٍ ولا صبٌّ يجاريه
وربَّ مستخبرٍ عمن بُليتُ به فقلتُ والدمعُ يجرى من أماقيه[399]
يوهى قوى جلدى من لا أبوح به ويستبيح دمى من لا أسميه

قلبتهم[400] الزهد فى قفراء الفقر ، على أكف الصبر ، وقطع أوداج أغراضهم بسكين المسكنة ، والبلاء ينادى أتصبرون ؟ والعزم يجيب لا صبر سقاهم رحيق القرب ، فأورثهم حريق الحب فغابوا بالسكر عن رؤية النفس ، فعربدوا على رسم الجسم ، وهاموا فى فلوات الوجد ، فهم يستأنسون بالحمام والوحشى .

شـــعر

لى[401] بذات البان[402] أشجان حبذا من أجلها البان
حبذا روق[403] الحمام إذا رنحتها منه أغصان

---

(٣٩٧) نسب صاحب المدهش هذه الأبيات (لابن المعلم) [المدهش ص ٢٥١] .
(٣٩٨) كذا بالأصل وبالمدهش (هو) .
(٣٩٩) ورد هذا البيت فى المدهش هكذا :
إليك عن كل قلب فى أماكنه ساه وعن كل دمع فى مآقيه
(٤٠٠) كذا بالأصل ولعلها قبلتهم .
(٤٠١) وردت هذه الأبيات فى المدهش (ص ٣٢٠) .
(٤٠٢) البان : شجر سبط القوام ، لين ، يشبه به الحسان فى اللين والطول . [اللسان (١٣/٧٠ - بين)] ط. دار صادر .
(٤٠٣) كذا بالأصل وبالمدهش (ورق) والصواب ما ورد بالمدهش .

أعجميـــات إذا نطـــقت ليس إلا الشـــوق تبيـــان
يا حمام البـــان يجمعنـــا وجدنـــا إذ نحن جيران
يحن بالشكوى إلـىَّ فمـــا بين أهـل الحب كتمـــان
يتشاكى الواجـــدون جوى واحـــداً والوجـــد ألـــوان

اسمع ياأخى : ما أقل ماتعبوا ، ومأأيسر مانصبوا ، ومازالوا حتى نالوا ما طلبوا ، فها هم فى رياض أنس محبوبهم يرتعون ، ومنشدهم ينشد بلسان حالهم لو تسمعون .

شـــعر

ظفَرْنا بمن نهواه والدهُر غلاب ومرت لنا فى ساعة الوصل آراب
صَبَرْنا على نارِ الغرامِ ففتحت لنا من جنان الخلدِ بالوصلِ أبوابُ

فيا بعيدا عنهم ، متى تدنوا منهم ، وأين الثريا(٤٠٤) من يد المتناول ، يا زمن(٤٠٥) الهمة ، يا مقعد العزيمة ، يا عليل الفهم ، يا بعيد الذهن .

[ريـاح الزفـرات]

يا أخـى(٤٠٦) :- عصفت رياح الزفرات من قلب المشوق ، فأججت نار الأسف على فراق المعشوق ، فلو رأيت كيف شئونهم على اختلاف شجونهم ، لرأيت أمرا مهولا ، ولرأيت دمعا همولا ، هذا يعاتب نفسه على التقصير وهذا يتفكر فى أهوال المصير ، وهذا يخاف من ناقد بصير ، منازل

---

(٤٠٤) الثريا : نجم بعيد يضرب به المثل فى البعد . [اللسان (١١٢/١٤ - ثرا)] ط. دار صادر .

(٤٠٥) وردت هذه الموعظة بالمدهش (ص٢٦٣) من قوله يا زمن الهمة .. إلى قوله (يابعيد الزمن) .

(٤٠٦) وردت هذه الموعظة بالمدهش (ص ١٦٥) من قوله (ياأخى عصفت رياح الزفرات ... إلى قوله (أنا المقر على نفسى بالجناية) .

تعبدهم مشاوحة ، وفى كل بيت لهم نائحة ، التائب يقول : أنا المقر على نفسى بالجناية .

شـــعر

اعفُ[٤٠٧] عنى وتَقَبَّلْ توبتى ... يا عيـاذى لملماتِ الزمـــن
لا تعاقبنـــى فقـــد عاقبنـــى ... ندم أقلق روحى فى البدن
لا تطير وسناً[٤٠٨] عن مقلتى ... أنت أهديت لها طيب الوسن

يا أخى[٤٠٩] : المعتذر يبكى على الفتور ، بكاء ثكلى بين القبور ، ويندب زمان الوصال ، ويتأسف على تغير الحال .

شـــعر

قد كان[٤١١] مشروبنا يصفو برؤيتكم ... فكدرتـــه الأيـــام حين صفـــا

والخائف :- ينادى ليت شعرى ، ما الذى اسقطنى من عينك ، اقلت ﴿ **هذا فراق بينى وبينك** ﴾[٤١٢] .

---

(٤٠٧) وردت هذه الأبيات فى المدهش (ص ١٦٥) .
(٤٠٨) وسناً : الوسن : النوم القليل - وهو أول النوم [اللسان (٤٤٩/١٣ - وسن)] ط. دار صادر .
(٤٠٩) وردت هذه الموعظة بالمدهش (ص ١٦٥) من قوله (ياأخى المعتذر يبكى على الفتور ... إلى قوله (ويأوى إلى الشجر وبغيته غيره) .
(٤١٠) كذا بالأصل وبالمدهش (المتعبد) .
(٤١١) ورد هذا البيت فى المدهش (ص ١٦٥) .
(٤١٢) سورة الكهف - الآية : ٧٨ .

شعر

لِأى[٤١٣] علـــــةٍ ولأى حالٍ حرمتَ[٤١٤] حبالَ ودِّكَ[٤١٥] من حبالى
وعوضت البعادَ من التدانـــى ومرَّ الهجرِ من حُلوِ الوصالِ
فإنْ أك قد جنيتَ عليك ذنبا ولم أشعرْ بقــولٍ أو فعـــالِ
فعاقبنى عليـــه بأىِّ شـــىءٍ أردت سوى الصدود فلا أبالى

وصريع المحبة يستغيث ويقول :

شعر[٤١٦]

تحمل أصحابى ولم يجدوا وجدى وللناس أشجان ولى شجن وحدى
أحبكم ما دمت حيا فإن أمت فياليت شعرى ما الذى يحبكم بعدى

وقتيل الشوق : يتعلل[٤١٧] بما يرى ، ويتشبث بما يسمع ، يرتاح إلى السحر[٤١٨] ومقصوده غيره ، ويأوى إلى الشجر وبغيته طيره .

---

(٤١٣) وردت هذه الأبيات بالمدهش (ص ١٦٦) .
(٤١٤) كذا بالأصل وبالمدهش (صرمت) .
(٤١٥) كذا بالأصل وبالمدهش (وصلك) .
(٤١٦) ورد هذان البيتان فى المدهش (ص ١٦٦) .
(٤١٧) كذا بالأصل وبالمدهش (يتعلق) .
(٤١٨) كذا بالأصل بالمدهش (السهر) .

شعر

[المهيار][419]

أيا بانة العور عطفاً سقيتني ... وإن كنت أعنى وأكنى[420] سواك
أحبك ماتعلمى(*) ما تعلمين لو ... أنى أراه كما قد أراك
كفى الوجدِ أنى إذا ما انْشَرَحْتُ ... إلى اسمكِ عميتـــه بالأراك
إذا الصد أرضاك فهو الوصـال ... فأنّى فعلتِ فأنت أهلا بـذاك

الفصل الحادى عشر

[يا من طلب بالمعاش الشهوات]

يا من[421] : إذا أصبح طلب بالمعاش الشهوات ، وإذا أمسى تقلب على فراش الغفلات ، أما رأيت أكفاً عن مطالبها كَفّتْ ، أما شاهدتَ عرائس الأجسادِ إلى الألْحادِ[422] زُفّتْ ، أما عاينت سطور الأبدان فى كتب الأكفان قد أدرجت ولفت ، أما أبصرت جثث الإخوان فى بقاع القاع صفت. بلى[423] والله قد حمل بريد الإنذار أخبارهم وأراك تصفح الآثار آثارهم .

---

(٤١٩) نسب صاحب المدهش هذه الأبيات (للمهيار) وقال محققه انظر ديوان شعره (٢/٣٦٦ - ٣٦٧) وهناك بعض الاختلافات عما هو مثبت هنا .

(٤٢٠) (أعنى وأكنى) كذا بالأصل وبالمدهش (أكنى وأعنى) .

(*) كذا بالأصل وبالمدهش (من أجل) وهو الأرجح والأليق. المدهش (ص ١٦٦) .

(٤٢١) وردت هذه الموعظة بالمدهش (ص ١٥٦) من قوله (يا من إذا اصبح طلب بالمعاش الشهوات إلى قوله (على فراش الغفلات) .

(٤٢٢) الألحاد : الدفن فى اللحد أى جانب القبر [الوسيط (٢/٨١٧)] .

(٤٢٣) وردت هذه الموعظة بالمدهش (ص ١٥٥) ، من قوله بلى والله قد حمل ... إلى قوله (وأراك تصفح الآثار آثارهم .

شـــعر

(٤٢٤)

وحدثتْكَ الليـــالى إن شيـــمتها تفريـــق ما جمعتـــه فاسمع الخبرا
وكن على حذرٍ منها فقدْ نصحت وانظـر إليها تر الآيات والـــعبرا
فهل رأيت جديداً لم يعد خَلِقا وهل سمعت بصفوٍ لم يعد كدرا

واعجـب !! أعِدِمَ العقلَ أم به خلل ، ووا أسفا فقد أدراك الفهم أم بالسمع نقل ، أما يكفى من الزواجر كف صرف الأحداث مبسوط الأمل ، أما يشفى من البيان عيان الأعيان فى الأحداث خالين بالعمل ، أين من فاق قمم الشرف فعزل وولى ، أما ذاق ألم المنصرف فترك وولى ، أين المسرور بشهوات أمسه — حزن ، أين المغرور بلذات نفسه غبن .

حـــكاية جمجمـــة

يروى أن عيسى عليه السلام مرَّ فى نفر من أصحابه بجمجمة نخرة هائلة فقال له أصحابه : يا روح الله لو دعوت الله تعالى أن ينطق لنا هذه الجمجمة حتى تخبرنا بما رأته من العجائب لرجونا أن ننتفع بذلك ، قال : فصلى عيسى عليه السلام ركعتين ودعا الله تعالى فانطقها الله عز وجل فقالت الجمجمة : ياروح الله سل عما تريد فقد أمرنى الله تعالى أن أخبرك بما سألت عنه ، فقال عيسى عليه السلام : من كنت فى هذه الدنيا ؟ فقالت الجمجمة : يا روح الله كنت ملك هذه الأرض ، عشت فيها ألف سنة وولدت ألف ولد وفتحت ألف مدينة وهزمت ألف جيش وقتلت ألف ملك جبار ، ثم كان بعد ذلك كله الموت ، ولقد امتحنت هذا الدهر فلم أر شيئا أنفع من الزهد فى الدنيا ، ولم أر هلاكَ كل أحد إلا فى الحرصِ والطمع ، ولم أجدْ العزَّ إلا فى الرضا بما قسَم الله عز وجل .

---

(٤٢٤) وردت هذه الأبيات بالمدهش (ص ١٥٥) .

شـــعر

(٤٢٥)

لا ترقدن لعينك السهر وانظر إلى ما تصنع العِبَرُ
انظر إلى عِبَر مصرفة مادام ينظر[٤٢٦] طرفك النظرُ
فإذا جهلت ولم تجد أحداً سل الزمان فعنده الخبرُ
يا من يؤمل أنت منتظر أملا يطول ولست تنتظرُ

[حكاية فتى متعبد]

قال سرى[٤٢٧] السقطى - رضى الله تعالى عنه - : كنت فى بعض سياحتى فمررت بمغارة فسمعت فيها أنينا يتبعه حنين ، فقربت من المغارة فإذا أنا بفتى قد أنحلته أحزانه وأقلقته أشجانه وبكى عليه مكانه ، فقلت له : يا فتى فيم النجاة ؟ قال : فى آداء الفرائض ورد المظالم والإنابة إلى الله عز وجل فقلت له : هل لك أن تعظنى ؟ ، قال لى : عظ نفسك بنفسك ، وراقب الله فى الخلوات يكفر عنك السيئات ، ويباهى بك أهل السموات قلت له : زدنى ، قال : إن لله عبادا خلقهم لخدمته ، واصطفاهم لمحبته ومنح قلوبهم الإقبال عليه ، وسقاهم بكأس الشوق إليه فطاشت من الفكر أحلامهم ، واصفرت من السهر ألوانهم ، فأجفانهم من كثرة البكاء مقروحة ، وأكبادهم من شدة الظمأ مجروحة ، ثم قال : انصرف عنى فقد شلغتنى .

---

(٤٢٥) وردت هذه الأبيات فى المدهش (ص ١٩٥) .

(٤٢٦) كذا بالأصل وبالمدهش (يمكن) والصواب ما ورد فى المدهش .

(٤٢٧) سرى السقطى : سرى بن المغلس السقطى ، أبوالحسن ، من كبار المتصوفة. بغدادى المولد والوفاة وهو أول من تكلم فى بغداد بلسان التوحيد والتصوف وكان إمام البغداديين وشيخهم فى وقته وهو خال الجنيد وأستاذه . (... - ٢٥٤هـ) [الأعلام (٨٢/٣)] .

[التقـــوى]

أنِفَ[٤٢٨] القومُ من مزاحمة الخلق فى سوق الهوى ، وقوى كرب شوقهم فلم يحتملوا حرص الدنيا ، خرجوا إلى فضاء العز فى صحراء التقوى وضربوا مخيم الجد فى ساحة الهدى ، وتخيروا شواطىء أنهار الصدق ، فشرعوا فيها مشارع البكاء ، وانفردوا بقلقهم فساعدهم ريم الفلا وترنمت بلابل بلابلهم فى ظلام الدجا .

شـــعر

(٤٢٩)

لو رأيتَ المحبَ فى مأثمِ الندبِ[٤٣٠] وقَدْ شقَّ جيبَ ثوبِ الوصـــال
لعذرت الـذى بلى بفـــراق ورحمت المحب فى كل حـــال

لا تطمع[٤٣١] أن تخرج إلى فضاء قلبك حتى تتخلص من وثاق نفسك ، كيف لايفتقر إلى الرياضة[٤٣٢] من أول غذائه دم الطمث ؟ ابك على ظلام قلبك يضىء ، إذا بكا السحاب الربا تبسمت .

يا هـذا : أتسمع بالكيماى، ولارأيتك صحة قط ، وها أنا أدلك عليها اجمع عقاقير التوبة فى بوتقة العزم ، وأوقد تحتها نار الأسف على ما سلف ، فإن تصاعد منها نفس نادم ، صار نحاس نحوسك ذهب سعادتك ، أحسن منظوم فى

---

(٤٢٨) وردت هذه الموعظة فى المدهش (ص١٧١ من قوله (أنف القوم من مزاحمة الخلق ... إلى قوله (فى ظلام الدجى) .

(٤٢٩) ورد هذان البيتان بالمدهش (ص ٣٠٦) .

(٤٣٠) كذا بالأصل وبالمدهش (الذل) .

(٤٣١) وردت هذه الموعظة بالمدهش (ص ٢٠٤) من قوله (لا تطمع ان تخرج ... إلى قوله (وكلما رأى الملائكة تصعد يحترق) .

(٤٣٢) هنا سقط أثبتناه من المدهش (لإزالة الكدر) .

سلك الاعتذار ، حرز الذل أحلى نطق يلج سمع القبول[433] الاستغفار ، اطرب كلام يحرك قلب الرحمة التملق .

شعر

يا مَنْ بِصدودهم لقلبى جرحوا   وازدادَ بى الغرام لما نزحوا
ما جدت بهم وهم بهجرى سمحوا   هذا المطروح كم ترى يطرحُ

المذنب يأوى إلى الذل كما يأوى الطفل إلى الأبوين ، بكى آدم على تفريطه حتى جرت الأودية من دموعه كان كلما ذكر الجنة قلق وكلما رأى الملائكة تصعد يحترق .

شعر

(٤٣٥)

والذى بالبعدِ والبينِ بلانى   ما تذكرت[436] الحمى إلا شجانى
حبذا أهل الحمى من ساكنٍ   ساقنى الشوق إليهم وبرانى
كلما رمتُ سلواً عنهم   جذب الشوق إليهم بعنانى
أحسد الطير إذا طارت إلى   أرضهم أو أقلعت للطيران
أتمنى أننى أصحبها   نحوهم لو أننى أعطى الأمانى
لا تزيدونى غراما بَعْدَكم   حل بى من بعدكَ ما قد كفانى
ذهب العمر ولم أحظ بكم   وتقضى فى تمنيكم زمانى
يا خليلى احفظا عهدى الذى   كنتما قبل النوى عاهدتمانى
واذكرانى مثلَ ذكرى لكما   فمن الإنصاف أنْ لا تنسيانى
واسألا من أنا أهواه على   أىِّ جرمٍ صد عنى وجفانى

(٤٣٣) هنا سقط أثبتناه من المدهش (القبول) .

(٤٣٤) ورد هذان البيتان فى المدهش (ص ٢٠٥) .

(٤٣٥) وردت هذه الأبيات فى المدهش (ص ٢٠٥) .

(٤٣٦) كذا بالأصل بالمدهش (ما جرى ذكر) .

حكاية ذى النون المصرى

حكى عن بعض الصالحين أنه قال : سمعت سالما خادم ذى النون المصرى يقول : بينما أنا أسير مع ذى النون فى جبل لبنان إذ قال لى : قف مكانك حتى أعود إليك ، فغاب عنى ثلاثة أيام وأنا آكل من نبات الأرض وأشرب من غدرانها ، ثم عاد بعد ثلاثة أيام وهو متغير الحال مُتحير المجال ، فلما رآنى رجعتْ إليه نفسه ، فقلت : يا سيدى أين كنت ، قال : دخلت كهف من كهوف الجبل فرأيت رجلا أشعث أغبر نحيفا نحيلا كأنما أخرج من حفرته ، وهو قائم يصلى ، فلما قضى صلاته سلمت عليه فرد علىَّ السلام ثم قام إلى صلاته ، فلم يزل راكعا ساجدا حتى صلى العصر ثم أسند ظهره إلى حجر بإزاء المحراب وجعل يذكر الله تعالى فقلت له : يرحمك الله ادع الله لى بدعوة ، فقال : يا بنى آنسك(٤٣٨) الله بقربه ، ثم سكت فقلت له : زدنى ، فقال : يا بنى من آنسه الله بقربه أعطاه أربع خصال ، هيبة من غير سلطان ، وعلماً من غير تعلم ، وغنا من غير مال ، وعزاً من غير أهل ولا عشيرة ، ثم شهق شهقة وسقط إلى الأرض مغشيا عليه فأقام بقية يومه وليلته ويومه الثانى إلى العصر وأنا أظن أنه قد مات ، فلما كان بعد صلاة العصر فتح عينيه وقال : إلهى من سكر بحبك لايفيق إلا بلقائك .

---

(٤٣٧) ذو النون المصرى : هو ثوبان بن إبراهيم الأخميمى المصرى ، أبوالفياض أو أبوالفيض ، أحد الذهاد والعباد المشهورين ، من أهل مصر . نوبى الأصل من الموالى ، كان له فصاحة وحكمه وشعر وهو أول من تكلم بمصر فى « ترتيب الأحوال ومقامات أهل الولاية » اتهمه المتوكل العباس بالزندقه فاستتحضره إليه فسمع كلامه ثم أخلعه إلى مصر (... — ٢٤٥هـ) .

[الأعلام (١٢/١)]

(٤٣٨) آنسك وهى بمعنى أزال وحشتك وعاملك بلطفه [الوسيط (٢٩/١)] .

شعر

ترى المحبين صرعى فى ديارهمُ كفتيةِ الكهفِ لا يدرون كمْ لَبِثُوا
قومٌ إذا هجروُا من بعدما وصلوا ماتوا وإن علا من يهواهم بعثوا
والله لو حلف العشاق أنهم موتى من الوجد يوم البين ماحنثوا

ثم قام وتوضأ وقال : يا بنى كم فاتنى من الصلوات ؟ فقلت : خمس ، فقضى ما فاته ، ثم قال : إن ذكر الحبيب هيج وجدى وشغل سرى وأزال عقلى ، قلت له : يرحمك الله إنى أريد الرجوع فأوصنى بوصيةٍ أنتفع بها فقال : أوصيك بحب الله ولا تردْ به بديلا ، فإن المحبين لله تيجان العباد وزين البلاد ، ثم صرخ صرخةً عظيمةً ، فحركته فإذا هو ميت فما كان إلا يسيرا وإذا بجماعة من العباد منحدرين من أعلا(*) الجبل، فأتوا إليه وجهَّزوه وصلوا عليه وانصرفوا .

شعر

ألفتُ الهوى حتى حلت لى حروفه ورب نعيمٍ كان جالبه[قد](**) شقى
ولى عَبَراتٌ تستهل صبابــة عليك إذا برق الغمامُ تملقا
وأذهلُ حتى أحسبُ الصدَّ والنَّوى بمعتزلِ الذكرى وصالاً وملتقاً
فها أنا ذو حالين إما تنعمى فحـى وإما سلوتى فلك البقا

[بادروا قبل العوائق]

إخوانى(٤٣٩) : بادروا قبل العوائق ، واستدركوا فما كل طالب لاحق واشكروا نعمة من ستر عليكم(٤٤٠) الذنوب ، واعرفوا جوده حيث أعطاكم كل مطلوب فما أعم جوده لجميع خلقه ، وما أكثر تقصيرهم فى حقه ، عمَّ إحسانه

(*) كذا بالأصل والصواب (أعلى) .

(**) ما بين المعكوفتين سقط استدركناه ليستقيم المعنى .

(٤٣٩) وردت بالمدهش (ص ٤٠٢ ، ٤٠٤) .

(١٤٤٠) (ستر عليكم) كذا بالأصل وبالمدهش) (ستركم من) .

الجاهلُ والعالمُ ، والمظلوم والظالم ، والمستيقظ والنائم ، فسبحانه ما أكثر المعرضين عنه ، وما أقل المعترضين للفضل منه ، فياروح الله[٤٤١] القلوب أين طلابك ؟! ويا نور السموات والأرض أين أحبابك ؟! ، ويارب الأرباب أين عبادك ؟! ويا مسبب الأسباب أين قُصادكَ ؟! من ذا الذى عاملك بصدقه ، فلم يربح ، من ذا الذى جاءك بكربه فلم يفرح ؟! أى صدر صدر عن بابك فلم يشرح؟! ، أى عبد لاذ بجنابك فاشتهى أن يبرح ؟! ، يا معرضاً عنه إلى من أعرضت ، يا مشغولاً بغيره بمن تعوضت .

شــعر

(٤٤٢)

مت على من غبت عنه أسفا ... لست عنه بمصيب خلفا
لن ترى قرة عين أبدا ... أو ترى نحوهم منصرفا

[إلٰهنا]

إلٰهنا [٤٤٣] سلمنا من نفوسنا التى هى أقرب أعدائِنا منا ، وأعظم نكايةً[٤٤٤] فينا ، إلٰهنا لعبت بنا صوارع[٤٤٥] آصالنا[٤٤٦] فى مدة أعمارنا ، وأغارت علينا خيول الهوى فأسرتنا بأسرنا ،إلٰهنا فأنقذنا من أسرنا ، وانصرنا على عدونا يا ملاذ العارفين ، يا معاذ الخائفين ، خذ بيد من زلت به قدم فطنته فى مهوات[٤٤٧] فتنته ، أقم من قعد به سوء عمله قبل هجوم أجله يا من هو بالإجابة جدير وهو على كل شىء قدير ،

---

(٤٤١) ليست موجودة بالمدهش .

(٤٤٢) ورد هذان البيتان بالمدهش (ص ٤٠٤) .

(٤٤٣) وردت هذه الموعظة بالمدهش (ص ٤٥٠) من قوله (الهٰنا سلمنا من نفوسنا ... إلى قوله (أقم من قعد به سوء عمله) .

(٤٤٤) نكاية : قهر أو غلبة . [الوسيط (٢/٩٥٤)] .

(٤٤٥) كذا بالأصل وبالمدهش (خوادع) .

(٤٤٦) كذا بالأصل وبالمدهش (آمالنا) .

(٤٤٧) كذا بالأصل وبالمدهش (مزالق) .

شـــعر

يا ذا المكارمِ والعُلاَ يا ذا الجلالِ الأوحدِ
إن العُصاةَ تجمعوا وأتوا لبابكَ سيدى
قَصَدَتْكَ كلُ قبيلةٍ ممن يروحُ ويغتدى
بسطوا إليك أكفهم والرامقاتُ[448] مع اليد

الفصـل الثانى عشـر

تفكـر بالآخـرة

(٤٤٩)

اسمع يا عظيم الاغتباط ، يا كثير الانبساط ، أما تخاف عواقبَ هذا الإفراط ؟! يا مؤثرا الفانى على الباق غلطت ، لا كالأغلاط ، أيعجبك ثوبُ الصحةِ ؟! كلا ثوبُ البلا يُخاط ، أين من سلف من الأولين والآخرين ، أين أبوك آدم صفوة رب العالمين ، أين محمد سيد المرسلين ، أين الأمم الماضية ، أين القرون الخالية ، أين الذين ملؤوا ما بين الخافقين فَخْراً وعزّاً ، أين الذين فرشوا القصور خزا وقزا[450] ، أين الذين ارتجت بهم الأرض رجفا وهزا ، ﴿ **هل تحس منهم من أحدٍ ، أو تسمع لهم ركزا** ﴾[451] ، أهلكهم والله مُهلك الأمم

---

(٤٤٨) الرامقات الناظرات – والمراد الأبصار – [اللسان (١٠/١٢٦ – رمق] ط. دار صادر .

(٤٤٩) وردت هذه الموعظة بالمدهش (ص ٢٠٦) من قوله (اسمع ياعظيم الاغتباط ... إلى قوله (كلا ثوب البلى يخاط) .

(٤٥٠) خزاً وقزاً : الخز والقز ثياب تنسج من الحرير [اللسان (٥/٣٤٦ – خزز ، ٥/٣٩٥ – قزز)] ط. دار صادر .

(٤٥١) سورة مريم – الآية : ٩٨ .

ومبيدُها ، وأفناهم مفنى الأممَ ومُعِيدُها ، فسكنوا بعد سعة القصور ضيق القبور ، وتبدلوا بعد الفرش الوثيرة خشونة المدر[٤٥٢] ، وبليت منهم محاسن تلك الصور ، وخلى كلا منهم بما قدم وأخر .

شــعر

يا من أقام وقد مضى أسلافُه   هل أنت إلا واحدٌ ممن مضى
دين المنيـة لا يؤخـر ساعـةً   فكأننى بك للمنية تقتضــى

من مهر الدنيا الدنية ، زفت إليه بالسقم والألم ، ومن ركب مطايا الغفلة ، أشرفت به على غاية الندم .

موعـظة لزهد الدنيـا

قال أبوزكريا التيمي : بينما سليمان بن عبدالملك[٤٥٣] فى المسجد إذ أتى بحجرٍ وفيه خط منقوش ، فلم يحسن أحد مما كان عنده يقرأه فأتى بوهب بن منبه فقرأه فإذا فيه : ابن آدم لو رأيت قرب ما بقى من أجلك ، لزهدت فى طول أملك ، ولرغبت فى الزيادة من عملك ولقصرت من حرصك وحيلك ، وإنما تلاقى ندمك ، إذا زل به قدمك وأسلمك أهلك وحشمك ، وبان عنك الولد والقريب ، ورفضك الوالد والنسيب ، فلا أنت إلى دنياك عائد ، ولا فى

---

(٤٥٢) المدر : قطع الطين اليابس [اللسان (١٦٢/٥ – مدر)] ط. دار صادر .

(٤٥٣) سليمان بن عبدالملك بن مروان ، أبو أيوب ، الخليفة الأموى المشهور ، ولد فى دمشق ولى الخلافة يوم وفاة أخيه سنة ٩٦هـ وكان بالرملة فلم يتخلف عن بيعته أحد ، كان عاقلاً فصيحاً طموحاً إلى الفتح كانت عاصمة دولته دمشق ومدة خلافته سنتان وثمانية أشهر إلا أياماً (٥٤هـ – ٩٩هـ) .

[الأعلام (١٣٠/٣)]

حسناتك زائد فاعمل ليوم القيامة ، يوم الحسرة والندامة ، يا شدة[٤٥٤] الوجل عند هجوم الأجل ، يا حسرة الفوت عند طول[٤٥٥] الموت .

شـــعر

[الحجاج][٣٥٦]

إلى حتفى سعى قدمى   أرى قدمى أراق دمـى
فمـا أنْـفَك من غــــرمٍ   وهــان دمى فها ندمى

استلب زمانك يا مسلوب ، وغالب الهوى يا مغلوب ، وحاسب نفسك فالعمر محسوب ، واح قبيحك فالقبيح مكتوب ، واعجبا لضاحك وعليه ذنوب ، ولنائم وهو مطلوب .

شـــعر

تزود من الدنيا فإنك لا تدرى   إذا جنّ ليلك هل تعيش إلى الفجـرِ
فكم من سليم مات من غير علةٍ   وكم من سقيمٍ عاش حيناً من الدهرِ
وكم[٤٥٧] من فتى يُمسى ويُصبح لاهياً   وقد نُسجتْ أكفانُه وهو لا يدرى

---

(٤٥٤) وردت هذه الموعظة بالمدهش (ص ٢٠٦) ، من قوله (ياشدة الوجل ... إلى قوله (ولنائم وهو مطلوب) .

(٤٥٥) كذا بالأصل وبالمدهش (حضور) .

(٤٥٦) نسب صاحب المدهش هذين البيتين (للحجاج)

(٤٥٧) وردت هذه بالمدهش (ص ٢٠٦)] .

[أين القــلق الدائــم !]

(٤٥٧)

أين الدموع السواجم[٤٥٩] ، قبل المنايا الهواجم ، أين القلقُ الدائم ؟! للذنوب القدائم ، أترى أثرت[٤٦٠] الملاوم فى هذه الأقاوم ؟! ، أيها القاعد والموت قائم ، أنائمٌ عن حديثنا أم متناوم[٤٦١]؟!

« حـــكاية موعـــظة »

قيـل : كان بالبصرة عابـدٌ قد أجهدهُ الخوف والولهُ[٤٦٣] ، وأسقمه البكاء وأنحله ، فلما حضرته الوفاة ، جلس أهله يبكون حوله ، فقال لهم : أجلسونى ، فأجلسوه ، فأقبل عليهم وقال لأبيه : ياأبتِ ما الذى أبكاك ؟! قال : يابنى ذكرت فقدك وانفرادى بعدك ، فالتفت ، إلى أمه وقال : يا أماه ما الذى أبكاك ؟! قالت : يا بنى لتجرعى مرارة ثكلك ، فالتفت إلى زوجته وقال : ما الذى أبكاك ؟! قالت : لفقد برك وحاجتى لغيرك ، فالتفت إلى أولاده وقال : ما الذى أبكاكم ؟! ، قالوا : لذل اليتيم والهوان بعدك فعند ذلك نظر إليهم وبكى ، فقالوا له : ما يبكيك أنت ؟! قال : أبكى لأنى رأيت كلاً منكم يبكى لنفسه

---

(٤٥٨) وردت هذه الموعظة بالمدهش (ص ٢٠٧) من قوله (أين الدموع السواجم ... إلى قوله (أنائم عن حديثنا أم متناوم) .

(٤٥٩) السواجم : أى السائلة أو المنصبة بكثرة . [اللسان (١٢/٢٨٠ سجم)] ط. دار صادر .

(٤٦٠) هنا سقط أثبتناه من المدهش (أترى) .

(٤٦١) متناوم : المتناوم هو من يدعى النوم وليس بنائم والتناوم طلب النوم . [اللسان (١٢/٥٩٦ – نوم)] ط. دار صادر .

(٤٦٢) الوله : الحزن أو الخوف أو التحير . [اللسان (١٣/٥٦١ – وله)] ط. دار صادر .

لا لى ، أما فيكم من بكى لطول سفرى ؟! أما فيكم من بكى لقلة زادى ؟! ، أما فيكم من بكى لمضجعى فى التراب ؟ أما فيكم من بكى لما ألقاه من سوء الحساب ؟ ، أما فيكم من بكى لموقفى بين يدى رب الأرباب ؟! ثم سقط على وجهه فحركوه فإذا هو ميت .

[إلى كم هذا التسويف ؟!]

إخوانى(٤٦٣) : مَرّ الأقران على مدرجةٍ ، وخيول الرحيل للباقين مُسرجةٍ(٤٦٤) سار القوم والفتور هلمجه(٤٦٥) ، وباتت الأرواح من الأجساد وهى مستخرجة إلى كم هذا التسويف والمجمجة(٤٦٦) ، وبضائعكم كلها بهرجة(٤٦٧) ، وطريقكم صعبة عوسجة(٤٦٨) ، ستعرفون الخبر وقت الحشرجة ، أين من حصن واحترس ، وعمر الحدائق وغرس ، وغصب سرير الكبر وجلس وظن بقاء النفس ، خاب الظن فى نفس ، ووجهُه الموت إلى ديار البلاء وطمس ، وتركه فى ظلام ، وظلمه بين العيب والدنس ، فالعاقل من بادر بالسلامة فإن السلامه خلس .

---

(٤٦٣) وردت هذه الموعظة بالمدهش (ص ٢١٢) من قوله (إخوانى مر الأقرب على مدرجة ... إلى قوله (فإن السلامة خلس) .

(٤٦٤) مسرجة : أى وضع عليها السرج واستعدت للرحيل . [اللسان (٢/٢٩٧ - سرج)] ط. دار صادر .

(٤٦٥) كذا بالأصل ووردت بالمدهش (هملجة) وهى الصواب ، ومعنى هملجة : أى السير فى سرعة وبخترة . [اللسان (٢/٣٩٣ ، ٣٩٤ - هملج)] ط. دار صادر .

(٤٦٦) المجمجة : التغير والإفساد . [اللسان (٢/٣٦٢ - مجج)] ط. دار صادر .

(٤٦٧) بهرجة : أى رديئة . [اللسان (٢/٢١٧ - بهرج)] ط. دار صادر .

(٤٦٨) عوسجة : العوسج النبات الشائك . [اللسان (٢/٣٢٤ - عسج)] ط. دار صادر .

ولعل المراد : أن طريقكم صعب عسير كأنه مفروش بالشوك .

شـعر

[ابن المعتز][469]

ألا من لقلبٍ فى الهوى غيرُ منتهَى ... وفى الغي مطْواعٌ وفى الرشدِ مكرهٌ

أشاوره عن توبةٍ فيقول لا ... فإن قلت تأتى فتنةً قال أين هى

[حـكاية إبليس لعنه الله]

يروى أن إبليس لعنه الله ، بعث جنوده فى زمن الصحابة رضى الله عنهم فرجعوا مقهورين فقال : ماشأنكم ؟ قالوا : ما رأينا مثل هؤلاء القوم ، كلما نجتهد فى أن نصيب منهم شيئا ، فلم نقدر عليه وقد أعيانا أمرهم ، فقال لهم : إنكم لن تقدروا على هؤلاء لأنهم صحبوا نبيهم وصدقوا تنزيل ربهم ، ولكن سيأتى من بعد هؤلاء قوم تنالون منهم بغيتكم فلما جاء التابعون رضى الله تعالى عنهم وبث الملعون جنوده فيهم فرجعوا خائبين فقال لهم : ما بالكم فقالوا مارأينا أعجب من هؤلاء نصيب منهم الشيء بعد الشيء حتى إذا كان آخر النهار أخذوا فى الاستغفار فَتُبدلَ سيئاتهم حسنات فقال : إنكم أيضاً لن تنالوا من هؤلاء شيئا ، ولكن سيأتى من بعد هؤلاء قوم تلعبون بهم كيف شئتم ، يوعظون فلا يتعظون ، ويُدعون فلا يجيبون ، لا يستغفرون فيُغفر لهم ولايتوبون فيتوب عليهم .

فيا[470] سادرا[471] فى سكر سروره ، سادلاً ثوب غروره ، فكأنى بك قد اقتعرت[472] غارب الغربة ، واستبدلت بالأثواب التربة ، بين أناس كلهم

---

(469) نسب صاحب المدهش هذه الأبيات (لابن المعتز) [المدهش ٢١٢] .

(470) وردت هذه الموعظة بالمدهش (ص ٢١٦) من قوله (فيا سادراً فى سكر سروره... إلى قوله (وجميعهم على مهاد القلق) .

(471) سادراً : السادر : اللاهى الذى لايهتم لشيء ولايبالى ما صنع . [اللسان (٣٥٥/٤ - سدر)] ط. دار صادر .

(472) كذا بالأصل وبالمدهش (اقتعدت) .

أسير الفراق ، وجميعهم على مهاد القلق ، فيا[٤٧٣]مؤخراً توبته بمطل التسويف لأى يوم أجلت ، ويحك قد نفد السليط[٤٧٤] ، فاستدرك ذبالة المصباح[٤٧٥] .

قال طلق بن حبيب[٤٧٦] :- إن حقوق الله عز وجل أعظم من أن يقوم بها العبد ولكن عباد الله آمسوا تائبين فإن الشيطان لايفارق أحدكم حتى تفارق روحه جسده ، فابسط فى الرجاء يد الطلب فأطيب ما أكل العبد من كسب يده ، إذا قمت فى ظلام الليلة بين يدى سيدك فاستعمل أخلاق الأطفال ، فإن الطفل إذا طلب منه أبيه شيئا بكى عليه ، واسترح إلى حديث المناجاة ، وإن لم يسمع منك وابعث رسائل الأحزان مع رياح الأسحار وإن لم تصل .

قيل لبعض الزهاد : ما الذى أضنى العباد وأتعب الزهاد قال : خوف الحساب وذكر المعاد ، ولم لا تذوب أبدانهم والقيامة أمامهم ثم صاح الزاهد وقال : من لغريق فى ذلك الموقف العظيم ، لقد حركت الفكرة فيه منى ساكناً ، وأثارت منى غماً كامناً ، فيا طول وقوفاً ، ويائقل ظهراً . من كثرة الذنوب ، وحمل العيوب فآه من حملها ثم آه من ثقلها .

---

(٤٧٣) وردت هذه الموعظة بالمدهش (ص ٢٠٧) من قوله (فيا مؤخراً توبته ... إلى قوله (فاستدرك ذبالة المصباح) .

(٤٧٤) السليط : هو الزيت الذى يضاء به المصباح عند عامة العرب . [اللسان (٣٢٠/٧ - سلط)] ط. دار صادر .

(٤٧٥) ذبالة المصباح : الفتيلة التى تسرج فيه . [اللسان (٢٥٦/١١ - ذبل)] ط. دار صادر .

(٤٧٦) طلق بن حبيب : العنزى ، بصرى صدوق ، عابد ، رمى بالإرجاء ، من الثالثة ، روى عن ابن عباس وجابر بن عبدالله ، مات بعد التسعين . [تقريب التهذيب (٣٨٠/١) رقم ٤٧] .

[صفة الصفوة (٢٥٨/٣) رقم ٥١٢]

إخوانى[٤٧٧] : **تعالوا نرق دمع تأسفنا على قبيح تخلفنا ، ونبعث مع قاصد** الحبيب رسالة محصر لعلنا نفوز بأجر المصاب إن لم يرجع المقصود[٤٧٨] يا أرباب القلوب الضائعة ﴿ **اذهبوا فتحسسوا من يوسف** ﴾[٤٧٩]

إخوانى[٤٨٠] : السنون مراحل والشهور فراسخ والأيام أميال والأنفاس خطوات ، والطاعات رؤوس أموال ، والمعاصى[٤٨٠] قطاع الطريق والربح الجنة والخسران النار ، لهذا الخطب شمرً المتقون عن سوق الجد فى سوق المعاملة كلما رأوا مركب الحياة تجد فى بحر العمر شغلهم ما هم فيه عن التنزه فى عجائب البحر فما كان إلا قليل حتى قدموا من السفر فاعتنقتهم أيدى الراحة فى طريق التلقى فدخلوا بلد الوصل فقد فازوا بربح الدهر ، أملهم أقصر من فتر منازلهم أقفر من قبر نومهم أعز من الوفاء ، السهر عندهم أحلى من رقدة الفجر أخبارهم أرق من نسيم السحر ، آماقهم[٤٨٢] بالدموع الدائمة دامية ، والهموم على الحوائج حوائج[٤٨٣] .

---

(٤٧٧) وردت هذه الموعظة بالمدهش (ص ١٦٢) من قوله (تعالوا نرق دمع تأسفنا ... إلى قول الله تعالى ﴿ اذهبوا فتحسسوا من يوسف ﴾ .

(٤٧٨) كذا بالأصل وبالمدهش (المفقود) .

(٤٧٩) سورة يوسف - الآية : ٨٧ .

(٤٨٠) وردت هذه الموعظة بالمدهش (ص ١٦٤) من قوله (إخوانى السنون مراحل ... إلى قوله (والهموم على الحوائج حوائج) .

(٤٨١) هنا سقط أثبتناه من المدهش هكذا [والأنفاس خطوات ، والطاعات رؤوس أموال والمعاصى] وقد أثبتناه بين معكوفتين .

(٤٨٢) آماقهم: المآق : طرف العين مما يلى الأنف وهو مجرى الدمع .
[اللسان (٣٣٦/١٠ ، ٣٣٧ - مأق)] ط. دار صادر .

(٤٨٣) (الحوائج حوائج) كذا بالأصل وبالمدهش (الجوانح جوانح) .

حكاية زاهد وصابر

قال بعض الصالحين : بينا أنا أسير فى بعض جبال الشام وإذا برجل خارج من بين تلك الجبال ، فلما رآنى استتر عنى بشجرة ، فقلت له : سبحان الله بخلت على بالنظر إليك ، فقال : يا هذا إنى أقمت فى هذا الجبل دهرا طويلا أعالج قلبى فى الصبر عن الدنيا وأهلها فطال فى ذلك تعبى وفنى عمرى فى مجاهدة قلبى فوجدته قد سكن من الاضطراب ، وألفتُ الإنفرادَ ، فلما نظرت إليك خفت أن أقع فى الأمر الأول ، فابعدعنى ، ثم صاح واغماه من طول المكث فى الدنيا ثم حول وجهه عنى وقال : سبحان من أذاق قلوب العارفين لذة الخلوة ، وحلاوة المناجاة والانقطاع إليه ، سبحان من ألْهى قلوبهم عن الجنان وعن الحور الحسان ، فلا شيء عندهم ألذ من مناجاته ، ثم ولى وهو يبكى ويقول :

شعر

(٤٨٤)

خَلِّ طَرَفى والبكاءَ إن كنت خِلىٍّ فالحِمىَ أقفرُ من جارٍ وأهلِ

والح من لم يدر ما طعم الأسى أنا(٤٨٥) عن لومك فى أشغل شغل

لم يدع وقرا لنوع(٤٨٦) فى مسمعى واعتراضات الهوى باباً لعذلِ

هذه الأخبار من بعد أثرهم(٤٨٧) والتجافى ببلى الأطلال يبلى

ماوقوفى فى محل ساكنٍ فى فؤادى أهله لا فى المحل

يتمنى طيفكم صب بكم مستهام والمنى جهد المقل .

---

(٤٨٤) وردت هذه الأبيات فى المدهش (ص ٣٢٤) .

(٤٨٥) ما بين المعكوفتين سقط استدركناه من المدهش .

(٤٨٦) كذا بالأصل وبالمدهش (الهوى) والصواب ما ورد بالمدهش .

(٤٨٧) ورد الشطر الأول من هذا البيت هكذا (هذه من بعدهم آثارهم) [المدهش (ص ٣٢٤)] .

والذى يستجلب الطيف الكـرا من لعينى أن ترى النوم من لى
قد مضى أكثر عمرى فى القلى جفـوةً منكـم فَرِقُّـوا للأقـلِ
عجباً لى ولقلـب ضائـع بان عنى بين بانـات وأثـل

الفصـــل الثالث عشـر

[اعمـــل قبل رحيـــلك]

يا ساعيا(٤٨٨) لنفسه فى المهالك دنى الرحيل ، ونضو(٤٨٩) الرحلة بارك . متى تدرك وحشتك بعد إيناسك ؟ ، متى تقتدى من ناسك بناسك ؟ ، كأنى بك قد خرجت عن أهلك وولدت ، وانفردت عن عددك وعُددِك ، وقتلك سيف الندم ولم يُدِك(٤٩٠) ، ورحلت ولم يحصل بيدك إلا عض يدك .

شـــعر

(٤٩١)

كأنك لم تسمع بأخبار من مضـى ولم تر فى الباقينَ مايصنعُ الدهرُ
فإن كنتَ لا تدرى فتلك ديارهمُ محاها مجال الريح بعدك والقطرُ
على ذاك مروا أجمعون وهكـذا يمرون حتى يستردهم الحشـرُ
فحتى متى لا تصحو قد قرب المدا وحتى متى ينجاب عن قلبك السكرُ
بل سوف تصحو حين ينكشف الغطا وتذكر قولى حين لاينفع الذكرُ

---

(٤٨٨) وردت هذه الموعظة بالمدهش (ص ٢٢٠) من قوله (ياساعياً لنفسه فى المهالك ... إلى قوله (ولم يحصل بيدك إلا عض يدك) .

(٤٨٩)نضو : النضو : المهزول من الحيوان. [الوسيط (٩٢٩/٢)]

(٤٩٠) لم يدك : أى لم يؤدِ ديتك . [هامش المدهش (ص ٢٢٠)]

(٤٩١) وردت هذه الأبيات فى المدهش (ص ٢٢٠) .

[فى هــول القيامــة]

قيل : إذا كان يوم القيامة ونفخ فى الصور نفخة البعث قام الناس من قبورهم شعثاً غبراً حفاةً عراةً فبين قائل يقول : أين الطريق إلى الله وبين قائل يقول : أين المفر إلى الله فعند ذلك يخرج لسان من النار من قعر بحر عدن فيسوق الناس جميعا إلى الموقف فبينما هم حيارى سكارى إذ تجلىَّ الحق جلَّ جلالهُ لفصل القضاء ، فتشرق الأرض من نوره فتنظر الخلائق بعضهم إلى بعض فتنظر المرأة إلى ولدها الذى كان لها فى دار الدنيا فتعرفه فتناديه يا ولدى ، فلا يجيبها ، فتقول له : يا ولدى ألم يكن بطنى لك وعاءً ؟ ألم يكن ثديى لك سقاءً؟ ألم يكن حجرى لك وطاءً ؟ ، فيقول : بلى يا أماه ، فتقول ، يا ولدى فاحمل اليوم عن أمكِ شيئاً من أوزارها فقد ثقل ظهرها وضعفت قوتها فيقول : يا أماه هيهات هيهات ﴿ **كل نفسٍ بما كسبت رهينة** ﴾[٤٩٢] يا أماه إذا حملت اليوم عنك فمن يحمل عنى ؟ ، قال : فبينما هو يخاطبها إذ نادى مناد من السماء أين فلان بن فلانة ؟ ، هلم إلى العرض على الله عز وجل فإذا سمع ذلك تغير لونه ، واضطربت جوارحه ، واصطكت ركبتاه فإذا نظرت أمه ما نزل به قالت : ياو لدى ماشأنك فيقول : ياأماه قد دنوت للعرض على الله عز وجل ، فكيف لى بالفرار قبل أن تهتك الأستار ، فبينما هو كذلك إذ أقبل ملكان فيقبضان على عضديه ويقولان له : يا عبدالله هلم إلى العرض على الله قال : فإذا رأته أمه قد أوثق عليه قامت إليه وضمته إلى صدرها ودافعت عنه لما ترى من جزعه فيدفعانها الملكان عنه فإذا رأت أنها لا حيلة لها فيه أسلمته راغمةً وقالت : يا ملائكة ربى أقسمت عليكما بالذى بعثكما إليه ألا رفقتما به قال : فيقبضان عليه وينطلقان به فلما ولى نادته : يا ولدى سألتك بالذى دعاك للحساب إن نجوت لا تنس أمك وطول وقوفها وتزايد كربها وشدة عطشها ، قال : فينطلق الملكان به حتى يأتيان به إلى سدرة المنتهى فيسلمانه إلى الملك الموكل بالحجاب فيقول له الملك : من أى الأمم أنت فيقول : من أمة محمد ، فيقول له : طوبى لك ولأمة أنت منها ، ثم يقبض عليه

---

(٤٩٢) سورة المدثر – الآية: ٣٨ .

ويزجه فى النور ويقول له : اذهب يا عبدالله فيمر فى النور ماشاء الله ثم يقف متحيراً لا يدرى أين يذهب وإذا النداء من قِبَل الله عز وجل : هلم يا عبدى فأنا ربك الحنان المنان ، قال : فيتقدم وقد أذهله الخوف والجزع فيقول الله عز وجل : عبدى اسكن من هذا الخوف والجزع فوعزتى وجلالى ، إنّى لأرأف بك من والدتك ، ثم يقول الله عز وجل : اقرأ كتابك فيقرأه ، فإذا مر بخطيئةٍ كان عملها فى دار الدنيا يقول الله عز وجل : أتعرفها يا عبدى ، فيقول : نعم وعزتك يارب ، فيقول : يا عبدى لما سترتها من المخلوقين أما علمت أنى مطلع عليك فيقول : بلى يارب ، فيقول له : أما خفت من عقوبتى ، أما جعلتنى أهون الناظرين إليك ، فيقول : سيدى ومولاى لئن تأمرنى إلى النار خير لى من هذا التوبيخ ، فيقول الله عز وجل : عبدى إذا أمرت بك إلى النار فأين جودى وأين كرمى ، وأين عفوى ومغفرتى ، يا ملائكتى انطلقوا بعبدى إلى الجنة . قال : فيبقى باهتا متحيراً، فيقول الله عز وجل: عبدى مم تحيرك؟ فيقول: إلهى وسيدى كانت لى والدة فى دار الدنيا تمنحنى برها وحياتها ، وقد حيل بينى وبينها ، وقد أدركها من هول يوم المطلع وشدة العطش ما لاتطقه[٤٩٣] لها به فأسألك يارب أن تشفعنى فيها ، فيقول الله عز وجل : ما عرفت بينكما إلا بعد أن رحمتكما ، خذ بيدها وأدخلها الجنة .

فيا من[٤٩٤] بين يديه هذه الأهول[٤٩٥] والعجائب ، وقدماً أعدت[٤٩٦] له النوائب ، أما سهم المصائب كل يوم صائب ؟! ، أحاضرٌ تحمل من عتبنا كلا ؟! بل أنت غائب .

---

(٤٩٣) كذا بالأصل ولعل الصواب (ما لاطاقة) .

(٤٩٤) وردت هذه الموعظة بالمدهش (ص ٢٦٦) ، من قوله (فيا من بين يديه الأحوال والعجائب ... إلى قوله (بل أنت غائب) .

(٤٩٥) كذا بالأصل والصواب [الأهوال] .

(٤٩٦) (قدماً أعدت له النوائب) كذا بالأصل وقد وردت بالمدهش (وقدماً نوى له الدهر النوائب) . [المدهش (ص ٢٦٦)] .

[ســلاح الجدّ]

(٤٩٧)

قيل لبعض أهل الرياضة :- كيف غلبت نفسك ؟ قال :قمت فى صف حربها بسلاح الجدّ فخرج مرحب[٤٩٨] الهواء يدافع ، فعلاه على العزم بصارم[٤٩٩] الحزم فلم تمض ساعة حتى ملكت خيبر .

اسـمعوا[٥٠٠] يا معاشر المعرضين[٥٠١] عن أهل الدين .

شـعر

تعالـوا[٥٠٢] نُقـمْ مأتماً للفـراقِ ونـنــدبُ أخْوَاتَنَـا الظاعنينـا

هلموا نريق دمع أسفنا ، على قبيح تخلفنا ، فأنجح المراهم لجراحات الدموع البكاء[٥٠٣] ، هتكة الدمع سترة على الذنب .

---

(٤٩٧) هذا الأثر ورد بالمدهش (ص ٢٢٩) .

(٤٩٨) مرحب : السعة والاتساع . [اللسان (٤١٣/١ ، ٤١٤ - رحب)] ط. دار صادر .

(٤٩٩) صارم : الصارم : يقال سيف صارم أى قاطع ورجل صارم : شجاع أو بات فى أمره ماضٍ .

[الوسيط (٥١٣/١)]

(٥٠٠) وردت هذه الموعظة بالمدهش (ص ٢٤٦) من قوله : (يا معاشر المعرضين ... إلى قوله (سترة على الذنب) .

(٥٠١) كذا بالأصل وبالمدهش (المطرودين) والصواب ما ورد بالأصل .

(٥٠٢) ورد هذا البيت فى المدهش (ص ٢٤٦) .

(٥٠٣) ما بين المعكوفتين سقط استدركناه من المدهش .

حكاية محمد بن المنكدر

كان(٥٠٤) محمد بن المنكدر(*) كثير البكاء فسئل عن ذلك فقال : آية من القرآن أبكتني . قيل : وما هي ؟ قال : قوله تعالى ﴿ **وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون** ﴾(٥٠٥) .

أب(٥٠٦) يا شارد الطبع من سفر الهوى وأذب جامد الدمع بنيران الأسى لعل شفيع الاعتراف يسأل فى أسير الاقتراف ، فرغ(٥٠٧) عينيك من شئونك (٥٠٨) ، وخلص ذنوبك(٥٠٩) من بحر عيوبك(٥١٠) وصن صندوق فمك بقفل صمتك ، واطو طيلسان(٥١١) لسانك عن بذلة نطقك ، واغضض عينيك عن عيب غيرك حفظاً لدينك ، وابن منبر التذكير لواعظ القلب فى ساحة الصدر ، فإنْ رماك القدر بسهم الفتور عن قوس الحكمة من يد « لكل عامل فترة » ، فاتق بجنة الاعتذار واجلس ليلة على مائدة السحر وذق طعام المناجاة ينسيك كل لذة ، أرياح الأسحار ، لايستنشقها مزكوم غفلة ، وأعجب الرسائل

---

(٥٠٤) هذه الحكاية وردت بالمدهش (ص ٢٤٧) من قوله (كان محمد ... إلى قول الله تعالى ﴿ **وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون** ﴾ ومحمد بن المنكدر القرشى المدنى : زاهد ، من رجال الحديث من أهل المدينة أدرك بعض الصحابة وروى عنهم له نحو مائتى حديث (٥٤ - ١٣٠هـ) [الأعلام (١١٢/٧)] .

(٥٠٥) سورة الزمر - الآية : ٤٧ .

(٥٠٦) وردت هذه الموعظة بالمدهش (ص ٢٤٨) من قوله (أب يا شارد الطبع .. إلى قوله (ترد إلى الأسرار لايعلمها الملك .

(٥٠٧) كذا بالأصل وبالمدهش (نق) وكلاهما صواب .

(٥٠٨) كذا بالأصل وبالمدهش (عيوبك) .

(٥٠٩) ذنوبك : الذنوب : الدلو العظيمة . [الوسيط (٣١٦/١)] .

(٥١٠) كذا بالأصل وبالمدهش (ذنوبك) .

(٥١١) طيلسان : بمعنى عجمة لان الطيلسان أى الغير عربى (الأعجمى) [الوسيط (٥٦٢/٢)] .

تحمل فى الأسحار لا يدرى بها الفلك ، والأجوبة ترد إلى الأسرار لايعلمها [إلا] الملك الغفار(٥١٢) .

شعر

يا(٥١٣) حبذا رند(٥١٤) العقيق(٥١٥)وأنه سقى العقيق وأهله وزمانه
وضعت(٥١٦) خمائله ورق نسيمه وصفت على عصبائه غدرانه
وشكت تباريح الصبابة ورقه وتمايلت بيد الصبابة أفنانه(٥١٧)
يا مفرداً فى حسنه صل مدنفاً(٥١٨) فى حزنه لعبت به أشجانه
صباً إذا ذكر الغوثر(٥١٩) وأهله فاضت مدامعه وجن جنانه

---

(٥١٢) (لايعلمها الملك الغفار) كذا بالأصل والصواب (لايعلمها إلا الملك الغفار) وقد وردت بالمدهش بلفظ (لايعلمها) .
(٥١٣) وردت هذه الأبيات بالمدهش (ص ٢٥٠) .
(٥١٤) رند : الرند : شجر طيب الرائحة . [الوسيط (٣٧٥/١)] .
(٥١٥) العقيق : هو واد بالحجاز مملوء بالماء . [معجم البلدان (١٣٨/٤ : ١٤٠)] .
(٥١٦) كذا بالأصل وبالمدهش (راقت) والأفضل ما ورد بالمدهش .
(٥١٧) أفنانه : أغصانه . [اللسان (٣٢٧/١٣ - فنن)] ط. دار صادر .
(٥١٨) كذا بالأصل وبالمدهش (مفرداً) .
(٥١٩) كذا بالأصل وبالمدهش (العقيق) والصواب ما ورد بالمدهش .

[حـكاية جارية حبشـــية]

قال[٥٢٠] الشبلى[٥٢١] :- لقيت جارية حبشية فقلت لها : من أين قالت : من عند الحبيب قلت : وإلى أين ؟ ، قالت : إلى الحبيب ، قلت : ما الذى تريدين من الحبيب ، قالت : أريد من الحبيب الحبيب قلت : كم تذكرين الحبيب ، قالت : مايفتر لسانى من ذكر الحبيب حتى ألقى الحبيب .

شـــعر

وحرمة[٥٢٢] الودِ مالى عنكم عوضٌ   وليس لى فى سواكم بعدكم عرضٌ
ومن حديثى بكم قالوا به مرضٌ   فقلت لازال عنى ذلك المرض

من مشى[٥٢٣] إلىَّ هرولت إليه ، دعوناك بالوسائط فلم تحضر فأبا[٥٢٤] المرسل ، ينزل إلى سماء الدنيا ، النطق متشابه ، والذوق محكم ، من غرس[٥٢٥] فى نفسه شرف الهمة نبت ، نبت عن الأقذار همته ، ومن استقر ركن عزيمته ثبت عن الأكدار عزيمته .

---

(٥٢٠) هذا القول ورد بالمدهش (ص ٢٥٥) من قوله (قال الشبلى ... إلى قوله (حتى ألقى الحبيب) .

(٥٢١) الشبلى : هو دلف بن جحدر ، الشهير بأبى بكر الشبلى : ناسك كان فى مبدأ أمره والياً فى دنباوند (من نواحى رستاق السرى) وولى الحجابة فى عهد الموفق العباسى ثم ترك الولاية وعكف على العبادة واشتهر بالصلاح ، له شعر جيد سلك به مسالك المتصوفة ، أصله من خراسان ونسبته الى قرية شبلة ، مولده (بسر من رأى) ووفاته ببغداد ٢٤٧هـ . - ٣٣٤ هـ) [الأعلام (٣٤١/٢)] .

(٥٢٢) ورد هذان البيتان فى المدهش (ص ٢٥٥) .

(٥٢٣) وردت هذه الموعظة بالمدهش (ص ٢٦١) من قوله (من مشى الىَّ هرولت إليه ... إلى قوله (والذوق محكم) .

(٥٢٤) كذا بالأصل وبالمدهش (فأتى) والصواب ما ورد بالمدهش .

(٥٢٥) ورد بالمدهش (ص ٢٦٣) من قوله (من غرس فى نفسه شرف الهمة ... إلى قوله (ثبت عن الأكدار عزيمته) .

« حـــكاية زاهـــد »

قال ابن السماك عفا الله تعالى عنه ورحمه : كنت جالسا عند باب دارى إذ جاءنى رجل من بعض إخوانى فقال لى : يا أبا بكر لى ولدٌ من المبرزين فى العبادة والمخلصين فى الزهادة يقوم الليل ويصوم النهار ومع ذلك لايفتر من البكاء وقد أضرَّ ذلك ببدنه وأنا خائف عليه أن يهلك فأحبُ أن تسألهُ الرفق بنفسه فلعله أن ينامَ فى الليل نومةً واحدةً يقوى بها على عبادة الله عز وجل ، فقلت له : نعم إن شاء الله تعالى قال : فبينما هو يخاطبنى إذ طلع علينا شابٌ كأنه عودُ بانٍ له نور كالبدر ووجهه قد علاهُ إصفرارٌ ناحلُ الجسمِ فقال : يا أبا بكر هذا ولدى ، فقلت للولد : حبيبى إن الله عز وجل قد فرض عليك طاعة أبيك ونهاك عن معصيته وقد سألني أن أسألك حاجة ، قال : وما هى ؟ قلت : تفطر فى الجمعة مرة وتنام فى الليل نومةً فإنك تقوى بذلك على عبادة ربك فقال أما والله لقد طلب مني التقصير فى العمل قبل حلول الأجل يا أبا بكر إنى بايعتُ إخواناً على السباق فأخشى أن تُعرض أعمالى وأعمالهم فيوجد فى أعمالى دون أعمالهم تقصيرا فيا سوء حالى أن بادر فى أجلى قبل أن أبلغ ما بلغوا ، يا أبا بكر لو رأيت إخوانى الذين بايعتهُم وقد تجافت جنوبهم عن المضاجع وركبوا رواحل الظلام وقطعوا عليها الليل والناس نيام ، قد وصلوا الكلال بالكلال[٥٢٦] ، اشتياقا إلى ذى الجلال أفتشيرُ علىَّ ياشيخ بالتقصير ، والله لأجتهدنَّ ثم لأجتهدنَّ حتى ألحق بهم .

شـــعر

وحياةُ من ملكتْ يداهُ قيادى	لأخالفنَّ على الهوى حُسَادِى
ولأعصينَّ عواذلى فى حبــهِ	ولأهجـرنَّ لذاذتى ورُقَـــادِى
ولأجعلنَّ نزاهتى فيه البــكاءُ	ولا كحلن محاجـرى بشهــادىِ
ولأحفرنَّ بسره ضمن الحشــا	قبراً ولم يعلم بذاك فؤادى

---

(٥٢٦) الكلال بالكلال : أى المتاعب بالمتاعب (كلَّ الرجل : إذا تعب) .
[اللسان (١١/٥٩١ – كلل)] ط. دار صادر .

[يا مـن أبعدته الخطايا]

(٥٢٧)

اسمع يا من أبعدته الخطايا عنهم ، وأخرجته الذنوب منهم لابد والله من قلق وحرقة ، إما فى زاوية التعبد ، وإما فى هاوية الطرد ، أما آن لك أن تُحرق قلبك بنار الندمِ على التقصير والخوف من سوء المصير ، وإلا فنارُ جهنمَ أشدُّ حراً .

شـــعر

(٥٢٨)

شجـاكَ الفـراقُ فمـا تصنــع أتصبـرُ للبيـــن أم تجـــزعُ
إذا كنتَ تبكى وهم جيرة فكيـف تكـون إذا ودعـــوا

القلق القلق يا من سلب قلبه ، البكاء البكاء يا من عظم ذنبه .

كان(٥٢٩) **الشبلى يقول فى مناجاته** :- ليت شعرى ، ما أسمى عندك يا علاَّم الغيوب ، وما أنت صانع فى ذنوبى يا غفَّارَ الذنوب ؟! وبم تختم لى عملى يا مقلبَ القلوب ؟ ، ثم يصيح : قرة عينى وسرور قلبى ما الذى أسقطنى من عينك ؟ أقلتَ ﴿ **هذا فراق بينى وبينك** ﴾(٥٣٠) ؟! .

---

(٥٢٧) وردت هذه الموعظة بالمدهش (ص ٢٦٣ ، ص ٢٦٤) من قوله (يا من أبعدته الخطايا عنهم ... إلى قوله (البكاء البكاء يا من عظم ذنبه) .

(٥٢٨) ورد هذان البيتان فى المدهش (ص ٢٦٤) .

(٥٢٩) ورد هذا الأثر فى المدهش (ص ٢٦٤) من قوله (كان الشبلى ... إلى قوله الله تعالى ﴿ **هذا فراق بينى وبينك** ﴾ .

(٥٣٠) سورة الكهف - الآية : ٧٨ .

شـــعر

(٥٣١)

إن ترحلت أو أقمت فعندى فيض دمع يجرى ووجد مقيم
وفؤادى ذاك الفـؤاد المعـنّـى وغرامى ذاك الغـرام القـديم

الفصـــل الرابع عشـــر

[احــذروا المـوت]

(٥٣٢)

يــا حائراً[٥٣٣] كلما قيل اسقط سقط[٥٣٤] ، يا نازلا فسطاط الهوى على ساحل الشطط يامهملا[٥٣٥] ما عند الموت غلط ، كم سلب شريفا ووضيعا سلباً عنيفاً وخبط ، تالله مايبالى حمام الحمام[٥٣٦] أى حب لقط ؟ ، أما يكفى نذيرهم بلى قد خوف الفرط . أما خط الشيب خط النهى عن الخطاء لما وخط ، أما جهل[٥٣٧] الشباب قد أذى[٥٣٨] فما بعد الشمط[٥٣٩]؟ ، فإلى متى

---

(٥٣١) ورد هذان البيتان بالمدهش (ص ٣٠٦) .

(٥٣٢) وردت هذه الموعظة بالمدهش (ص ٢٣٦) من قوله (يا جايراً ... إلى قوله (فإنما تجازى بما تفعل) .

(٥٣٣) كذا بالأصل ووردت بالمدهش (يا جايراً) .

(٥٣٤) (اسقط سقط) كذا بالأصل وبالمدهش (أقسط قسط) والصواب ما ورد بالمدهش .

(٥٣٥) كذا بالأصل ووردت بالمدهش (ياممهلاً لا مهملاً) .

(٥٣٦) الحمام : قضاء الموت وقدره [الوسيط (١/٢٠٠)] .

(٥٣٧) كذا بالأصل وبالمدهش (آذن) .

(٥٣٨) (قد أذى) كذا بالأصل وبالمدهش (بالذهاب) .

(٥٣٩) الشمط : اختلاط بياض الشعر بسواده والمقصود العجز والكبر . [اللسان (٣٣٥/٧ ، ٣٣٦ - شمط)] ط. دار صادر .

يعظك الدهر ولا تقبل وحتى متى ينذرك القهر ، إنك عن قريب ترحل وتضم العيب إلى الشيب ، وبئس ما تفعل كن كيف شئت فإنما تجازى بما تفعل .

اسمع[٥٤٠] يا هذا عليك حافظ وضابط ليس بناسٍ ولا غالط ، يكتب الألفاظ السواقط ، وأنت فى ليل الكلام[٥٤١] خابط ، يا من شاب إلى كم تغالط ؟! ، ابك على ما مضى ويكفيك الفارط ، ما للعيون قد أخلفت أنوارها كثر نظرها إلى الحرام فقل بكاؤها ما للقلوب المريضة ؟ قد عز شفاؤها ، ساكنت إخوان الأمل فقلَّ وفاؤها ، آه لأمراض نفوس يئس طبيبها ، ولأصواتِ مواعظٍ قد خرس مجيبها ، هبت والله دبور الذنوب فتركت الأجساد بلا قلوب أين الفهم والتأمل ؟ .

إخوانى دنى الترحل ، لابد وشيكا من التحول رقيبكم يا غافلين لا يغفل أتدركون الذنوب بلا تململ ، يا من يعد بالتوبة كم تمطل ؟ المعاصى سم اليسير منه[٥٤٢] يقتل ، يا[٥٤٣] من هبت على قلبه جنوب المجانبة ، فلفقت غيم الغفلة فاظلم أفق المعرفة ، لاتيأس فالشمس تحت الغيم ، لو تصاعدت أنفاس الأسف دارت شمالا فقطعت السحاب ، وظهرت شمس المعرفة .

بـكاء آدم عليه السـلام

يا هـذا دواء أجده لك البكاء اقتداء بأبينا آدم ﷺ قيل :- كان آدم يبكى حتى يخوض فى دموعه فيأتيه جبريل عليه السلام فيقول له : يا آدم لم هذا البكاء فيقول : يا جبريل ما تغير عليك أمر وأنا نقلت من نعيم الجنات إلى شظف هذا المكان .

---

(٥٤٠) وردت هذه الموعظة بالمدهش (ص ١٧٤) من قوله (اسمع يا هذا عليك حافظ وضابط ... إلى قوله (المعاصى سم اليسير منه يقتل) .

(٥٤١) كذا بالأصل وبالمدهش (الظلام) والصواب ما ورد بالمدهش .

(٥٤٢) ما بين المعكوفتين سقط أثبتناه من المدهش (ص ١٧٥) .

(٥٤٣) وردت هذه الموعظة بالمدهش (ص ٤٠٥) ، من قوله (يا من هبت على قلبه ... إلى قوله (وأنا نقلت من نعيم الجنات إلى شظف هذا المكان) .

شــعر

يا عاذلين على الغـرام متيمـاً ألف الصبابةَ ما لكم ولفتيـه
أنى يفيق من الهوى من نفسـه رضيت نصر الحب من ولعت بـه

حــكاية داود عليـه الســلام

قيـل :– أوحى الله عز وجل إلى داود عليه السلام يا داود عليك بالبكاء فإنه يمحو السيئات ، ويثبت الحسنات ، يا داود كيف غفلت عن عينك حتى امتدت إلى ما يحل لك ، يا داود أما علمت أنى غيور قال : فصاح داود وأخذ فى البكاء فأوحى الله عز وجل إليه : يا داود لم هذا البكاء إن كنت مظلوماً نصرتك وإن كنت جائعًا أطعمتك وإن كنت عطشانا سقيتك وإن كنت عرياناً كسوتك ، فقال : إلهى وكيف لا أبكى ، وقد سودت الخطيئة فى كتابى ، فبحرمة ما قد كان بينى وبينك ألا غفرت لى ، فأوحى الله عز وجل إليه : يا داود لم تبق الخطيئة بينى وبينك حرمة ، يا داود أنت بخطيئتك محجوب فإن أحببت أن تصير القطيعة وصلاً فعليك بالبكاء .

شــعر

بَرِّدْ غراماً بقلبٍ أنتَ مُضرِمُهُ وداوى سقما بصبٍ أنتَ مسقمُهُ
ولا تكلنِى على بعد الديارِ إلىَّ صبرى لضعيفٌ فصبرى أنتَ تعلمُهُ
يا من كانتْ لهُ معنا معاملةٌ وطالت بيننا وبينـهُ المواصلـه
ثم اختـار البحـر والمفاصلـة إن لم يكن جميلا فمجاملـة .

تفكر تعرف قدر ما فاتك ، وابك لذنب حرمك الفوز وفاتك اسكب دموع أسفك ، فرب دم سفك واندب أطلال مالفك ، تعد فى موقفك ، ترى العجب من إقبالنا عليك .

شــعر

(٥٤٤)

فى قُرْبِنَـا نيـلُ المنـا فتـنبهوا يا غافلينــا
عجبـاً لقومٍ أعـرضوا عنَّـا وقــومٍ واصلونــا
نقضوا العهــودَ وكاشطونـا بالصدود وبارزونــا(٥٤٥)
يا ويحهــم إن لــو رأوا ما فاتهم لاستعطفونــا

قيـل إن الله عز وجل أوحى إلى نبي من أنبيائه : بعينى ما تحمل المتحملون من أجلى وما يكابدون فى طلب مرضاتى ، فكيف بهم إذا صاروا إلى جوارى واستنزلتهم للجلوس عندى ، وسفرت لهم عن وجهى أيظنون أنى أنسى لهم عملاً ؟ كيف وأنا الجواد الكريم ، أجود على المولِّيين عنِّي ، فكيف لا أجود على المقبلين علىَّ ، وما أغضب لشيءٍ كغضبى على من خطَّ خطيئةً واستعظمها فى جنب عفوى فلو عجلت العقوبةَ على أحدٍ لعجلتها على القانطين من رحمتى .

« حــكاية ابن شــمعون »

وكان الحسن بن شمعون يقول : إذا قال العبد : إلهى عصيت ، يقول الله عز وجل : عبدى وأنا رأيتِ ، فإذا قال : إلهى بالفضول نطقت ، يقول الله عز وجل : عبدى وأنا سمعت ، فإذا قال إلهى وإلى الحرام نظرت يقول الله عز وجل : عبدى وأنا شهدت ، فإذا قال : إلهى ندمت ، يقول الله عز وجل : عبدى وأنا علمت ، فإذا قال : إلهى اعترفت ، يقول الله عز وجل : عبدى وأنا عفوت ، فإذا قال : إلهى تبت ، يقول الله عز وجل : عبدى وأنا قبلت .

---

(٥٤٤) وردت هذه الأبيات بالمدهش (ص ٤٠٣) .

(٥٤٦) ورد هذا البيت فى المدهش هكذا (نقضوا العهود وبارزونا.. الصدود كاشفونا) .

[جرحى الذنوب]

(٥٤٧)

يا جرحى الذنوب قد علمتم المراهم ، فداووا جراح الذنوب ، أخرجوا من قصر الهوى ، فقد لاحت مدينة مدين ، حزيم العزم الصادق حرام على التردد ، متى يحرم العزم .

يا هذا لو عرفت نفسك التحقيق لصارت معك فى أصعب مضيق ، لكنها ألفت التفاتك ، فلما طلبت قهرها فاتك ، هلاً شددت الحيازم ، وقمت قيام عازم ، وفعلت فعل حازم ، وقطعت على أمر جازم ، تقصد الخير ولكن ملا تلازم .

شعر

(٥٤٨)

ولو أنهمُ عند كشفِ القناع وحلِّ العقودِ ونقضِ العهودِ
وخلعهم لعذار الحياءِ ولبسهم لبرودِ الصدودِ
أناخوا بأبوابنا ساعةً وأجروا مدامعهم فى الخدودِ
لعدنا سراعاً إلى وصلهم وقلنا قلوب المحبين عودِ

إذاً سيصلح القدر أرض قلب قلبها بمحراث الخوف ، وبذر فيها حب المحبة وإذا رآها دولاب العين وأقام حارس المراقبة ، فترى زرع التقوى على سوقه .

---

(٥٤٧) وردت هذه الموعظة بالمدهش (ص ٢٤٥) ، من قوله (يا جرحى الذنوب قد علمتم المراحم إلى قوله (لاحت مدينة مدين) .

(٥٤٨) وردت هذه الأبيات بالمدهش (ص ١٨٦) .

روى أبوذر الهوى عن حامد الأسود صاحب إبراهيم الخواص[٥٤٩] : أنه خرج معه فى طريق مكة المشرفة ، فانضمَّ إليهما شاب فمشى معهما يوماً وليلةٍ ما سجد لله سجدة واحدة ، فأعلم إبراهيم بذلك ، فقال له : يا غلام ما لك لاتصلى والصلاة أوجب عليك من الحج ، فقال له : يا شيخ ما على صلاة ، فقال له : ألست مسلماً قال : لا قال : فما دينك قال : النصرانية وإشارتى فى دينى إلى التوكلِ وادعت نفسى أنها أحكمت هذا المقام فأردت أن أختبرها ، هلى هى صادقةُ فيما ادعته أم لا . فقال إبراهيم : دعه يمشى معك ، فلم يزل يمشى معنا إلى أن وصلنا بطن مر[٥٥٠] ، فقام إبراهيم ، ونزع خلقانه وطهرها بالماء ثم التفت إلى الشاب وقال له : ما اسمك قال : عبدالمسيح ، قال : يا عبدالمسيح هذا دهليز مكة وقد حرم الله عليك وعلى أمثالك دخولها ثم قرأ قوله تعالى ﴿ **إنما المشركون نجس** ﴾[٥٥١] . قال حامد : ثم مضينا وتركناه فبينما نحن بعرفات وإذا به قد أقبل وعلى جسده ثوب إحرامه وهو يتصفح الوجوه ، حتى وقف علينا فأكب على رأس الشيخ يقبلها فقال له الشيخ :- ما جاء بك يا عبدالمسيح فقال : يا سيدى أنا اليوم عبد من المسيح عبده ، فقال له الشيخ حدثنا بقصتك ، قال : يا سيدى لما مضيتم وتركتمونى ، بقيت مكانى وأنا منكسر القلب ذليل النفس وإذا بقافلة الحج قد أقبلت فقمت وتنكرت بزى المسلمين وسرت معهم محرما ، وفعلت كما رأيتهم يفعلون ، فما هو إلا أن وقع بصرى على الكعبة ، فعند ذلك اضمحل كل دين عندى سوى الإسلام فأسلمت وتطهرت وأحرمت ، وها أنا فى طلبك .

---

(٥٤٩) إبراهيم الخواص : هو أبوإسحاق إبراهيم بن أحمد الخواص ، له فى التوكل الحال المشهور ، تبتل عن الخلق وتوكل على الحق ، صوفى كان أوحد المشايخ فى وقته ، من أقران الجنيد ، ولد فى (سر من رأى) ومات فى جامع الرى (... - ٢٩١هـ) [الأعلام (٢٨/١)] [الحلية (٣٢٥/١٠)] .

(٥٥٠) بطن مُر : وادٍ فى بطن إضم وقيل هو بطن إضم كذا ضبطه الحازمى ؛ والمر أيضاً أرض بالنجد من بلاد مهرة بأقصى اليمن [معجم البلدان (١٠٦/٥)] .

(٥٥١) سورة التوبة - الآية : ٢٨ .

شـــعر

ما لى إذا ذُكِرَ العذيبُ[٥٥٢] وأرضهُ ثم الـركابُ ومـــاؤهُ المورودُ
أبدى التماسك فى الأراك تجلداً ويُمـدنى مـر الصبَا فأميـــدُ
يا ساكنى كثب العقيق أظَلَكُمْ ورقُ الشبابِ وظلهُ الممـدودُ
أحسبتم أهدى التباعُـد سلـوةً للوجد وأنسى الغرامَ صـدودُ
ولدونِ ما أودعتموا منِ الهوى نارٌ لها حبُ القلوبِ وقـودُ
تزكو فتمنحها الملامةُ فيكـم لهبـاً فينمـو وَقْدُهَـا ويزيـدُ
يهوى لأجلكم الحجيـجُ وما بهِ لولاكم تشـك ولا تزهيـــــدُ
ويشوقه أرج الحجاز وذكره الشد أنى ومرتـبعُ الحجـاز بعيدُ
يا حاج بيت الله صبراً إن لى حاجاً وحملكم لها المقصـــودُ
حيوا أعاريب العـذيب وسائلوهُ إن كانَ سؤالُ العذيب يُفيـدُ
وسلوهـم رد السلام عليهـم وأظن أن سؤالكم مـــردودُ

قال : فالتفت إبراهيم وقال : يا حامد انظر بركة الصدق فى النصرانية كيف هداه الله تعالى إلى الإسلام ، قال إبراهيم : فكان هذا الشاب من المجتهدين ولم يزل يصحبنا إلى أن مات .

---

(٥٥٢) العذيب : ماء معروف بين القادسية ومغيثة ، وهو لبنى تميم .
[اللسان (٥٨٥/١ - عذب)] ط. دار صادر .

« حــكاية مجوســى »

وقال الحسن البصرى :[553] رأيت مجوسيا يجود بنفسه فقلت له : كيف أنت قال : ألمٌ شديد ولا طاقةَ لى وطريق بعيدٌ ولا زادَ معى وقبر موحشٌ ولا أنيس لى ، فقلت : هذا كلامُ حكيمٍ ، ثم أقبلت عليه وقلت له : لم لا تسلم ، فقال : ياشيخ ليس لك من الأمر شيء المفتاح بيد الفتاح والعقل ها هنا وأشار إلى صدره ثم غشى عليه . قال الحسن : فقلت إلهى إن كان سبق لهذا المجوسى عندك سعادة فعجل بها فى هذه الساعة ، وإذا به قد فتح عينيه وقال : ياشيخ إن الفتاح قد أرسل المفتاح مُد يدك فأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله ، ثم مات من ساعته .

[اللهــم نور قلوبنا بنور توفيقــك]

اللهم[554] نور قلوبنا بنور توفيقك ، واقطع أيامنا فى الاتصال بك وانظم شتاتنا فى سلك طاعتك ، فأنت أعلم بتلفيق المقترف ، اللهم قو منن أطفال التوبة بلبان[556] الصبر ، وارفق بمرض الهوى فى مارستان[557] الجهل اللهم افتح مسامع الأذهان لقبول ماينفع ، اللهم سلم سيارة الأفكار من قاطع الطريق ، احرس طلائع المجاهدة من خديعة كمين ، وقِّع على قصص الإنابة بقلم العفو ، اللهم

---

(553) الحسن البصرى : الحسن بن يسار البصرى ، أبوسعيد ، تابعى ، كان إمام أهل البصرة وحبر الأمة فى زمنه وهو أحد العلماء الفصحاء الفقهاء الشجعان النساك ولد بالمدينة وشب فى كنف على بن أبى طالب كانت أمه تخدم أم سلمة زوج النبى ﷺ فربما عابث فتعطيه ثديها فيدر عليه وقد عاصر كثيراً من الصحابة فهو من كبار التابعين (٢١هـ - ١١٠هـ) [الأعلام (٢/٢٢٦)] [صفة الصفوة (٣/٢٣٣)] .

(554) وردت هذه الموعظة بالمدهش (ص ٤١٤ ، ٤١٥) من قوله (اللهم نور قلوبنا ... إلى قول الله تعالى ﴿ ولا تنسوا الفضل بينكم ﴾ .

(555) كذا بالأصل وبالمدهش (دنيانا) وكلاهما صواب .

(556) لبان : اللبان : الرضاع . [اللسان (١٣/٣٧٤ - لبن)] ط. دار صادر .

(557) مارستان : المستشفى أو المصحة . [الوسيط (٢/٨٦٣)] .

لا تسلط جاهل الطبع على عالم القلب لا تبدل نعيم عيش الروح بجحيم حر النفس ، لا تمت حى العلم فى حى الجهل ، أخرجنا من ظلمة الشك إلى نور اليقين لا تجعلنا ممن رأى الصبح فأنكره(٥٥٨) ، لا تؤاخذنا بقدر ذنوبنا ، فأنت قلت : ﴿ **ولا تنسوا الفضل بينكم** ﴾(٥٥٩) .

شعر

إلهى فلا تهتك ذنوباً سترتها ... فأنت رءوفٌ بالعبادِ رحيمُ
إلهى ولا تُحرق بنارِ جهنم ... نفوساً رَجتْ عفوًا وأنت كريمُ
إلهى وأدخلنا مع الزمرةِ التى ... مثوبتها يوم الجزاءِ عظيمُ

الفصل الخامس عشر

[يا جامع المال لغيره]

يا جامع(٥٦٠) المال لغيره إلى متى تحرص على الدنيا وتنسى القدر ، من ذا الذى طلب ما لم يقدر فقدر ، تأمل أهل القصور والممالك ثم عد بالنظر فى حالك لعل ينجلى القلب الحالك(٥٦١) ، إن لذات الدنيا لفواتك وإن موج بلبالها المتدارك ، كم حج لعينها قاصد فقتلته قبل المناسك خلها واطلب خلة ذات سور فأدائك والله ما طيب العيش إلا هنالك .

شعر

ألم تروْا دول الماضين قبلكم ... شادوا فأُحسن ما كانوا به وهبت
لا تفرحوا بهيآت من زمانكم ... ستسترد الليالى كل ما وهبت

(٥٥٨) كذا بالأصل وبالمدهش (فنام) .
(٥٥٩) سورة البقرة - الآية : ٢٣٧ .
(٥٦٠) وردت بالمدهش (ص ٢٥٩ ، ٢٦٢) من قوله (ياجامع المال لغيره ... إلى قوله (من ذا الذى طلب ما لم يقدر فقدر) .
(٥٦١) الحالك : الشديد الظلمة والقسوة . [اللسان (٤١٥/١٠ - حلك] ط. دار صادر .

يا أخي[٥٦٢] : مالك تجمع مالك ، ولست تملك[٥٦٣] ما تخلف ، والزمان يسومك[٥٦٤] الذهاب وأنت للأذهاب تؤلف ، والله لو كنت من رياشها ، أكسى من الكعبة لم تخرج منها إلا أعرى من الحجر الأسود. فيا هذا[٥٦٥] أوقد مصباح الفكر فى بيت العلم ، تلح لك الأعلام ، من عسر[٥٦٦] ثغور الهوى بجند الجد ملأ عين الطمأنينة[٥٦٧] ، لله در أقوام تأملوا الوجود ففهموا المقصود .

« حـــكاية التســـترى »

قال محمد بن أحمد : خدمت سهل بن عبدالله التسترى[٥٦٨] ثلاثين سنة فما رأيته وضع جنبه على الأرض بليل ولا نهار وكان يصلى الصبح بوضوء العتمة ، وهرب من الناس إلى جزيرة بين عبادان والبصرة وسبب فراره من الناس أن رجلا حجَّ وكان له أخ فلما رجع قال لأخيه : رأيت سهل بن عبدالله فى الموقف يوم عرفه ، فقال له أخوه : لعلك شبهت به فإنا كنا عنده يوم التروية فى رباط عند باب تستر وقال لنا : لا تجيئونى فى غد فإنى أحس بضعف عندى ،

---

(٥٦٢) وردت هذه الموعظة بالمدهش (ص ٢٧٩ ، ٢٦٢) من قوله (ياأخى مالك تجمع مالك ... إلى قوله (إلا عرى من الحجر الأسود) .

(٥٦٣) (ولست تملك) كذا بالأصل وبالمدهش (ومالك منه إلا) .

(٥٦٤) كذا بالأصل وبالمدهش (يشتتك) .

(٥٦٥) وردت هذه الموعظة بالمدهش (ص ٣٠٤) من قوله (يا هذا أوقد مصباح الفكر ... إلى قوله (تأملوا الوجود ففهموا المقصود) .

(٥٦٦) كذا بالأصل وبالمدهش (سد) والصواب ما ورد بالمدهش .

(٥٦٧) (ملأ عين الطمأنينة) كذا بالأصل وبالمدهش (ملأ عين راحته نوم الطمأنينة) .

(٥٦٨) سهل التسترى : سهل بن عبدالله بن يونس التسترى ، أبومحمد : أحد أئمة التصوف وعلمائهم والمتكلمين فى علوم الإخلاص والرياضيات وعيوب الأفعال ، له كتاب فى تفسير القرآن مختصر وكتاب « رقائق المحبين » وغير ذلك ميلاده ووفاته (..٢هـ - ٢٨٣هـ) [الأعلام (١٤٣/٣)] .

فحلف الحاج لأخيه بالطلاق الثلاث[٥٦٩] أنه رآه فى الموقف ، فقال له أخوه : امض بنا إليه حتى نسأله ، فقاما حتى دخلا عليه ، فقال له أخو الحاج : يا أبا محمد كنا عندك يوم التروية وكان أخى هذا قد توجه إلى الحج وزعم أنه رآك بعرفة وحلف على ذلك بالطلاق الثلاث فما تقول فى يمينه فقال : مالكم ولهذا الأمر اشتغلوا بذكر الله تعالى ، ثم قال للحاج : امسك زوجتك ولا تخبر بذلك أحداً بعد ذلك ثم خرج إلى هذه الجزيرة وأقام بها إلى أن مات .

شـــعر

(٥٧٠)

قد كنتُ أطوىِ على الوجدِ الضلوعَ   أبدى الهوى وأسوم القلب كتمانًا
فخاننى الصبرُ إذ نادبتُه ووفـت   لى الشؤون فعاد السر إعلانـا
أأكتم الوجدَ والعينان تُظهـرهُ   للحب أعظم مما رمتـه شانـا

(٥٧١)

قال أبوعمران الجوبتى :- أرتنى أمى موضعاً من الدار قد انحفر فقالت لى : هذا موضع دموع أبيك .

---

(٥٦٩) هذه الصيغة للطلاق مخالفة للشرع وهى من الطلاق البدعى ، وقد أجمع العلماء إلى أنه حرام ، وأن فاعله آثم ، وذهب الجمهور إلى أنه يقع وذهب آخرين إلى أنه لايقع ، انظر أدلة كل فريق فى كتاب فقه السنة (٢/٢٣٦ - ٢٤٣) .

(٥٧٠) وردت هذه الأبيات فى المدهش (ص ٣٠٥) .

(٥٧١) ورد هذا القول بالمدهش (ص ٣٠٥) من قوله (أرتنى أمى موضعاً ... إلى قوله (هذا موضع دموع أبيك) .

وكان[٥٧٢] حسان بن أبي سنان[٥٧٣] يحضر مجلس مالك بن دينار فيبكي حتى يبل ما بين يديه ولايُسمع له صوتٌ أبدا .

شــعر

[المتنبى][٥٧٤]

أجاب دمعى وما الداعى سوى طللٍ دعا فلبـاه قبلَ الركبِ والإبـلِ
ظللت بين أصحابى أكفكفُـــه فظل يسفح بين العذر والعـدلِ
وما صـــبابة مشتاق على أمـلٍ من اللقاء كمشتاق بلا أمـل .

يا هـذا[٥٧٥] : دموع المحبين غدران فى صحارى الشوق ، من عادات القوم ألف الصحارى والبرارى[٥٧٦] والجلوس إلى الشجر فى السحر فإن سمعوا هتاف الحمام استغنوا عن كل نائح من البشر .

---

(٥٧٢) ورد هذا الأثر بالمدهش (ص ٣٠٥) من قوله (كان حسان ... إلى قوله (ولايسمع له صوت أبداً) .

(٥٧٣) حسان بن أبى سنان بن أبى أوفى بن عوف التنوخى : مترجم ، كان يكتب بالعربية والفارسية والسرانية من أهل الأنبار . كان نصرانياً وأسلم . وكان يعرب الكتب بين يدى « ربيعة » لما ولاه السفاح الأنبار . ورأى أنس بن مالك ، وأدرك الدولتين الأموية والعباسية . من نسله قضاة ووزراء (٦٠ - ١٨٠هـ) [الأعلام (١٧٦/٢)] .

(٥٧٤) نسب صاحب المدهش هذه الأبيات (للمتنبى) [المدهش (ص ٣٠٥)] . وقال محققه فى الهامش إنه مطلع قصيدة يمدح بها سيف الدولة عام ٣٤١ ، الديوان ص ٣٢٨ .

(٥٧٥) وردت هذه الموعظة فى المدهش (ص ٣٠٦) من قوله (دموع المحبين غدران ... إلى قوله (استغنوا عن كل نائح من البشر) .

(٥٧٦) كذا بالأصل وبالمدهش (البرارى) .

شعر

(٥٧٧)

شوق إليكَ مجاوزٌ وصفى وظهور وجدى دونَ ما أُخفى
مادام ذكرٌ منك فى خلدى إلا طرقت بدمعتى طرفى

ياهذا : إذا تمكنت المحبة من القلب ، استحال السلو .

[عجوز أضنتها العبادة]

قال بعض الصالحين : كان لى بجانبى عجوز قد أضنتها العبادة حتى صارت كالشن(٥٧٨) البالى ، فسألتها أن ترفق بنفسها فقالت : يا شيخ أما علمت أن رفقى بنفسي غيبة عن بابه ، ومن غاب عن بابه عرض نفسه إلى البلاء والمحن ، يا شيخ ما قد عملى إذا اجتهدتُ فكيف إذا قصرتُ والله لاجتهدنَّ ثم لاجتهدنّ .

شعر

قالوا مُر العينَ تمسك قلت لو فعلَت قالوا مر القلب يصبر قلتُ لو قدرا
الوجد بعدهم حفظ لعهدهُم والصبرُ غدرٌ بهم لا كان من غدرا

ثم قالت :– واسواتاه من سوء الفراق ، واحسرتاه يوم السباق ، قلت لها : وما حسرة السباق وسوء الفراق ؟ ، قالت : أما حسرة السباق فإذا قام الناس من قبورهم ، وركب الأبرار نجايب أعمالهم ، ورفعت لهم أعلام المحبين ، وبقى المسبوق فى جملة المتخلفين ، فعند ذلك تنقطع قلوبهم حسرة وندامة ، وأما سوء الفراق فعند تميز الناس بعضهم من بعض وذلك أن الله جل جلاله إذا

---

(٥٧٧) ورد هذان البيتان بالمدهش (ص ٣٠٦) .

(٥٧٨) الشن : الشيء الصغير القديم ، والشن الضعف [اللسان (٢٤٢/١٣ – شنن)] .

جمع الناس فى صعيد واحد الأولين والآخرين أمر مناديا ينادى : أيها المجرمون امتازوا فإن المتقين قد فازوا ، فيفارق الرجل زوجته والوالد ولدهُ ، والحبيب حبيبه ، هذا يُحمل مُكرماً إلى رياض النعيم وهذا يساق مُهانا إلى نار الجحيم ، وقد طال بينهم التلفت والوداع ودموعهم تجرى لانفاذ لها ولا انقطاع .

شــعر

لو كنتَ ساعةَ بيننا ما بينـنـا لرأيت كيف تكرر التوديعـا
لعلمت أن من الدموع محدثـا وشهدت أن من الحديث دموعـا.

يا أخـى : اطو الدنيا وزوالك ، فكأنك بالموت وقد حيز بك ، وابدى علالك ، وخلوت تبكى خِلَالكَ ، فى زمانٍ خَلَا لَكَ ، وشاهدت أمراً فظيعا ، أفظعك وهالك ، تود أن تفتديه بالدنيا لو أنها لك فتنبه من رقاد الهوى لما هو أولى لك ، واحذر أن تكون أعمالك وأفعالك كالأفقا لك(٥٧٩) .

قال عليه الصلاة والسلام(٥٨٠) :- يؤتى بأقوامٍ يوم القيامة معهم من الحسنات كأمثال تهامة حتى إذا جيء بهم جعلها الله هباءً منثورا ثم يقذف بهم فى النار ، قالوا : يا رسول الله كيف ذلك ، قال : كانوا يصلون كما تصلون ويصومون كما تصومون ويزكون كما تزكون غير أنهم كانوا إذا عُرض لهم شيء من الدنيا حرام وثبوا عليه فاحبط الله أعمالهم » .

وعن بنان الجمال(٥٨١) **أنه قال** : كنت مطروحاً على باب بنى شيبة سبعة آيام ولم أذق شيئا فنوديت فى سرى ، من أخذ من الدنيا فوق مايكفيه أعمى الله عين قلبه .

(٥٧٩) كذا بالأصل ولعل الصواب (كالأفعى لك) .

(٥٨٠) ورد بنحوه فى صحيح سنن ابن ماجه (٤١٧/٢) وجاء بدل قوله « إذا عرض لهم شيء من الدنيا وثبوا عليه » قوله : « إذا خلوا بمحارم الله انتهكوها » .

(٥٨١) بنان الجمال : بنان بن محمد بن حمدان الجمال ، يكنى أبا الحسن ، أصله من واسط ، لكنه نشأ ببغداد وأقام بها ، وسمع الحديث ، إلا أنه انتقل إلى مصر فمات سنة ٣١٦هـ .

[صفة الصفوة (٤٤٨/٢)]

اسمع يا مقهور[٥٨٢] على الدنيا بغلبة النفس صل عليها بسوط العزم ، فإنها إن عرفت جدك أستأسرت لك ، امنعها ملذوذ مباحها ليقع الصلح على ترك الحرام ، فإذا جنحت تطلب المباح ﴿ **فإما منا بعد وإما فداء** ﴾[٥٨٣] ، الدنيا والشيطان جاريتان خارجان عنك والنفس عدو مباطن ، ومن آداب الجهاد ﴿ **قاتلوا الذين يلونكم** ﴾[٥٨٤] ، ليس من بارز بالمحاربة كَمَن كَمُن ، مادامت النفس حية ، تسبيحى[٥٨٥] فهى حية تسعى ، من عرف تصرف الأيام لم يغفل عن الاستعداد ، ما جرى عبد فى ميدان أمله إلا عثر فى الطريق بأجله .

شـــعر

(٥٨٦)

عجبتُ والدهرُ لا تَفنَى عجائبُه ... للراكنين إلى الدنيا وقد صَدَقُوا
دار تغر بها الآمالُ مهلكــةً ... وذو التجارب فيها خائف فَـرِقُ
والمرء مثل هلالٍ عند طلعتــه ... يبدو بضوءٍ[٥٨٧] لطيفٍ ثم يتسقُ
يزداد حتى إذا ما تم أعقبهُ ... كر الجديدين نقصــاً ثم ينمحـقُ
يا للرجال بمخـدوعٍ بزخرفهـــا ... بعد البيان ومغرور بها يثقُ
يا أهل دار فناءٍ لا بقاءَ لهـــا ... إن اغتراراً بظل زائل حمـقُ

---

(٥٨٢) وردت هذه الموعظة بالمدهش (ص ٥٨٢) من قوله (يامقهوراً على الدنيا بغلبة النفس ... إلى قوله (فهى حية تسعى) .
(٥٨٣) سورة محمد – الآية : ٤ .
(٥٨٤) سورة التوبة – الآية : ١٢٣ .
(٥٨٥) كذا بالأصل ولعل الصواب ما ورد فى المدهش (تسعى) .
(٥٨٦) وردت هذه الأبيات بالمدهش (ص ٢٥٢) .
(٥٨٧) كذا بالأصل ووردت بالمدهش (ضئيلاً) ولعل الصواب ما ورد فى المدهش .

[يا مـن هو فى حديث الدنيا أنطق من سـحبان]

(٥٨٨)

يا من هو فى حديثها أنطق من سحبان ، فإذا ذُكرت الأخرة فأبله من باقل حيلتك فى تحصيلها أدق من الشعر وأنت فى تدبيرها أصنع من النحل وفم شرهك أشرب من الهيم ، تجمع فيها الذر كجمع الدر ، ياشبيها فى البله لدود القز ، أما انتفعت بموهبة العقل .

شـــعر

(٥٨٩)

كدودٍ كدودِ القز يُنسج دائماً ويُهلك غماً وسط ما هو ناسجُه

ويحك إن سرورها أقتل من السم ، وإن شرورها أكثر من الهم(٥٩٠) إنها فى قلبك أعز من النفس ، وستصير عند الموت أهون من الأرض ، حرصك بعد الشيب أحرُّ من الجمر ، أبقى عمر ؟ يا أبرد من الثلج ، يا من هو عن نجاته أنوم من فهد ، ضيعت عمراً أنفس من النفس(٥٩١) ، أنت فى الشر أجرى من جواد ، وفى الخير أبطأ من أعرج ، تسعى فى العاجل سعى رخ(٥٩٢) ، وتمشى إلى الآجل

---

(٥٨٨) وردت هذه الموعظة بالمدهش (ص ٢٦٠ ، ٢٦١) من قوله (يا من هو فى حديثها ... إلى قوله (إلى كثرة المعاش) .

(٥٨٩) ورد هذا البيت فى المدهش (ص ٢٦٠) .

(٥٩٠) كذا بالأصل وبالمدهش (النمل) . والأفضل ما ورد بالمدهش .

(٥٩١) كذا بالأصل وبالمدهش (الدر) .

(٥٩٢) رخ : اسم طائر خرافى بالغ القدامى فى وصفه [الوسيط (٣٣٦/١)] .

ولعلها توحى بسرعة السعى فى الدنيا .

مشى فرزان[٥٩٣] ، صدرك فى حديث الدنيا أوسع من البحر، ووقت العبادة أضيق من عقد التسعين[٥٩٤] ، معاصيك أشهر من الشمس وتوبتك أخفى من السماء[٥٩٥] ، إن عرضت خطيئة وثبت وثوب النمر فإذا لاحت طاعة رغت روغان الذئب ، ويحك تفكر قبل سلوك الهوى إلى كثرة المعاش ، فإن طائر الطمع يرى الحبة لا يرى الشرك ، أين ما حلى فى الفم وجلى فى العين ، ذهب الكل وأنت لا تدرى إلى أين ضيعت سهادك بسعادك ، رمتك هند إلى الهند ، صيرت ليلى ليلاً ، دع سلما وسل ما ينفعك .

شــعر

دعه لمثلك ترك وعد فى الهوى وسـعادة لك هجرة لسـعاد

يا صبيان[٥٩٦] التوبة للنفس حظ وعليها حق ﴿ **فلا تميلوا كل الميل** ﴾[٥٩٧] ﴿ **وزنوا بالقسطاس المستقيم** ﴾[٥٩٨] ، فإن رأيتم فى النفوس فتورا فاضربوهن بسوط التخويف[٥٩٩] ﴿ **فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا** ﴾[٦٠٠] .

---

(٥٩٣) فرزان : من لعب الشطرنج (الملكة) [اللسان (٣٢٢/١٣ - فرزن)] ط. دار صادر ولعلها توحى ببطء السعى إلى الآخرة .

(٥٩٤) عقد التسعين : أن تجعل الأنمل السبابة فى أصل الإبهام . [هامش المدهش ٢٦٠] .

(٥٩٥) كذا بالأصل ووردت فى المدهش (السهى) ولعل ما ورد فى المدهش هو الصواب .

ومعنى السهى : كوكب صغير خفى الضوء فى بنات نعش الصغرى أو الكبرى . [الوسيط (٤٥٩/١)] .

(٥٩٦) وردت هذه الموعظة بالمدهش (ص ٣١٠) من قوله (يا صبيان التوبة ... إلى قوله تعالى ﴿ **فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً** ﴾ .

(٥٩٧) سورة النساء - الآية : ١٢٩ .

(٥٩٨) سورة الشعراء - الآية : ١٨٢ .

(٥٩٩) كذا بالأصل وبالمدهش (الهجر) والصواب ما ورد بالمدهش .

(٦٠٠) سورة النساء - الآية : ٣٤ .

شـــعر

[الشريف الرضى][601]

يا نفسُ قد عزَّ المرادُ فخذى إن كنتِ يومًا تأخذين أو ذرى
عمـر الفتـى شبابـهُ وإنمـــا آونة الشيبِ انقضـاءُ العُمُرِ

[لا طاب عيش المـوت آخـره]

تالله[602] ما صح من يطلبه مرضه ، ولا سر من سيرحل عنه غرضه ، ولا استقام غصن يلويه كاسره ، ولا طاب عيش الموت آخره ، إن الطمع لعذابٌ ، ومحب[603] الأمل كذابٌ ، وفى طريق الهوى عقابٌ ، وعاقبة المعاصى عقابٌ ، فلا يخدعنك ضياء ضباب ، ولايطمعنك شراب سراب ، فمجىء الدنيا على الحقيقه ذهاب ، وعمارة الفانى إن فهمت خراب وفرح الغرور ثبور واكتئاب ، ودبور الشيب يدفع ضباب الشباب[604] فيا تائها فى ظلمةِ ظُلمه ، يا موغلاً فى مفازةِ تيهه ، يا باحثاً عن مدية حتفه ، يا مشيداً رتبة[605] هلكته ، يا معمقا مهواة مصرعه بئس ما اخترت لأحب الأنفس إليك ، ويحك تطلب الجاده فلست على الطريق .

---

(٦٠١) نسب صاحب المدهش هذين البيتين (للشريف الرضى) . [المدهش (ص ٢٩٥] .

(٦٠٢) وردت هذه الموعظة بالمدهش (ص ٣١٢) من قوله (تالله ماصح من يطلبه مرضه ... إلى قوله (ويحك تطلب الجادة فلست على الطريق) .

(٦٠٣) كذا بالأصل وبالمدهش (وحديث) ولعل ماورد فى المدهش هو الصواب .

(٦٠٤) كذا بالأصل وقد وردت هذه العبارة فى المدهش هكذا (ودنو الشيب ينسخ ضياء الشباب) [المدهش (ص ٣١٣)] .

(٦٠٥) (يامشيداً رتبة) كذا بالأصل وبالمدهش (يا حافراً زبية) .

شعر

(٦٠٦)

يا غادياً في غفلةٍ ورائحاً	إلى متى تستحسنُ القبائحا
وكم إلى كم لا تخافُ موقفاً	يستنطقُ الله به الجوارحا
واعجباً منك وأنت مبصرٌ	كيف تنحيت[٦٠٧] الطريقَ الواضحا
كيف تكون حين تلقى في غدٍ	صحيفةً قد حوت الفضائحا
وكيف ترضى أن تكون خاسراً	يوم يفوز من يكون رابحا

الفصل السادس عشر

[يا مخدوعاً قد فتن]

(٦٠٨)

اسمع يا مخدوعاً قد فُتن ، يا مغرورا قد غبن ، من لك إذا سوى عليك اللَّبِن ، في بيت قط ما سكن ، سلبُ الرفيق نذير والعاقل فطن واعجباً لنفسٍ تدعى إلى الهُدى فتأبى ثم ترى خطأها بعين الهوى صواباً ، كم أذهبت زمانًا وكم أفنت شباباً ، وكم سودت في بيض أعراضها كتابا .

---

(٦٠٦) وردت هذه الأبيات في المدهش (ص ٣١٥) .

(٦٠٧) كذا بالأصل وبالمدهش (تجنبت) والصواب ما ورد بالمدهش .

(٦٠٨) وردت هذه الموعظة بالمدهش (ص ٢٤٠) من قوله (اسمع يامخدوعاً قد فتن ... إلى قوله (والعاقل فطن) .

شعر

(٦٠٩)

يا محب الدنيا الغَرُور اغتراراً ... راكباً فى طلابها الأخطارا
يبتغى وصلها فتأبى عليه ... وترى أنسه فتبدى نفارا
كم محبٍ أرته أنساً فلما ... حاول الوصل[٦١٠] صيرته ازورارا
شيب حلو اللذات منها بمر ... إن حلت مرة أمرت مرارا
فى اكتساب الحلال منها جلال[٦١١] ... واكتساب الحرام يصلى النارا
وليالى الهموم فيها طوال ... وليالى السرور تمضى قصارا
كم مليك مسلط ذللته ... بعد عزٍ فما أطاق انتصارا
ونعيم قد أعقبته بؤسٌ ... ومغان قد أعقبتها[٦١٢] قفارا
أيها المستعير منها متاعا ... عن قريب[٦١٣] ستأخذ[٦١٤] المستعارا

(٦١٥)

لله دَرُّ أقوامٍ تأملوا غيبها ، ومازالو حتى رأو عيبها ، نزلوا من الدنيا منزلة الأضياف ، أخذوا الزاد وقالوا ما زاد إسراف ، رموا فضول الدنيا من وراء جبل قاف ، لو رأيتهم فى الدجا يراعون النجوم ، وخيل الفكر قد قطعت جلباب الهموم ، أحرقت أحزانهم أجسامهم ، وبقيت الرسوم ، بلغتهم البلغ ، ورمتك

---

(٦٠٩) وردت هذه الأبيات بالمدهش (ص ٢٧٨) .
(٦١٠) كذا بالأصل وبالمدهش (الزور) والأصوب ما ورد بالمدهش .
(٦١١) كذا بالأصل وبالمدهش (حساب) .
(٦١٢) كذا بالأصل وبالمدهش (غادرتها) .
(٦١٣) كذا بالأصل والمدهش (قليل) . وكلاهما صواب .
(٦١٤) كذا بالأصل وبالمدهش (تسترجع) والصواب ما ورد بالمدهش .
(٦١٥) وردت هذه الموعظة بالمدهش (ص ٣١٨) ... من قوله (لله در أقوام تأملوا غيبها ... إلى قوله (من يشترى ؟ من يسوم).

التخم فى التخوم ، سكروا من مناجاة الكريم ، لا من نبات الكروم ، هذه سلع الأسحار من يشترى ؟ من يسوم ؟ .

قال الحسن : بلغنى أن ريحا من الجنة تهب وقت الأسحار خاصة فتحرك أشجار الجنة ، فبرد السحر وطيبه إنما هو مما يخرج من خلال تلك الأشجار .

شـــعر

يا حبــذا جبلُ الريـان من جبلٍ   وحبــذا ساكنُ الريانِ من كانـا
وحبـذا نفحاتُ منـــه واردة   تأتيك من قبل الريـان أحيانـا

« حـــكاية ذى النون المصـــرى »

قال ذو النون المصرى : كنت بمكة شرفها الله تعالى فقمت ذات ليلة إلى الطواف فلما كان وقت السحر رأيت نوراً قد بلغ عنان السماء فتعجبت من ذلك النور وأتممت طوافى واستندت إلى السقاية متفكراً فى ذلك النور إذ سمعت صوت قائل يقول :

أنت تـــدرى يا حـــبيبـــى   من حـــبيبى أنت تـــدرى
قد كتمـــتُ الحـــبَ حـــتى   ضـــاق بالكتمـــانِ صـــدرى
ونحـــول الجســـمِ والدمـــع   يبوحـــــان بســـــــرى

قال ذو النون : فشجانى والله ما سمعت فبكيت حتى انتحبت وقمت اتبع الصوت فإذا هى امرأة فسمعتها تقول : إلهى بحبك لى ألا غفرت لى فتعاظمنى ما سمعته منها فقلت لها : لا تقولى هكذا ولكن قولى بحبى لك ألا غفرت لى ، فقالت : يا ذا النون أما سمعت قوله تعالى ﴿ **فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه** ﴾[616] يا ذا النون لو لم يحبنى ما اختارنى لمحبته فقلت : أراك نحيفة الجسم صفراء اللون أبك علة فقالت :

---

(٦١٦) سورة المائدة – الآية : ٥٤ .

محب الله فى الدنيا عليلٌ تطاول سقمُه فدواه داؤه
كذا من يدعى لله حباً يهيمُ بوجده حتى يراه

ثم قالت : انظر من خلفك فلا أدرى السماء رفعتها أم الأرض ابتلعتها .

[احذروا الهوى]

(٦١٧)

إخوانى : زودوا هممكم عن مرعى الهوى فإنه يزيدها عجقا ، لا تولوا فرعون الهوى على مدن الأبدان ، ﴿ **إنى أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر فى الأرض الفساد** ﴾(٦١٨) ، زنوا حلو المشتهى بمر العقاب ، يبين لكم التفاوت إلى كم يقودكم الهوى ، إلى كم تستعبدكم الدنيا .

شعر

[الشريف الرضى](٦١٩)

كم اصطبار على ضيم ومنقصةٍ وكم على الذل إقرارٌ وإذعانُ
ثوروا لها ولتهن فيها نفوسكم إن المناقب للأحرار(٦٢٠) أثمانُ

إخوانى(٦٢١) :- تيقظوا فالأيام دائبة ، وتحفظوا فالسهام صائبة ، واحذروا دنياكم فما هى مواتية ، واذكروا آخراكم فما هى آتيه ، أما رأيتم الدنيا

---

(٦١٧) وردت هذه الموعظة بالمدهش (ص ٣٢٢) من قوله (إخوانى : ذودوا هممكم عن مرعى الهوى ... إلى قوله (إلى كم تستعبدكم الدنيا ؟) .

(٦١٨) سورة غافر - الآية : ٢٦ .

(٦١٩) نسب صاحب المدهش هذين البيتين (للشريف الرضى) [المدهش (ص ٣٢٣)] .

(٦٢٠) كذا بالأصل وبالمدهش (للأرواح) .

(٦٢١) وردت هذه الموعظة بالمدهش (ص ٣٢٦) من قوله (إخوانى تيقظوا فالأيام دائبة ... إلى قوله (فكيف بمن يهوى الدنيا) .

قد أبانت خداعها ومكرها ، إذا أبانت من جمعها بمكرها ، أين الارتياد للسلامة ، أين الاستعداد قبل الندامة أبدا ! عباد الله من تعلق قلبه بالجنة لم يصلح لنا ، فكيف بمن يهوى الدنيا .

شـــعر

(٦٢٢)

أردناكم صرفاً فلما مزجتم بعدتم بمقدار التفاتكُم عنَّا
وقلنا لكم لاتُسكنُوا القلبَ غيرنا فأسكنتم الأغيار ما أنتم منا

« حـــكاية عبدالواحـــد »

قال عبدالواحد الواعظ :- ذُكر لى عن جارية مجنونة أنها تتكلم بالحكم والمواعظ الحسنة فلمْ أزل أطلبها حتى وجدتها يوماً بفلاة من الأرض وهى جالسة على حجر وعليها جبة من صوف ، وهى محلوقة الرأس قال : فلما نظرت إليها قالت لى من قبل أن أكلمها : مرحبا بك يا عبدالواحد فتعجبت من معرفتها لى ولاسمى ولم ترنى قبل ذلك فعلمت أنها من الصالحات إلا أنها قد غلبَ عليها الوله ، ثم قالت : ما جاء بك يا عبدالواحد قلت : جئت لتعظينى فقالت : سبحان الله كيف أعظك وأنت تعظ الناس ، قلت لها : إن بى جُرحاً قد نفل بى وأعيا الأطباء دواؤه فإن رأيتى أن تمنى على بمرهم يلائمه كان لك أجر ذلك ، فقالت : اعلم أن العبد إذا كان من الله فى كفاية ومال إلى الدنيا سلبه الله حلاوة الطاعة فيظل والهاً حيراناً فيقول الله عز وجل : عبدى أردتُ أنْ أرفع قدرك عند ملائكتى وحملة عرشى فملتَ إلى عرض الدنيا وتركتنى ، فأورثتك تلك الوحشة بعد الأنس ، والذل بعد العز ، عبدى ارجع إلى ما كنت تعهده من نفسك ، ارجع الى ما عهدته من إحسانى ثم تركتنى وانصرفت .

---

(٦٢٢) ورد هذان البيتان فى المدهش (ص ٣٢٦) .

[أربـــاب العزائـــم]

(٦٢٣)

إخـوانى :– أين أرباب العزائم القوية ؟! امتلأت بالأبرار البرية ، رحلوا وفاتوا ، ونحن متنا وهم ماتوا .

شـــعر

(٦٢٤)

وما وجد أعرابية قذفتْ بها صروفُ الهوى من حيث لم تك ظنت
إذا ذكرت ماء العذيب(٦٢٥) وطيبه وبرد حصاه آخر الليل جنت
بأكثر منى لوعـة غير أننى أجمجم(٦٢٦) أحشاى على ما أجنت
فلا أنه وقت العشاء وأنـة سـحيرا فما لى راحة غير أنتى

---

(٦٢٣) وردت هذه الموعظة فى المدهش (ص ٣٢٤) من قوله (اخوانى أين أرباب العزائم ... إلى قوله (ونحن متنا وهم ماتوا) .

(٦٢٤) وردت هذه الأبيات فى المدهش (ص ٢٨٤) .

(٦٢٥) العذيب : ماء لبنى تميم . [اللسان (٥٨٥/١ – عذب)] ط. دار صادر .

(٦٢٦) أجمجم : أخفى ولا أبدى وهى كناية عن حبس لوعته . [الوسيط (١٣٣/١)] .

[نسيم الأسحار]

(٦٢٧)

يا هذا : كرب المحب بالنهار ، يشتد لمزاحمة رقباء المخالطة ، فإذا هب نسيم السحر وجد روحه روحا ، تصل من قصر مصر المنى(٦٢٨) ، إلى أرض كنعان الأمل ، فيقوم راكب الشوق يتجسس النسيم من فرج الفرح طال الرجا على الأبدان وقصر على القلوب .

شعر

(٦٣٠)

شكونا إلى أحبابنا طولَ ليلِنا　　فقالوا لنا ما أقصرَ الليلَ عندنا
وذلك أن اليوم يغشى عيونَهم　　سريعا ولا يغشى لنا النومُ أعينا
فلو أنهم كانوا يلاقون مثلَ ما　　نلاقى لكانوا فى المضاجع مثلنا

دموع الخائفين يحبسها بالنهار مراقبة الخلق فإذا جن الليل انفتح سد الدموع ﴿ **فسالت أودية بقدرها** ﴾(٦٣١) رياح الأسحار [أقوات الأرواح](*) .

---

(٦٢٧) وردت هذه الموعظة بالمدهش (ص ٣٢٧) من قوله (كرب المحب بالنهار ... إلى قوله (رياح الأسحار أقوات الأرواح) .

(٦٢٨) مصر المنى : قليلها .　　[الوسيط (٢/٨٧٣)] .

(٦٢٩) كذا بالأصل وبالمدهش (الدجى) .

(٦٣٠) ورد البيت الأول فقط من هذه الأبيات فى المدهش (ص ٣٢٨) .

(٦٣١) سورة الرعد – الآية : ١٧ .

(*) ما بين المعكوفتين سقط أثبتناه من المدهش .

شــعر

(٦٣٢)

سلوا بعدكم وادى الحما ما أساله　　　دمى ودمـوعى فى هواكم أم القطر

(٦٣٣)

بعضهم كان يقول لولده : يا بنى طال والله حزنى على دار خرجت منها فلو رأيتها زهقت نفسك .

شــعر

(٦٣٤)

كيف لا أبكى على عيشٍ مضـــى　　　بعتُ روحى برخيصٍ[(٦٣٥)] الثمنِ
كيف أرجو البرءَ من داءِ الهوى　　　وطبيبى فى الهـــوى أمرضنـى

(٦٣٦)

يا أخــى : اكتب قصة الندم بمداد الدمع وابعثها مع ريح الزفرات لعل الجواب يصل برفع الجوا .

---

(٦٣٢) ورد هذا البيت فى المدهش (ص ٣٣١) .

(٦٣٣) ورد هذا الأثر فى المدهش (ص ٣٣١) .

(٦٣٤) ورد هذان البيتان فى المدهش (ص ٣٣٢) .

(٦٣٥) (روحى برخيص) كذا فى الأصل وفى المدهش (عمرى بحقير) .

(٦٣٦) وردت هذه الموعظة بالمدهش (ص ٣٣٢) من قوله (يا أخى اكتب قصة الندم ... إلى قوله (لعل الجواب يصل برفع الجوى) .

شعر

(٦٣٧)

خَلِّ دمعَ العينِ ينهمل بانَ من تهواه وارتحل[٦٣٨]
كل دمعٍ صانهَ صلف[٦٣٩] فهو يوم البين مبتذل

[انتبه لنفسك]

(٦٤٠)

يا أخي : انتبه لنفسك ، يا من كلما حرك نام ، قلبك محبوس فى سجن طبعك ، يا مقيداً بقيود جهلك ، البس لامة عزمك ، وسر فى جند جدك لعلك تخلصه من أيدى أعاديه ، يا جامد الدمع اليوم ، غدا تدنو الشمس من الرءوس فتنفتح أفواه مسام العروق ، فتبكى كل شعرة بعين عرقها ، أين الذين نصبوا الآخرة بين أعينهم ، فنصبوا وندبوا أنفسهم للبكاء ، فمحُيت سيئاتهم إذ ندبوا .

« حكاية ذى النون المصرى »

قال ذو النون المصرى : بينا أطوف ذات ليلة وإذا بجارية معلقة بأستار الكعبة وهى تناجى ربها فقلت لها : السلام عليك يا أمة الله فقالت : وعليك السلام يا ذا النون ، فقلت لها : ومن أين عرفتينى فقالت : جالت روحى وروحك فى الملكوت فعرفنى بك ذى العزة والجبروت ، ثم ولت وطافت حول البيت ورجعت فنظرت إليها فإذا هى من كثرة البكاء لا تبصرنى ، فقلت لها : يا جارية إن معى كحلا صنعته لنفسى ، وإنى أرى عينيك قد أضرَّ بهما البكاء

(٦٣٧) ورد هذان البيتان بالمدهش (ص ٣٣١) .

(٦٣٨) كذا بالأصل وبالمدهش (فاحتملوا) .

(٦٣٩) كذا بالأصل وبالمدهش (كلف) .

(٦٤٠) وردت هذه الموعظة بالمدهش (ص ٣٣٢) . من قوله (يا أخى انتبه لنفسك ... إلى قوله (فمحيت سيئاتهم إذا ندبوا) .

أفآتيك منه بشيء قال : فمضت ولم تكلمني وطافت حول البيت ثم رجعتْ فتأملتها فإذا هي كالشن البالى تكاد الريح تحملها لدقة جسمها ، فقلت لها : ياجارية إنَّ لربك عليك حقا ولبدنك عليك حقا فأد لكل ذى حق حقه وعليك بالرفق لنفسك فقد يُنال ما عند الله بدون هذا الجهد فقالت : يا ذا النون : قد كان لى دمع فأفنيته وجسم فأبليته ونظر فأعميته ،قلب فأضنيته ومن عرف ما يطلب هان عليه ما يبذل فدَعْ عنك ما يضرنى ولاينفعك ، ثم غابت عنى فلم أرها .

شعر

(٦٤١)

مهلا عذول صليت نار جوانحى   وغرقت فى تيار دمعى المسبل
هذا حشاى لديك فانظر هل ترى   قلباً فان صادفت قلبا فاعذل

الفصل السابع عشر

[كفى بالموت واعظاً]

(٦٤٢)

اسمع : يا من يمشى على ظهور الحفر ، ويرى السابقين إلى بيوت المدر[٦٤٣] ، لو أصغى سمع التدبر سمع العبر ، كفى بالموت واعظاً يا عمر .

---

(٦٤١) ورد هذان البيتان فى المدهش (ص ٤٤٣) .

(٦٤٢) وردت هذه الموعظة بالمدهش (ص ٢١٦) . من قوله (اسمع : يا من يمشى على ظهور الحفر ... إلى قوله (كفى بالموت واعظاً يا عمر) .

(٦٤٣) المدر : قطع الطين اليابس . والمقصود المقابر . [اللسان (١٦٢/٥ - مدر)] ط. دار صادر .

شعر

[لأبى العتاهية][644]

وعظتك أجداث ضمت	ونعتك أزمنة خفت
وأرتك قبرك فى القبور	وأنت حى لم تمت

[أين أرباب المناصب]

(٦٤٥)

أين أرباب المناصب ، أبادهم الموت الناصب[646] ، أين المتجبر الغاصب أذله عذاب واصب[647] ، لُفت والله الأكفان كالعصائب ، على تلك العصائب ، وحلت بهم آفات المصائب ، إذ حلَّ بفنائهم سهم صائب فيا من بين يديه هذه المصائب ، أحاضر عندنا أم غائب ؟ كم عاصٍ بات فى ذنوبه ، يتقلب على فراش عيوبه ، بين مزمار ومزهر ، ومسكر ومنكر ، فجاءه الموت فجاءة ، فأنساه ولده ونساه والده[648] ، فنقل إلى اللحود ذميماً ، ولقى من غب[649] المعاصى أمرا عظيما .

---

(٦٤٤) نسب صاحب المدهش هذين البيتين (لأبى العتاهية) . [المدهش (ص ٢١٦)] .

ديوان شعره (ص ٧٨ ، ٧٩) [هامش المدهش (ص ٢١٦)] .

(٦٤٥) وردت هذه الموعظة بالمدهش (ص ٣٣٤) . من قوله (أين أرباب المناصب ... إلى قوله (ولقى من غب المعاصى أمراً عظيماً) .

(٦٤٦) الناصب : المتعب والمجهد . [اللسان (٧٥٨/١ - نصب)] ط. دار صادر .

(٦٤٧) واصب : أى دائم . [اللسان (٧٩٧/١ - وصب)] ط. دار صادر .

(٦٤٨) (نساه والده) كذا بالأصل وبالمدهش (ونساءه) .

(٦٤٠) غب : الغب : الكثير من الماء ، والمراد هنا الكثير من المعاصى [الوسيط (٦٤٢/٢)] .

شعر

(٦٥٠)

أمسى وأمسْت عنده قينةٌ   فأصبحت تندبه نائحة
فكُنْ من الدنيا على أهبة   فإنها ليست له صالحة
من كانت الدنيا به برةٌ   فإنها يوما له ذابحة

اسمعوا(٦٥١) يا معاشر الأصحاء ، اغتنموا نعمتى السلامة والإمهال ، واحذروا خديعة المنى والآمال ، فقد جربتم على النفس تبذيرها فى بضاعة العمر ، فانتبهوا لحفظ الباقى ، ﴿ **ولا تؤتوا السفهاء أموالكم** ﴾(٦٥٢) ، أيام العمر معدودة ، وسيفنى العَدَدُ ، وطريق صعبة على قلة العُدَدُ ، أتراك تظن أنك تبقى إلى الأبد ؟ ، أما يعتبر بالوالد الولد ، أين المتحرك فى الهوى همد ؟ أين ماء الأعراض ؟ جمد ، تساوى فى الممات الثعلب والأسد وشارك الموهى بين الحديد والمسد(٦٥٣) ، واستقام قياس النقض للكل واطرد ، أفلا ينتبه من رقدته من رقد .

شعر

[الشريف الرضى](٦٥٤)

تفوز بنا المنون وتستبد   ويأخذنا الزمان ولا يردُّ
وأنظر ماضياً فى عقب ماضٍ   لقد أيقنت أنَّ الأمر جدُّ

---

(٦٥٠) وردت هذه الأبيات بالمدهش (ص ٣٣٤) .

(٦٥١) وردت هذه الموعظة بالمدهش (ص ٣٤٢) من قوله (يا معاشر الأصحاء ...إلى قوله (أفلا ينتبه من رقدته غافل) .

(٦٥٢) سورة النساء – الآية : ٥ .

(٦٥٣) المسد : الليف . [الوسيط (٢/٨٦٨)] .

(٦٥٤) نسب صاحب المدهش هذه الأبيات (للشريف الرضى) [المدهش (ص ١٥٩)] .

رويدا بالفرار من المنايـــا فليس يفــوتها السارى المجدُّ
أعارهـم الزمـــان نعيم عيش وحــاول رده منهم فردوا[٦٥٥]
فأين ملوكنـا الماضون قدمـاً أعدوا للنـوائب واسـتعـدوا ؟

هم فرط لنا فى كل يوم ، يمدهم وإن لم يستمر وياشاربين[٦٥٦] من منهل الهوى شرب الهيم[٦٥٧] ، يا جاعلين نهار الهدى كالليل البهيم[٦٥٨] ، يا مقيمين على الدنس وليس فيهم مقيم ، يا سالمين من أمراض البدن وكلهم سليم[٦٥٩] .

قال بعض السائحين : رأيت فى تيه بنى إسرائيل رجلا يتمايل ضعفا ونحولا فسألته عن حاله فقال : أنا رجل عليل فقلت له : وما يصنع العليل فى البرية ؟ فقال : يا هذا إنى تفكرت فى نفسى وتأملت فى حالى فلم أر لى معينا على برء علتى غير وحدتى ، فقلت له :يا أخى كم لك بهذه العلة قال : منذ عرفت نفسى ، قلت : ما بالك لا تتداوى فقال : لم أترك دواء إلا استعملته ولا طبيبا إلا سألته ، فلم أجد لدائى عندهم دواء فقلت له : يا هذا إنى أعرف طبيبا حاذقا لبيباً فإن وصفت لى داءك أتيتك منه بدوائك فنظر إلى ثم قال :

قُلْ للطبيبِ دوائى لستَ تعرفُهُ فخلِّ عنك علاجى أيها الرجلُ
هل فى دواءِ من يطبُّ الناسَ منفعةً لمن أضرَّ به التسويفُ والأملُ

ديوان شعره (٣٦٦/١) [هامش المدهش (ص ١٥٩)] .
(٦٥٥) ورد الشطر الثانى من هذا البيت فى المدهش هكذا (فيا سرعان ماastلبوا ووردوا) [المدهش ١٥٩] .
(٦٥٦) وردت هذه الموعظة بالمدهش (ص ٣٤٢) من قوله (ياشاربين من منهل الهوى ... إلى قوله (ياسالمين من أمراض البدن وكلهم سليم) .
(٦٥٧) الهيم : العطش . [الوسيط (١٠٠٤/٢ ، ١٠٠٥)] .
(٦٥٨) البهيم : الذى لا ضوء فيه إلى الصباح [الوسيط (٧٤/١)] .
(٦٥٩) سليم : أظن أن هذه الكلمة (سقيم) بمعنى مريض حتى يستقيم المعنى ، والله أعلم .

ثم قال : يا أخى عزمت على الكى ، فقلت له ، وما الكى قال : مخالفة النفس والهوى فإنه الطب الذى فيه الشفاء ثم تركنى ومضى .

(٦٦٠)

اسمع يا ثقيلَ النومِ يا بطىء اليقظة يا عديم الفهم ، أما ينبهك الآذان أما تزعجك الحدأة ، أترى تخاطب عجماء أو تكلم صماء ، يامطلق النواظر فى محرم المنظور ، ﴿ **لترون الجحيم** ﴾(٦٦١) .

يا إخوانى : لايغرنكم إمهال العصاة ﴿ **إن إلينا إيابهم** ﴾(٦٦٢) .

[حــكاية ذكوان البصــرى]

قال بعض الصالحين :- كان بالبصرة رجل يعرف بذكوان(٦٦٣) ، وكان سيدا فى زمانه ، فلما توفى لم يبق بالبصرة رجل إلا شهد جنازته ، فلما انصرف الناس من دفنه ، نمت بين القبور فإذا ملك نزل من السماء وهو يقول يا أهل القبور قوموا ، لأجوركم ، فانشقت القبور عن أهلها وكل من كان فيها وذكوان من جملتهم وعليه حُلتان يفوقان الوصف وعلى رأسه تاج من الذهب الأحمر مرصع بأنواع الدُرّ والجوهر ، فقمت مسلما عليه ومهنئا له فرأيت فى وجهه نقطة سوداء فسألته عن تلك النقطة فبكى بكاء شديدا وقال : يا أخى كنت قبل موتى بأيام يسيرة ماشيا فى بعض شوارع البصرة فرأيت جارية لم أر أحسن من عينيها فقلت لها يا جارية هل أنت خاليه من زوج فقالت لى : يا شيخ وما حملك على ما ذكرت لى فقلت لها : حسن عينيك فقالت : إن كنت صادقا فاتبعنى فاتبعتها

---

(٦٦٠) وردت هذه الموعظة بالمدهش (ص ٣٤٣ ، ٢٤٤ ، ٣٤٤) ، من قوله (اسمع ياثقيل النوم ... إلى قول الله تعالى : ﴿ **إنا إلينا إيابهم** ﴾ .

(٦٦١) سورة التكاثر – الآية : ٦ .

(٦٦٢) سورة الغاشية – الآية : ٢٥ .

(٦٦٣) ذكوان : هو أبوصالح السمان [تقريب التقريب (٢/٤٣٦)] .
[هامش طبقات الصوفية (ص/٤٢٨)]

حتى أتت إلى دار فدخلت وخرجت إلىَّ عجوز فأذنت لى فى الدخول ، فدخلت ، فوجدتها خلف ستر فقالت لى : يا شيخ أنت مقيم على حالتك وصادق فى مقالتك فقلت نعم ، فقالت : والله لا فتنتُ بعدك مسلماً أبداً ، ثم أدخلت أصبعها فى عينها ورمتْ بهما إلىَّ وقالت يا شيخ هذا الذى فتنك منى قد رميت بهما إليك قم فى حفظ الله قال ، فخرجت من عندها هاربا وأتيت إلى محرابى ولم أزل فى بكاء وانتحاب حتى قبضت فلما نفخ فى الصور نفخة البعث وقمنا من قبورنا وطفنا حول العرش نادى ملك : يا أهل الاجتهاد إن الله يستحى أن يناقشكم الحساب جوزوا الصراط بفضل الله ورحمته ومغفرته فقام المجتهدون فسرت معهم فلما توسطنا الصراط جاز الناس وبقيت أنا فجعلت أنادى يا أحبائى فلا يجيبونى فأيقنت بالهلاك فبينما أنا كذلك وإذا بلسان من نار قد خرج من جهنم فلفح فى وجهى ما رأيت ونادى منادى يا ذكوان هذا يوم الجزاء لفحة بنظرة ولوزدت لزدناك .

شـــعر

جنبونى خطب البعاد وسهل   كل خطب سوى النوى والبعاد

يامن(٦٦٤) عهدنا معه يوم (ألست) لاتحل عقدة العهد بأنامل الزلل فما يليق بشرف قدرك خيانة .

شـــعر

(٦٦٥)

بحرمـةِ الودِّ الذى بيننـا   لا تفســدوا الأول بالآخــر

(٦٦٦)

اسمع يا من أبعدته الذنوب عن ديار الأنس ، ابك وطر الوطن عساك ترد .

---

(٦٦٤) وردت هذه الموعظة بالمدهش (ص ٣٤٤) من قوله (يا من عهدنا معه يوم (ألست) ... إلى قوله (فما يليق بشرف قدرك خيانة) .

(٦٦٥) ورد هذا البيت بالمدهش (ص ٣٤٤) .

(٦٦٦) وردت هذه الموعظة بالمدهش (ص ٣٥٧) من قوله (يا من أبعدته الذنوب ... إلى قوله (عساك ترد) .

« شـــاب مات متأســفا على ما فعــل »

(٦٦٧)

قال بعض السلف :- رأيت شابا فى سفح جبلٍ عليه آثار القلق ودموعه تتحادر فقلت له من أنت ؟ فقال : آبق من مولاه قلت : تعود وتعتذر فقال : العذر يحتاج إلى حجة فكيف يعتذر المفرط قلت له : تتعلق بشفيع فقال : كل الشفعاء يخافون منه فقلت من هو قال : مولى ربانى كبيرا(٦٦٨) فعصيته كثيرا(٦٦٩) فواحيائى منه ومن حسن صنيعه وقبح فعلى ، ثم صاح صيحة خرجت فيها روحه فخرجت عجوز إليه وقالت : من أعان على قتل البائس الحيران ؟ فقلت لها : أقيم عندك أعينك عليه ، فقالت: خَلِّه. ذليلا بين يدى قاتله(*) عساه يراه بغير معين فيرحمه .

---

(٦٦٧) وردت هذه القصة بالمدهش (ص ٣٥٧) .

من قوله (رأيت شاباً فى سفح جبل ... إلى قوله (عساه يراه بغير معين فيرحمه) .

(٦٦٨) كذا بالأصل وبالمدهش (صغيراً) وما ورد بالمدهش هو الصواب .

(٦٦٩) كذا بالأصل وبالمدهش (كبيراً) وما ورد بالمدهش هو الصواب .

(*) ماينبغى لأحد أن يصف الله تبارك وتعالى بأنه قاتل . فهذا يتعارض مع التنزيه المطلق لله سبحانه .

شـــعر

(٦٧٠)

ياحادى الأضغان[٦٧١] عج[٦٧٢]متوقفا وانظر دم العشاق كيف يراق
صبروا على ألم التهاجر واللقا[٦٧٣] وتجرعوا ألم الفراق وذاقـــوا

[يا معاشـــر التائبـين]

(٦٧٤)

يا معشر التائبين من أقامكم وأقعدنا ؟ من قربكم وأبعدنا ؟ ﴿ **إنْ نحن إلا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده** ﴾[٦٧٥] كم وعظتنا الدنيا ، وأبلغت إذ قالت وخبرت برحيلها قبل أن يقال زالت وما سقطت جدرانها .حتى أنذرت ومالت ، وحذرت، لقد قرب الاغتراب فى التراب ، ودنى سل السيف من القراب ، يا من زمانه الذى يمضى عليه ، يا من ذنبه أوجب أن لا يلتفت إليه ، أتلهو برند[٦٧٦] الصبا وبانه ويروقكم برق الهوى بلمعانه وتغتر بعيش فى عيش

---

(٦٧٠) ورد هذان البيتان فى المدهش (ص ٣٥٨) .

(٦٧١) كذا بالأصل وبالمدهش (الأظعان) .

والأضـغان : ناقة ذات ضغن أى حنين إلى وطنها . [اللسان (٢٥٥/١٣ - ضغن)] ط. دار صادر .

(٦٧٢) عج : ارفع صوتك بالصياح .[اللسان (٣١٨/٢ - عجج)] ط. دار صادر .

(٦٧٣) كذا بالأصل وبالمدهش (القلى) وما ورد بالمدهش هو الصواب .

(٦٧٤) وردت هذه الموعظة بالمدهش (ص ٣٥٨ ، ٣٦٠) من قوله (يا معشر التائبين ... إلى قوله (أما يستدل على نار العقاب بدخانه) .

(٦٧٥) سورة إبراهيم - الآية : ١١ .

(٦٧٦) رند : هو شجر من أشجار البادية طيب الرائحة يستاك به . [اللسان (١٨٦/٣ - رند)] ط. دار صادر .

عنوانه وتمد يد الغفلة إلى جنى أغصانه وتنسى أنك فى حريمِ خطره وامتحانه أما لقمة أبيك آدم أخرجته من مكانه ، أما نودى عليه بالفطر فى رمضانه أما شأنه [شانه][677] لولا وكف شانه أما يستدل على نار العقاب بدخانه .

شعر

(٦٧٨)

قل للمُفرطِ يستعد ما مِنْ ورودِ الموتِ بد

قَدْ أخْلَق الدهرُ الشبابَ وما مضى لا يُسترد

فإلى متى شغُل الفتى فى لهوهِ والأمرُ جد

(٦٧٩)

يا هذا لا تبرح من الباب وإن طردت ، لا تزل عن الحجاب[680] ولو أبعدت ، وقل بلسان التملق[681] إلى من أذهب ؟ يا من كان له قلب فمات ، يا من كان له وقت ففات ، احضر فى السحر فإنه وقت الإذن العام ، واستصحب رفيق البكاء فإنه مساعد صبور .

يروى أن العبد إذا بكى من خشيةِ الله عز وجل بكى معه الملكان الموكلان به فإذا صعدا إلى السماء قال الله تعالى لهما: وهو أعلم: من ماذا بكيتما؟ فيقولان إلهنا عبدُك بكى من خشيتك فساعدناه فيقول الله عز وجل لهما : قد عفوت عنه بمساعدتكما إياه .

---

(٦٧٧) ما بين المعكوفتين ليس بالأصل استدركناه من المدهش (ص ٣٦٠) .

(٦٧٨) وردت هذه الأبيات بالمدهش (ص ٣٦٠) .

(٦٧٩) وردت هذه الموعظة بالمدهش (ص ٣٦٢) ، من قوله (يا هذا لاتبرح من الباب وإن طردت ... إلى قوله (واستصحب رفيق البكاء فإنه مساعد صبور) .

(٦٨٠) كذا بالأصل وبالمدهش (الجناب) .

(٦٨١) التملق : التودد والتضرع بكلام لطيف . [الوسيط (٨٨٥/٢)] .

شعر

[المصنف][682]

قِفْ صاحبى إنْ كنتَ تُسعدنى عندَ الكثيبِ فتم لى غرض
فرضوا على الأجفان أن لاتلتقى[683] أو نلتقى فاصبر لما فرضوا
كيف اصطبارى بعد فرقتهم واحسرتى[684] ما عنهم عوضُ

الفصل الثامن عشر

[يا من شاب وما تاب]

(685)

اسمع يا من شاب وما تاب وما أفلح ، يا معرضا إلى مايؤذى عن الأصلح ليت شعرى بعد الشباب بماذا تفرح ؟ ما أشنع الخطايا فى الصبا[686] وهى فى الشيب أقبح إذا نزل الشيب ولم يزل العيب فبعيد أن يبرح .

شعر

حتى متى لا تستفيق من الصبى والقلبُ منكَ إلى الجهالةِ مائلُ
ما لاح شيبٌ فى المفارقِ ظاهرٌ إلا وأخبرَ أنَّ حتفَكَ عاجلُ

---

(682) نسب صاحب المدهش هذه الأبيات (للمصنف) [المدهش (ص 362)] .

(683) كذا بالأصل وبالمدهش (إذ هجروا) .

(684) كذا بالأصل وبالمدهش (ياجيرة) .

(685) وردت هذه الموعظة بالمدهش (ص 343) من قوله (يامن شاب وماتاب ... إلى قوله (فبعيد أن يبرح) .

(686) ما بين المعكوفتين سقط استدركناه من المدهش .

دنيا إلى حالِ الذهابِ مصيرُها وجميعُ ما تَحْويه منها ذائـلُ
فانظر لنفسـك فى جهازِكَ مُسـرعا واعلم بأنك من قـريبٍ راحـلُ

(٦٨٧)

اسمع يا مستلباً عن أهله وماله يا خاليا فى القبر بأعماله ليته خلاك ما منه تخليت ليته ولّى عنك ، أثم ما عنه توليت .

[حـكاية شاب منحدر من مقـبرة]

(٦٨٨)

قال أحمد بن أبى الحوارى(٦٨٩) : رأيت شاباً قد انحدر من مقبرة فقلت له من أين ؟ قال : من هذه القافلة النازلة ، قلت وإلى أين ؟ ، قال : أتزود وألحقها قلت : فأى شيء قالوا لك ؟ وأى شيء قلت لهم ؟ قال : قلت متى ترحلون ؟ قالوا : حتى تقدمون .

[عمـر بن عبدالعزيز فى الجبانـة]

(٦٩٠)

وقيل :- دخل عمر بن عبدالعزيز الجبانة فبكى بكاء شديدا حتى احمرت عيناه ، فقيل له فى ذلك ، فقال : أتيت قبور الأحبة فسلمت عليهم فلم يردوا

---

(٦٨٧) وردت هذه الموعظة بالمدهش (ص ٣٤٧) من قوله (اسمع يا مستلباً من أهله ... إلى قوله (ولى عنك أثم ما عنه توليت) .

(٦٨٨) هذا الأثر ورد بالمدهش (ص ٣٤٧) .

(٦٨٩) أحمد بن أبى الحوارى : يكنى أبا الحسن وهو أحمد بن أبى الحوارى عبدالله ابن ميمون أبوالعباس الدمشقى صحب الدارانى وغيره ، سكن دمشق وكان له ابن يقال له عبدالله من الزهاد وأخ يقال له محمد يشبهه فى الورع والتقوى وأبوه أبوالحوارى من أهل الورع أيضاً فبيتهم بيت الورع والزهد وتوفى سنة ثلاثين ومائتين . [صفة الصفوة (٢٣٧/٤)] ، [طبقات الأولياء : ٣١] .

(٦٩٠) وردت هذه القصة فى التبصرة (٤٩/٢) بمعناها .

جوابا ، فلما ذهبت لأنصرف نادانى التراب : يا عمر ألا تسألنى ماذا ألقوا[*] الأحبة ؟ قلت : بلى قال : خرقت الأكفان ومزقت الأبدان وتغيرت الألوان فبكيت لذلك بكاء شديدا .

شــعر

فهمُ فى بطونِ الأرضِ بعد ظهورها محاسنُهـم فيها بوال دواثـــر
دخلت دورهم منهم وأسفت عراصهم[٦٩١] وسقاهم نحو التراب المقاور[٦٩٢]

[النظــر فى العواقــب]

يا هــذا إن المستيقظين نظروا فى العواقب بعين البصيرة فتحقق كل منهم أن إلى الفنى مصيره ، فجنبوا جنوبهم الفرش الوثيرة وغسلوا الذنوب بفيض الأدمع القريرة ورقبوا فى الملأ والخلاء عالم الجهر والسريرة فقطعوا الليل بالسهاد وهجروا اللذات خوف المعاد ، فإذا أظلم عليهم الليل وصلوا بالزفير أنينهم ، وأقرحوا بالدموع جفونهم ، فقطعوا الأطماع بسيوف الأخلاق ، وقمعوا الأهواء بذكر يوم التلاق ، فكرعوا من المصافات كوش[٦٩٣] حلوة المذاق .

(*) كذا بالأصل ولعلها [لقى] .

(٦٩١) عراصهم : العرصة ساحة الدار أو البقعة الواسعة بين الدور ولا بناء فيها . [الوسيط (٥٩٣/٢)] .

(٦٩٢) المقاور : أى المجتمع أو المتجمع . [اللسان (١٢٤/٥ - قور)] ط. دار صادر .

(٦٩٣) كوش : رأس الفيشلة : والفيشلة رأس كل مدور ، ومعناها أيضاً نوع من الشجر وله معنى ثالث هو ماء لبنى حصين سمى بذلك لإكام حمر عنده حوله يقال لها الفياشل ، والمعنى الأخير أصوب . [اللسان (٣٤٤/٦ - كوش)] ، [اللسان (٥٢١/١١ - فشل)] ط. دار صادر ، [والوسيط (٦٩٠/٢)] .

شـــعر

أطـاعَ اللهَ قومٌ فاستقامــوا على طرقِ الودادِ فلمْ ينامــوا
سَقَاهــم بالصفـاءِ كؤوسَ ودٍ فتاهــوا من محبتِـهِ ونامـــوا

أناخت بهم مطايا الهم فى رياض الحكم ، فهم بأفياء أشجارها يستظلون وبنسيم أرواحها يتنعمون ، وفى فلوات الخلوات يسبحون ، وبمحبوبهم فى وحدتهم يأنسون .

[حــكاية شيخ ســقط حاجبــاه]

قال أبوفروة السـائح : بينا أنا أسير فى جبل لبنان وقد جن الليل إذ سمعت صوت حزين وهو يقول يا من آنسنى بذكره ، وأوحشنى من خلقه ، أجبر الليل غربتى ، وارحم غبرتى ، يا عظيم الصنع لأوليائه ، اجعلنى من أوليائك وأصفيائك قال : فاتبعت الصوت ، فلما دنوت منه إذ هو شيخ قد سقط حاجباه على عينيه فلما أحس بى نفر وقال : إنسى ورب الكعبة ، فقلت لا بأس عليك قف لتخبرنى فقال : إليك عنى فمنكم هربت ثم مضى وتركنى .

شـــعر

(٦٩٤)

ولقيتُ فى حبِّكَ ما لمْ يَلْقَــهُ فى حبِ ليلى قيسُها المجنــونُ
لكننى لم أتبعْ وحـــشَ الفــلا كفعالِ قيسٍ والجنــونُ فنونُ

(٦٩٤) هذان البيتان وردا فى المدهش (ص ١٨١) .

« حكاية فى أقوام نادمين على ذنوبهم »

قيل :– مر عيسى عليه السلام بجانب جبل فقطرت عليه منه قطرات من ماء فصعد إلى الجبل لينظر من أين ذلك الماء فرأى قوما عليهم مسوح الشعر والأغلال فى أعناقهم فسألهم عن أمرهم فقالوا : يا روح الله قتلت أنفسنا الذنوب فأقمنا عليها مأتم الحزن والبكاء فقال لهم : كم لكم على هذه الحالة ؟ قالوا : لا ندرى لكثرة ما مر علينا من الزمان ، فقال لهم : فمن أين تأكلون ؟ قالوا : يا روح الله وهل نتفرغ لأكل أو شرب غير أنا إذا غلب علينا الجوع آتينا هذه الصخرة عند شدة الفاقة فتنفلق لنا عن رمان على عددنا وهو طعامنا فانصرف عيسى عليه السلام عنهم وقال حقيق لمن فعل مثل فعلكم أن يكون له مثل ما لكم .

شعر

[المهيار][695]

دَعْ مَلامى فى الهوى[696] أورُحْ ودَعْنى	واقفا أنشد قلباً ضاع منى
أنا يا دارُ على عهدِ الوفاءِ[697]	فيكِ من خانَ وعزمى لم يخنى
ولئن غال[698] مغانيكِ البلى	عادةُ الدهرِ فشخصٌ منك يغنى
إنْ خبتْ نارٌ فهذا كبدى	أو جفى الغيث فهذا لك جفنى

---

(٦٩٥) نسب صاحب المدهش هذه الأبيات (للمهيار) [المدهش (ص ٣٦٣)] .

الديوان (٤/٧٢–٧٧) [هامش المدهش (ص ٣٦٣)] .

(٦٩٦) كذا بالأصل وبالمدهش (الحمى) .

(٦٩٧) ورد الشطر الأول من هذا البيت بالمدهش هكذا (أنا يادار أخو وحش الفلا) .

(٦٩٨) غال : أهلك وأفنى [الوسيط ٢/٦٦٦] .

[ســـلطان المعرفـــة]

(٦٩٩)

يا هذا إذا خيم سلطان المعرفة بقاع القلب بث جنوده فى بقاع البدن فصارت السباح رياضا بالرياضة [**ساكن فى القلب يعمره**][٧٠٠] .

[مذنب تاب فقبله الله سبحانه وتعالى]

يروى أن رجلا من بنى اسرائيل كان كثير المعاصى والذنوب ثم أنقذه الله عزَّ وجلَّ منها فأقبل على طاعة الله وأعرض عن معاصيه فلما كان فى آخر عمره قال لأهله : هل تعرفون لى من شفيع عند الله ؟ قالوا : أما الأنبياء فلا يقبلون عليك ، وأما الصالحون فلا ينظرون إليك ، فعلى من ندلك بعد هؤلاء ؟ قال : فلما سمع كلامهم خرج هائماً على وجهه حتى أتى بعض الأودية فوضع خده على الأرضِ ورفع طرفهُ إلى السماء وأخذ يتضرع إلى الله عزَّ وجلَّ ويقول : إلهى أنت العالم بضرى وقد جئتك بفقر قادح ، وعمل غير صالح ، فاصنع لى ما يليق بكرمك يا كريم قال : فناداه هاتف من أقصى الوادى ، ما يصنع الرءوف الرحيم بمن وقف بين يديه هذا الوقوف ؟ قد بدلنا السيئات بالحسنات ورفعنا لك الدرجات فى الجنات يا هذا[٧٠١] : من لم يذق مرارة الفراق .. لم يدر ما حلاوة التلاق ، ما لم يقع سهم فى مقتل فالعلاج سهل .

---

(٦٩٩) وردت هذه الموعظة بالمدهش (ص ٣٦٤) ، من قوله (يا هذا إذا خيم سلطان المعرفة إلى قوله (ساكن بالقلب يعمره) .

(٧٠٠) ما بين المعكوفتين سقط استدركناه من المدهش .

(٧٠١) وردت هذه العبارة بالمدهش (ص ٣٤٩ ، ٣٥٧) ورد نصفها الأول بيت شعر إلى قوله (التلاق) والباقى جاء على أنه موعظة إلى قوله (فالعلاج سهل) .

كانت محبة[٧٠٢] آدم للحق أصلية وتعبد إبليس تكلفاً والعرق نزاع لأنه ﴿ **كان من الجن** ﴾[٧٠٣] وإنما يعالج الرمد لا الأكمه[٧٠٤] . مادامت نفسك عند التوبيخ منكسرة وعينك وقت العتاب تدمع ففى قلبك يعو حياة فإنما المعاصى أوجبت هجرك[٧٠٥] فابك وطر[٧٠٦] الوطن عساك تصل[٧٠٧] .

يروى عن رسول الله ﷺ أنه قال :

« ما من ليلة يجن[٧٠٨] ظلامها وتهجع[٧٠٩] العيون فيها إلا نادى الجليل جل جلاله : من أعظم منى جودا وكرماً ؟ ، عبادى يعصوننى ، وأنا أحفظهم فى مضاجعهم كأنهم لم يذنبوا ، أجود على العاصى وأتفضل على المسيء وأنا ذو الفضلِ ومنى الفضلُ وأنا الجوادُ ومنى الجودُ وأنا الكريمُ ومنى الكرم ، فأين تذهبون عبادى عن بابى ، إنْ دعانى العاصى أجبته وإن سألنى أعطيته ، وإن هرب منى أدنيته ، وأنا عند ظن عبدى بى ولا أعاجل العبد بالعقوبة ، وإن عصى وإن عصى » .

---

(٧٠٢) كذا بالأصل وبالمدهش (صحبة) والصواب ما ورد بالأصل .

(٧٠٣) سورة الكهف – الآية : ٥٠ .

(٧٠٤) الأكمه فى التفسير : العمى الذى يولد به الإنسان [اللسان (١٣/٥٣٦ كمه)] والمعنى إنما يعالج المرض الطارىء على العين لا العمى .

(٧٠٥) كذا بالأصل وبالمدهش (سكتة) .

(٧٠٦) وطر : الحاجة فيها مأرب وهمّة [الوسيط (٢/١٠٤١)]

(٧٠٧) كذا بالأصل وبالمدهش (ترد) .

(٧٩٨) يجن ظلامها : أى يشتد ظلامها بحيث يستتر من فيها . [اللسان (١٣/٩٣ – جنن)] ط. دار صادر .

(٧٠٩) تهجع : أى تنام . المهجوع النوم ليلاً . [اللسان (٨/٣٦٧ – هجع)] ط. دار صادر .

شــعر

(٧١٠)

بما بيننـا من حرمةٍ هلْ رأيْتمـا أرقَّ مِنَ الشكوى وأقسى مِن الهجرِ

يا معاشر التوابين هلموا لِقرع الباب ، اسمع يا من يقول : إذا شبت تبت اليوم[٧١١] عهدُكم ، فَأينَ الموعدُ [هيهات ليس ليوم عهدكم غد][٧١٢]

[عجلــوا بالتوبــة]

يا أخــى :[٧١٣] وقوع الذنب على القلب كوقوع الدهن على[٧١٤] الثوب ، إن لم تعجل غسله انبسط ، ﴿ **وإنَّ منكم لمن ليبطئن** ﴾[٧١٥] ، أيها التائبون بألسنتهم لا يدرون ما تحت نطقهم ، لا يحكم بإقراركم ﴿ **حتى تعلموا ما تقولون** ﴾[٧١٦] إذا صدقت توبة التائب بنى بيت التعبد بصخور العزائم ولم يفده فى أساسه دون الماء ، إن التائبين كاتبوا الله بدموعهم وهم ينتظرون الجواب .

---

(٧١٠) ورد هذا البيت بالمدهش (ص ٣٥٩) .

(٧١١) هذا شطر بيت ذكر فى المدهش (ص ٣٥٧) .

(٧١٢) سقط استدركناه من المدهش وهو مابين المعكوفين .

(٧١٣) وردت هذه الموعظة بالمدهش (ص٣٥٧، ٣٥٨)، من قوله (وقوع الذنب على القلب ... إلى قوله (وهم ينتظرون الجواب) .

(٧١٤) سقطت لفظة (على) استدركناها من المدهش .

(٧١٥) سورة النساء – الآية : ٧٢ .

(٧١٦) سورة النساء – الآية : ٤٣ .

شعر

(٧١٧)

يا حادى الأضغانِ[٧١٨] عج متوقفا وانظر دم العشاق كيف يراق
صبروا على ألم التهاجر والقلى وتجرعوا مرَّ الفراق وذاقوا .

أهل الله[٧١٩] وجوههم أضوء من البدرِ ، جباهم أنور من الشمسِ ، نوحهم أفضل من التسبيح ، سكوتهم أبلغ من فصيح ، فلو علمت الأرض قدر خوفهم تزلزلت ، ولو سمعت الجبال ضجيجهم تقلقلت .

شعر

(٧٢٠)

أمسى وأصبح من تذكاركم قَلِقَاً يرثى لى الشفقانُ الأهلُ والوُلد
قد خدَّدَ[٧٢١] الدمع خدى من تَذَكُرِكُم واعتادنى المضنياتُ الشوقُ والكمدُ
وغابَ عن مقلتى نومى ونافرها وخاننى المسعدان الصبُر والجلدُ
لم يبق إلا خفى الروح من جسدى فداؤك الباقيان الروحُ والجسدُ

---

(٧١٧) ورد هذان البيتان بالمدهش (ص ٣٥٨) .

(٧١٨) كذا بالأصل وبالمدهش (الأظعان) .

(٧١٩) وردت هذه الموعظة بالمدهش (ص ٣٥٩) من قوله (أهل الله وجوههم كالبدر ... إلى قوله (ولو سمعت الجبال ضجيجهم تقلقلت) .

(٧٢٠) وردت هذه الأبيات فى المدهش (ص ٣٥٥) .

(٧٢١) خدد الدمع : خد المدع فى خده : أثر فيها والمعنى جعل فى خدى مثل الأخاديد من كثرة البكاء [اللسان (١٦١/١٣ - خدد)] ط. دار صادر .

[أول الطـــريق سهـل]

(٧٢٢)

يا هـــذا أول الطريق سهل ثم يأتى الحزن ، فى البداية وهو[٧٢٣] إنفاق البدن وفى التوسط إنفاق النفس فإذا نزل ضيفُ المحبةِ نازل[٧٢٤] القلب فأملق المنفق قلق النوم بلا سكون ، إنزعاجهم بلا إتباب[٧٢٦] حلفت جنوبهم على جفى النوم فلو سمعت ضجيجهم فى دياجى الليل يقولون :—

(٧٢٧)

من لقلـــب لازم الفكـــرا ولـعين لا تذوق الكـــرا[٧٢٨]
ولصب[٧٢٩] بالغـــرام قضـــى ما قضـــى فى حبكم وطـرا[٧٣٠] .

---

(٧٢٢) وردت هذه الموعظة بالمدهش (ص ٣٥٥) ، من قوله (أول الطريق سهل ... إلى قول الله تعالى ﴿ لايستطيعون ضرباً فى الأرض ﴾

(٧٢٣) هذه اللفظة ليست بالمدهش .

(٧٢٤) كذا بالأصل وبالمدهش (تناول) .

(٧٢٥) أملق : أى أخرج مابيده ولم يحبسه [اللسان (٣٤٨/١٠ – ملق)] ط. دار صادر .

(٧٢٦) إتباب : أى انقطاع . [الوسيط (٨١/١)] .
وقد وردت فى المدهش (ص ٣٥٥) .

(٧٢٧) ورد هذان البيتان فى المدهش (ص ٣٥٥) .

(٧٢٨) الكرا : الكرى : النوم أو النعاس . [اللسان (٢٢١/١٥ – كرى)] ط. دار صادر .

(٧٢٩) صب : محب مشتاق عاشق [اللسان (٥١٨/١ – صبب)] ط. دار صادر .

(٧٣٠) وطرا : أى حاجته وبغيته . [اللسان (٢٨٥/٥ – وطر)] ط. دار صادر .

أحضروا[٧٣١] القلوب[٧٣٢] فى سبيل المحبة فأشغلهم عن كل مطلوب ﴿ **لايستطيعون ضرباً فى الأرض** ﴾[٧٣٣] .

[٧٣٤]

ورد أنه لاحت لبعض التائبين نظرة فصاح وجعل يقول :

حلفت بدين الحب لا خنت عهدكم وتلك يمين لو علمت غموس

إذا لاحت للتائبين نظرة لا تحل فامتدت عين الهوى ، تزلزلت أرض التقوى فهبط معمار الإيمان ، ﴿ **وألقى فى الأرض رواسى أن تميد بكم** ﴾[٧٣٥] ، أكثر[٧٣٦] فساد القلب من تخليط العين ، مادام باب عين البصر موثقاً بالغض ، فالقلب سليم من كل آفة ، فإذا فتح طار الطائر وربما يعد[٧٣٧] .

[عاقبة إطلاق البصر]

اسمعوا يا متصرفين فى إطلاق الأبصار ، جاء تواقيع المعزل[٧٣٨] ﴿ **قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم** ﴾[٧٣٩] إطلاق البصر ينقش فى القلب صورة المنظور والقلب كورة تسعى[٧٤٠] وما يرضى المعبود بمزاحمة الأصنام .

(٧٣١) كذا بالأصل وبالمدهش (أحصر) .

(٧٣٢) كذا بالأصل وبالمدهش (القوم) .

(٧٣٣) سورة البقرة - الآية : ٢٧٣ .

(٧٣٤) وردت هذه الموعظة بالمدهش (ص ٣٦٤) من قوله (ورد أنه لاحت لبعض التائبين نظرة ... إلى قول الله تعالى ﴿ **وألقى فى الأرض رواسى أن تميد بكم** ﴾ .

(٧٣٥) سورة النحل : الآية : ١٥ .

(٧٣٦) وردت هذه الموعظة بالمدهش (ص ٣٦٣) من قوله (أكثر فساد القلب ... إلى قوله (وما يرضى المعبود بمزاحمة الأصنام) .

(٧٤٧) كذا بالأصل وبالمدهش (لم يعد) .

(٧٣٨) (تواقيع المعزل) كذا بالأصل وبالمدهش (توقيع العزل) .

(٧٣٩) سورة النور - الآية : ٣٠ .

(٧٤٠) (كورة تسعى) كذا بالأصل وبالمدهش (كعبة « ويسعنى ») .

عيناى[٧٤١] أعانتْ على سفكِ دَمى   بالذة نظرةْ[٧٤٢] أطالتْ نَدَمى
كم أندم حينَ لا يغنى نـدمى   ويلى ثبت الهوى وزلت قدمى .

(٧٤٣)

يا هـذا لا تجزع من ذنب مضى ، قرب زلةٍ أورثت تقويما ، « **لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ، ثم أتى بقوم يذنبون ويستغفرون فيغفر لهم** »[٧٤٤] .

« فى رجل عاصى فعل حسنة كانت سببا لتوبته »

سـئل بعض الصالحين عن سبب توبته فقال : كنت فى حداثة سنى لا أقف على زلة فرأيت فى بعض الأيام جارية لم أر أحسن منها وجها ففتنت بها فأشرت إليها فلما صارت بالقرب منى أدركها جزع شديد فقلت لها لا تخافى لابأس عليك فلم ينقص ذلك من خوفها شيئا وجعلتْ ترعد كسعفة فى يوم ريح فقلت لها : أخبرينى بخبرك فقالت : والله يا أخى هذا موقف ما وقفته قبل يومى هذا قط ولى ثلاث بنات ولى ولهن ثلاثة أيام لم نستطعم فيها طعاما فلما كان فى هَذا اليوم حملنى الجوع والشفقةُ على ما ترى ، قال : فعند ذلك رق لها قلبى وسألتها عن مسكنها فأعلمتنى به فحملت إليها ما قدر الله عز وجل من دراهم وكسوة وقمح وغير ذلك ثم عمدت إلى ما فى بيتى فبعته ودفعته لوالدتى وأخبرتها بالقصة وكان عندى سجل أثبت فيه سيئاتى ، فقالت : يا ولدى أنت رجل لم تعمل قط حسنة غير هذه وعندك سجل تثبت فيه سيئاتك فقم وأثبت فيه هذه الحسنة فقمت إلى السجل وفتحته فوجدته أبيض من أوله إلى آخره وفيه سطر

---

(٧٤١) وردت فى المدهش (٣٦٣) .

(٧٤٢) كذا بالأصل وبالمدهش (لحظة) .

(٧٤٣) وردت هذه الموعظة بالمدهش (ص ٣٤٩) ، من قوله (يا هذا لاتجزع من ذنب مضى ... إلى قوله (ويستغفرون فيغفر لهم) .

(٧٤٤) الحديث رواه مسلم فى صحيحه بشرح النووى (٧١/١٧) رقم ٢٧٤٩ ، كتاب التوبة .

واحد ﴿ **إن الحسنات يذهبن السيئات** ﴾[٧٤٥] فرفعت يدى إلى السماء وقلت : وعزتك وجلالك لاعصيتك بعد يومى هذا أبدا .

اسمع[٧٤٦]أخبارهم يا مطلقا طرفه لقد عقلك ، يا مرسلا سبع فمه لقد أكلك ، يا مشغولا بالهوى مهلاً قتلك ، بادر رمقك فقد رمقك بالرحمة من عذابك[٧٤٧] أول منازل القوم « عزفت عن الدنيا » وأوسطها « لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا » ، ونهايتها « ما رأيت شيئا ، إلا رأيت الله قبله »[٧٤٨] .

شـــعر

(٧٤٩)

شغلت نفسى عن الدنيا ولذتها	فأنت والروح [شيء][٧٥٠] غيرُ مفترِق
فَكَمْ تعذِّبها نفسى[٧٥١] فيا أملى	ارحم بقية ما فيها من الرمقِ
وما تَطَابقتَ الأجفانُ عن سنةٍ	إلا رأيتُكَ بين الجفن والحدق
فارحم محباً كئيباً موجعاً[٧٥٢] قلقاً	أجفانه وكلت بالسهدِ والأرق

---

(٧٤٥) سورة هود - الآية : ١١٤ .

(٧٤٦) وردت هذه الموعظة بالمدهش (ص ٣٦٣ ، ٣٦٤) ، من قوله (اسمع أخبارهم يامطلقاً طرفه ... إلى قوله (إلا رأيت الله فيه) .

(٧٤٧) كذا بالأصل وبالمدهش (عذلك) .

(٧٤٨) كذا بالأصل وبالمدهش (فيه) .

(٧٤٩) وردت هذه الأبيات فى المدهش ٣٦٥ بغير هذا الترتيب الثالث فالرابع فالأول فالثانى .

(٧٥٠) ما بين المعكوفتين سقط استدركناه من المدهش .

(٧٥١) كذا بالأصل وبالمدهش (بالصد) .

(٧٥٢) ورد الشطر الأول من هذا البيت فى المدهش هكذا (وهل ينام حزين موجع قلق) .

الفصـــل التاسع عشــر

[يا مــؤخراً توبته حتى شـــاب]

(٧٥٣)

اسمع يا مؤخراً توبته حتى شابَ ، خرج وقت الاختيار يا ابن السبعين لقد أمهل المتقاضى فالبدار البدار .

شــعر

(٧٥٤)

ولم يبق من أيام جمع إلى منى إلى موقف التجمير غير أمانى

يا هـذا عقلك يحثك على التوبة ، وهواك يمنعك منها والحروب بينهما قائمة، فلو جهزت [جيش][٧٥٥] العزم فر العدو، وتنوى قيام الليل فتنام، وتسمع المواعظ فلا تخشع ، ثم تقول : ما السبب ؟ ، ﴿ **قل هو من عند أنفسكم** ﴾[٧٥٦] عصيت بالنهار ، فنمت بالليل ،أكلت الحرام ، فأظلم القلب ، فلما فتح باب الوصول للمقبولين طردت ، ويحك فكر القلب فى المباحات يحدث [له][٧٥٧] ظلمة فكيف فى تحصيل الحرام ، إذا غير المسك الماء منع من التوضؤ به فكيف بالنجاسة .

---

(٧٥٣) وردت هذه الموعظة بالمدهش (ص ٣٥٤) من قوله (اسمع يا مؤخراً توبته ... إلى قوله (فكيف بالنجاسة) .

(٧٥٤) ورد هذا البيت فى المدهش (ص ٣٥٤) .

(٧٥٥) مابين المعكوفتين سقط واستدركناه من المدهش .

(٧٥٦) سورة آل عمران – الآية : ١٦٥ .

شــعر

[الشريف الرضى][757]

متى تفيق اليومَ من لوعــةِ   وأنتَ نَشْوانٌ بغيـــرِ المدامِ

(758)

يا هـذا إذا رأيت جنازة فأحسبها أنت وإذا عاينت قبرا فتوهمه قبرك ، وعد باقى الحياة ربحا .

شــعر

[متمم بن نويرة][759]

لَقَدْ لَامَنى عِنْدَ القُبُورِ على البكاء   رفيقى لتذراف الدموع السوافك
وقال أتبكى كل قبرٍ رأيتـه   لقبر ثوى بين اللوى والدكادك(*)
فقلت له إنَّ الشجى يبعث الشـــجى   دعونى فهذا كله قبر مــالك .

---

(757) هذا البيت نسبه صاحب المدهش (للشريف الرضى) [المدهش (ص ٣٥٥)] .
ديوان شعره (٣١٣/٢ – ٣١٧) [هامش المدهش (ص ٣٥٥)] .
(758) وردت هذه الموعظة بالمدهش (ص ٣٥٦) من قوله (يا هذا إذا رأيت جنازة ... إلى قوله (وعد باقى الحياة ربحاً) .
(759) نسب صاحب المدهش هذه الأبيات (المتمم بن نويرة) [المدهش (ص ٣٥٦)] .
(*) الدكادك : جمع دكداك وهى أرض فيها غلظ [الوسيط (٢٩١/١)] .

« تذكـر القبـر »

(٧٦٠)

إخـوانى : تفكروا فى الذين رحلوا أين نزلوا ؟ وتذكروا أنهم نوقشوا وسئلوا واعلموا أنكم ترحلون كما رحلوا واعلم فأنهم ودوا لو ردوا فعملوا .

شـعر

[أبوالعتاهية][٧٦١]

سألتُ الدارَ تُخْبِرنى عن الأحبابِ ما فَعَلُوا
فَقَالتْ لى أُنَاخَ القومُ أَيَّاماً وقَدْ رَحَلوا
فَقُلتُ وأَيْنَ أطْلُبُهُمْ وأىُّ منازِلٍ نزلوا .
فقالت بالقبور وقد لقوا واللّٰه ما عملوا
أناس غرَّهُم أملٌ فبادرهم به الأجلُ
وأثْبَتَ فى صَحَائِفِهِم قبيحَ الفعلِ والزلل
فلا يستعتبون ولا لهم ملجأ ولا حيل
ندامى فى قبورهم وما يغنى وقد حصلوا

إخوانى : أين من كانت الألسن تهذى بهم لتهذيبهم ، أضحت فُلْك الاختبار تجرى بهم لتجريبهم ، وقام منادى الرحيل يغرى بهم لتغريبهم فباتوا فى القبور لا أنيس لغريبهم .

---

(٧٦٠) وردت هذه الموعظة بالمدهش (ص ٣٦٧) من قوله (إخوانى تفكروا فى الذين رحلوا ... إلى قوله (وهو الواعظ الكافى) .

(٧٦١) نسب صاحب المدهش هذه الأبيات [لأبى العتاهية] [المدهش (ص ٣٦٧)] .

شعر

(٧٦٢)

أعِدْ عَلَى كلِ فِكْرٍ أسلاف[٧٦٣] الأممِ وقف علـى ما فى القبور من الرممِ
ونادهـم أيـن القـوى فيكـم ذو القهرِ أم أينَ الضعيف المهتضم
تفاضلت أقدامهم فوق الثـرى ثم تساوى تحتـه كل قدم .
قبرُ البخيـل والكريم واحـدٌ ما نَفَعَ البخلُ ولا ضرَّ الكـرم
واعجبـاً لغافـل أمامـه هموم ما لايتقـى إذا هجـم
إذا تخطاه على عهدِ الصـبى أو الشباب لم يفتـه فى الهرمِ
أى خليـلين أقامـا أبـدا ما افترقا وأىُّ حبلٍ ما انصـرم

[أين أهـل الوداد الصـافى]

يا إخـوانى : أين أهل الوداد الصافى ، أين قصورهم الذين ضمنت الشعراء مدحها فى القوافى ، ذاقوا طعام الأمل فانتزع من أفواههم يوم المآل لذة النعم الخوافى ، ولقوا فى قبورهم أمرا مرا ، لا تبلغه أوصافى ، وعوى فى ديارهم ذئب السقام بتكرير[٧٦٤] العوافى ، فاعتبر بحالهم فإنه يكف كف الهوى وهو الواعظ الكافى .

يـروى أن ملك[٧٦٥] الموت إذا قبض روح الميت وقف على باب الدار ينظر ماذا يفعل أهله فيرى الناشرة شعرها والـلاطمة خدها والداعية بويلها

---

(٧٦٢) هذه الأبيات وردت بالمدهش (ص ٢٨٥) .
(٧٦٣) (كل فكر) كذا بالأصل وبالمدهش (فكرك) .
(٧٦٤) كذا بالأصل وبالمدهش (بتكذيب) .
(٧٦٥) الناسرة شعرها : أى المفرقة لشعرها الكاشفة له [الوسيط (٩٢١/٢)] .

شعر

أيها الباكى على خلِّهِ نَفَسكَ فابْكِها ولاتَبْكِهِ
إنَّ الذى يبكى على غيرِهِ يُوشِكُ أن يَسْلُكَ فى سِلكِهِ

فيقول لهم يا أهل الدار ما هذا الجزع الذى أراكم به والله ما نقصت من رزقه ، ولا قبضته دون أجله فإن يكن هذا من أجلى ، فإنى عبدٌ مأمور ، وإن يكن تسخطا على ربكم فالسخطُ لايرد المقدور ، ألا وإنَّ لى فيكم عودة ، ثم عودة حتى يرث الله الأرض ومن عليها ، والذى نفسي بيده لو ترون مكانه وتسمعون صوته ، لأذهلكم ذلك عن ميتكم وشغلكم بأنفسكم .

شعر

(٧٦٦)

ما دار دنيا للمقيمِ بدارِ وبها النفوسُ فريسةٌ الأقدارِ
ما بين ليلٍ عاكفٍ ونهارِه نَفسان مرتشفان للأعمار
خطب تضاءلت الخطوب لهوله أخطاره تعلوا على الأخطار

أين[٧٦٧] الأبصار الحدائد ، قبل إحضار الشدائد ، أما استلبت القلائد من ترائب الولائد ، سبق[٧٦٨] الفراق بين فريق الفراقد ، يا موثقا فى جبائل الصائد ، والله ما كذبك الرائد ، يا أعمى البصيرة ولا قائد ، كم تضرب فى حديد بارد ، كم بليت مصباح الحياة على نكباء النكبات .

---

(٧٦٦) وردت هذه الأبيات بالمدهش (ص ٣١٢) .

(٧٦٧) وردت هذه الموعظة بالمدهش (ص ٣٦٨ ، ٣٦٩) من قوله (أين الأبصار الحدائد ... إلى قوله (كم بليت مصباح الحياة على نكباء النكبات) .

(٧٦٨) كذا بالأصل ووردت بالمدهش (فيقع) .

[تنبيــه رجل من غفلتــه]

قال إبراهيم اليسار : كنت أماشى إبراهيم بن أدهم نريد الكوفة إذ عدل فى بعض الطريق إلى قبر فترحم عليه وتأسف ، فقلت : قبر من هذا ؟ ، قال : هذا قبر حميد بن جابر أمير هذه المدائن كلها ، قلت : فما كان شأنه ؟ قال : سُر ذات ليله بشيء من ملاهيه ثم نام فرأى فى منامه رجلا قائما على رأسه بيده كتاب فتناوله منه وفضه ، فإذا فيه مكتوب بالذهب لا تأثرن نارى على نورى ، ولايَغُرَّنك ما ملكت يداك فى دنياك فإنه يصدك عما ادخرته لك فى عقباك فإن الذى أنت فيه جسيم لولا أنه وخيم وهو ملك لولا أنه هلك وهو فرح وسرور لولا أنه يعقبه هم وثبور ، فحذارك أن تستهويك هذه الزخارف فتلحقك بالهالكين ، وسارع إلى جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين ، قال : فانتبه من منامه فزعا مرعوبا وأقبل على ربه وخرج عن ملكه وقصد هذا الجبل يتعبد فيه فسمعت به وأتيته فوجدته خير رجل ، فكنت أختلف إليه حتى مات .

(٧٦٩)

من رأى بعين فكره معاول النقض فى هذه الدار ناح على السكان ، يا هذا مشكاة بدنك فى مهاب قواصف الهلاك ، وزجاجة نفسك فى معرض الانكسار ، فاغتنم زمان الصفو فأيام الوصال قصار ، كم يلبث قنديل الحياة على عواصف الآفات ، أنفاس الحى خطاه إلى أجله ، درجات الفضائل كثيرة المراقى ، وفى الأقدار ضعف ، وفى الزمان قصر ، فمتى تنال الغاية .

[الـزاد على قدر السـفر]

قيـل : وقف جماعة على راهب فقالوا له : إنّـا سائلوك أفمجيبنا أنت ؟ ، فقال : سلوا ولا تكثروا فإن الماضى من العمر ليس بمعاد والطالب حثيث فى طلبه

---

(٧٦٩) وردت هذه الموعظة بالمدهش (ص ٣٦٩) من قوله (من رأى بعين فكره معاول النقض ... إلى قوله (فإن خير الزاد ما أبلغ المحل) .

وهو ذو اجتهاد ، قالوا : أوصنا ، قال : تزودوا على قدر سفركم فإن خير الزاد ما أبلغ المحل .

شـــعر

(٧٨٠)

يا ساهياً لاهياً عما يرادُ بـه آن الرحيلُ وما قدمت مـن زاد
ترجوا البقاءِ صحيحا سالما أبدا هيهات أنت غدا فيما غدا غـادى

[الأيام صحـائف الأعمـار]

(٧٨١)

إخوانى : الأيام صحائف الأعمار فجلدوها أحسن الأعمال ، كم دارس عليك إن الربع دارس ، كم واعظ ناطق وآخر هامس ، كم غمست حبيبا فى البلاء[٧٨٢] كف رامس ، كم طمس وجها صحيحا فى البلاء طامس ، فيا أيها الفطن اللبيب والنقص[٧٨٣] القائس ، أتشترى أخس الخسائس بأنفس النفائس !! غداً ترى لذة لحظة تجنى حرب البسوس وداحس ؟ يا مقترين من التقى بل يا مفالس ، يا منهمكين فى الخطايا ما تنفع الملابس ، اشتروا أنفسكم عن الذنوب تشتروا لها السنادس .

---

(٧٨٠) ورد هذان البيتان فى المدهش (ص ٣٥٣) .

(٧٨١) وردت هذه الموعظة بالمدهش (ص ٣٦٩ ، ٣٧١) من قوله (إخوانى الأيام صحائف الأعمار ... إلى قوله (تشتروا لها السنادس) .

(٧٨٢) كذا بالأصل وبالمدهش (الثرى) والصواب ما ورد بالمدهش .

(٧٨٣) كذا بالأصل وبالمدهش (اليقظ) والصواب ما ورد بالمدهش .

(٧٨٤) (غدا ترى) كذا بالأصل وبالمدهش (أتؤثر) .

قال حبيب العابد : دخلت البصرة فإذا أسواقها مغلقة وسككها خالية فقلت : يا أهل البصرة أعندكم عيد لا أعرفه ؟ ، قالوا : لا ولكن الحسن بن أبى الحسن البصرى فى الجامع يعظ الناس ، قال حبيب العابد : فبادرت إلى مجلسه فوجدته جالسا على نشز من الأرض مرتفع وهو يقول : أيها الناس استعدوا للرحيل فلم يبق من الدنيا إلا القليل ، وخذوا أهبة التحويل ، فليس إلى البقاء من سبيل ، أما علمتهم أنكم على أسِرَّةِ المنايا تحملون ، وإلى البلاء فى دار البلاء عن قريب تسلمون ، وبأعمالكم التى عملتموها تفردون ، وعلى ديان يوم الدين تعرضون ، أمركم بالطاعة فما أطعتم ، ونهاكم عن المعصية فما انتهيتم ، وخوفكم فما خفتم ولا ارعويتم ، وشوَّقكم إلى الجنة فما اشتقتم ، ولا اشتهيتم ، فيا ذا الشيبة المؤذنة باقتراب الأجل ، ما انتظارك ، ويا ذا الشيبة القادرة على اكتساب العمل ما اعتذارك ، ويا أيها المطيع لفيه وهواه المضيع ، فى حظه دنياه من أخراه المقيم على ذنوبه وخطاياه ، ليت شعرى ما عذركم ، إذا أوقفتم بين يديه وما حجتكم إذا قدمتم عليه ، لقد ضلَّ سعيكم وخاب قصدكم فاستغفروا الله العظيم لى ولكم .

شــعر

(٧٨٥)

قل لمن فاخر فى الدنيا وحاما	قتلت قبلك ساما ثم حاما
ندفن الخل وما فى دفننا	بعده شك ولكن نتعاما
إن قدومك يوم توبه	هددت شمس الضحى صارت ظلاما
فانتبه من رقدة النوم وقم	وانف عن عين تماديك المناما

(٧٨٥) هذه الأبيات وردت فى المدهش (ص ٢٤٤) .

[اذكـروا الفنـاء]

(٧٨٦)

إخوانى : لو ذكرتم أنكم تبادون ، ما كنتم إلى المعاصى تبادون ، لقد صوت فيكم الحادون وماكأنكم للخير ترادون ، واعجبا تصادون المواعظ ولا تصادون ، إلى متى تراوحون الذنوب وتغادون ، يا مقيمون وهم حقا غادون ، أتعادون من يقول إنكم تعادون ؟ ، أما سمعتم كيف نادى المنادون ؟ ، كل شيء دون المنى دون ، الدهر خطيب كاف والفكر طبيب شاف .

شـعر

(٧٨٧)

هو الدهر أغنا خَطْبه عن خطابه ... بوعظ شفا ألبابه بلبابـه
فها هو[٧٨٨] لم تسلم حلاوة شهده ... أصاب إليه من مرارة صابه
منـاد أمانيـهِ[٧٨٩] تَعِـزُّ وإنما ... عواقبُـهُ محفوفـةٌ[٧٩٠] بعقابـه
ألم تر من ساس الممالك قادرا ... وسارت ملوكُ الأرضِ تحتَ ركابِهِ
ودانت له الدنيا وكادت تحله ... على شهبها لولا خمود شهابه
لقد أسلمته خبره[٧٩١] وحصونه ... غداة غدا عن كسبه واكتسابه

---

(٧٨٦) وردت هذه الموعظة بالمدهش (ص ٣٧١) ، من قوله (إخوانى لو ذكرتم أنكم تبادون ... إلى قوله (وزليخا الهوى تتلمح العاجل) .

(٧٨٧) وردت هذه الأبيات فى المدهش (ص ٣٧١) .

(٧٨٨) (فها هو) كذا بالأصل وبالمدهش (هيهات) . والصواب ما ورد بالأصل .

(٧٨٩) (مناد أمانيه) كذا بالأصل وبالمدهش (مبيد مباديه) والأفضل ما ورد بالأصل .

(٧٩٠) كذا بالأصل وبالمدهش (مختومة) .

(٧٩١) كذا بالأصل وبالمدهش (حصنه) والراجح أنها (حصنه) .

فلا فضةٌ أنجته عُندَ انقضاضِه ولا ذهب أغناه عند ذهابه
سلا شخصه ورَّاثه بترابه وأسلمه أترابه بترابه

من عرف الستين أنكر نفسه ، من بلغ السبعين اختلفت إليه رسل المنية ، يوسف العقل ينظر إلى العواقب وزليخا الهوى تتلمح العاجل .

قيل :- أن امرأة جاءت إلى رجل من الصالحين فقالت له : أيها العبد الصالح هل لك فى الزواج ؟ ، فقال لها : وما تريدين منى ؟ قالت : لاشيء غير خدمتك أصب الماء على يديك إذا توضأت وأصنع لك طعامك وأغسل ثيابك ليكون لى ذلك ذخيرة عند الله عز وجل فقال لها : وأنا الآخر أشترط عليك أن لاتضاجعينى ، فقالت : لك ذلك ، فتزوج بها قال : فلما كان الليل قام إلى محرابه فصلى ما قدره الله له ثم أخذ مضجعه ونام ، فقامت المرأة ونزعت ثيابها ودخلت معه فى فراشه فلما أحس بها استيقظ وقال لها : أين الشرط الذى شرطناه بيننا فقالت : ياسيدى كل شرط ليس فى كتاب الله ولا فى سنة رسول الله ﷺ فهو باطل ، ثم إنها ألصقت جسدها بجسده ثم قامت عنه ، وقالت : والله ماجئتك لشهوة عرضت ولا للذة خطرت وإنما قصدت أن يمس بدنى بدنك ليكون لى ذلك وقاء من النار .

شعر

إنْ تَشقَ عينى بهم فَقَدْ سَعَدَتْ عين رسولى وفزتُ بالنظرِ
فكلما جاءنى رسولُهم رددتُ شوقاً فى طرفه نظر
رأيت فى طرفه محاسنهم قد أثرت فيه أحسن الأثر
خذ مقلتى يا رسول الله عارية فانظر بها واحتكم على بصرى .

الفصـــل العشـــرون

[يا من غــره امتداد الأمــل]

يا مــن غرَّهُ امتداد الأمل وطوله وطمع فى البقاء وقد دنا رحيله ، اسمع وافهم ماسأذكره وأقوله : قال الله جل جلاله وصدق قيله فيما ورد على تنبيه تنزيله ﴿ **وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله** ﴾(٧٩٢) .

« ســؤال الله تعالى لعبده يوم القيامــة »

يروى عن رسول الله ﷺ أنه قال لأصحابه :

« أتدرون كيف يحاسب الله أهل التوحيد ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : ينادى مناد من قبل العرش فلا يسمع أحد ذلك الصوت إلا وتضطرب فرائصه ، فتقول الملائكة لذلك الشخص أنت المطلوب هلم إلى العرض على خالق السموات والأرض ، قال : فتشخص(٧٩٣) الخلق بأبصارهم تجاه العرش ، ويوقف ذلك الشخص بين يدى الله تعالى فيلقى الله تعالى عليه من نوره حتى يستره عن المخلوقين ، ويقول له : عبدى أما ذكرت موقفك بين يدى فيقول : بلى فيقول الله عز وجل : عبدى أما سمعت بنقمتى وعذابى لمن عصانى ، فيقول : بلى فيقول الله عز وجل : فيا عبدى لم عصيتنى ؟ ، فيقول : يارب قد كان ذلك فيقول الله عز وجل : ياعبدى فما ظنك اليوم بى؟ فيقول: يارب [ظنى بك](*) أن تعفو عني، فيقول الله عز وجل : تحققت أنى أعفو عنك ؟ فيقول : نعم يارب لأنك رأيتنى فى دار الدنيا على المعصية فسترتها على ، فيقول الله عز وجل : قد عفوت عنك وغفرت لك وحققت ظنك بى ، خذ كتابك بيمينك فما كان من حسنة فقد

---

(٧٩٢) سورة التوبة - الآية : ١٠٥ .

(٧٩٣) فتشخص : أى فتحوا أعينهم ولم يطرفوها منزعجين . [الوسيط (٤٧٥/١)] .

(*) بالأصل (ظنك) والصواب ما أثبتناه .

قبلتها منك ولك عشر أمثالها وما كان من سيئة قد غفرتها لك وأنا الجواد الكريم » .

[القــوى فى التقــوى]

(٧٩٤)

يا معاشر الشباب انتبهوا القوى فى التقوى ، ولا تغرنكم السلامة فمع الخواطىء سهم صائب ، الشباب باكورة الحياة والشيب رداء الردى إذا قرع المرء باب الكهولة فقد استأذن على البلاء .

كان بعض الأشياخ يقول : إلهى من عادة الملوك إذا كبر عندهم مملوك أعتقوه وقد كبرت فاعتقنى .

شــعر

(٧٩٥)

لما أتونــا والشيبُ شافعهـــم وقـد توالى عليهم المهــل(٧٩٦)
قلنا لتلك الصحائف انقلـبى بيضاء فإن الشيوخ قد عقلــوا

« عفــى الله عن عاص لحسن ظنه بــه »

وقيــل :– يؤتى بشيخ يوم القيامة لم يعمل حسنة قط فيقول الله عز وجل له : ما الذى أعددت للقائى ، فيقول الشيخ : حسن ظنى بك يارب فيقول الله عز وجل : أنا عند حسن ظن عبدى بى ، ثم يقول الله عز وجل يا ملائكتى وعزتى وجلالى لم يحسن ظنه بى ولكن أستحى أن أكذب ذو شيبة شابت فى الإسلام ، وأنا ذو رحمة واسعة اذهبوا به إلى الجنة .

---

(٧٩٤) وردت هذه الموعظة بالمدهش (ص ٢٧٢ ، ٢٧١) ، من قوله (يامعاشر الشباب انتبهوا ... إلى قوله (وقد كبرت فاعتقن) .
(٧٩٥) ورد هذان البيتان فى المدهش (ص ٢٧٢) .
(٧٩٦) كذا بالأصل وبالمدهش (الخجل) .

شعر

وإذا الكريم أتيته بخديعةٍ ورأيته فيما أردت يسارعُ
فاعلم بأنكَ لم تخادع جاهلا لكنه كرمُ الكريم يخادعُ[٧٩٧]

(٧٩٨)

ياقومنا : الفوائد فوايت من زرع بذر العمل فى أرجاء الرجاء ولم تقع عليه شمس الحذر جاءت ثماره فجة ، الجاهل ينام على فراش الأمن فيكثر نومه ، فتكثر أحلام أمانيه ، والعالم يضطجع على مهاد الخوف وحارس اليقظة يوقظه ، ومن فهم معنى الجود[٧٩٩] ، علم عزة النجاة ، ما ترى عين المحب الا المحبوب ، « فبى يسمع وبى يبصر » .

شعر

(٨٠٠)

أنتَ عينُ العينِ إذ نظرتْ ولسانُ الذكر إن ذكرا
أنت سَمْعى إن سمعتَ به أنت سرُ السر إنْ خطرا
ما بقى لى قطُ جارحة كلها يا قاتلى أسرا .

ياهذا[٨٠١] : إذا تمكنت قدم المريد وطاب له ارتضاع [ثدى][٨٠٢] الوصل نزل ضيف ﴿ ولَنَبْلُوَنَّكم ﴾[٨٠٣] .

---

(٧٩٧) يخادع : أى يظهر أنه قد خُدع . [الوسيط (٢٢١/١)] .

(٧٩٨) وردت بالمدهش (ص ٢٧٢) ، والجملة الأخيرة فى المدهش (ص ٣٦٥) . من قوله ياقومنا الفوائد فوايت ... إلى قوله (ماترى عين المحب إلا المحبوب (فبى يسمع وبى يبصر) .

(٧٩٩) كذا بالأصل وبالمدهش (الوجود) .

(٨٠٠) هذه الأبيات فى المدهش (ص ٣٦٥) .

(٨٠١) وردت هذه الموعظة بالمدهش (ص ٣٧٤) من قوله (يا هذا إذا تمكنت قدم المريد .. إلى قوله (ارتضاع ثدى الوصل) .

(٨٠٢) مابين المعكوفتين سقط استدركناه من المدهش .

(٨٠٣) سورة البقرة – الآية : ١٠٥ .

(٨٠٤)

إنَّ هواكَ الــذى بِقَــلْبِــى صيْــرنى سامعــاً مطيعــاً
أخذتَ قلبى وغمض عينـى سـلبتنـى القـلب والهجوعــا
فذر فــؤادى وخـذ رقـادى فقـال لا بل همــا جميعــا

قال سعيد المقدسى وكان من الأولياء : خرجت من المسجد الأقصى طالبا للسياحة ، فلما صرت بين الجبال رأيت امرأة وعليها ثوب من شعر وخمار من صوف ، فظننت أنها راهبة ، فقلت لها : أنت مسلمة قالت : يا سعيد ما هذا الكلام ، فقلت لها : من عرفك اسمى ، قالت : الذى حجب عنك حقيقة أمرى ، فعلمت أنها ولية لله تعالى فقلت لها ما الذى أخرجك إلى هذا المكان قالت : خوف القطيعة والأحزان ثم رفعت طرفها إلى السماء وقالت :

يا سرورى إذا عدمتُ سُـرورى أنت فى سر خاطرى وضمـيرى
أنتَ أنَت الرجــاءُ جد لى بعفوٍ وأجرنى من حر نار السـعير

ثم قالت لا اعتراض عليك ، اللهم إن كان عذابى من رضاك فعذب ، وسقطت إلى الأرض فحركتها فإذا هى قد ماتت رحمة الله تعالى عليها .

شــعر

ظن عداة الخيـفِ أن قد سـلما لما رمى بينهما وما أجـرى دمــا
فكـاد يسـتقـرى حشاه فإذا فـؤاده من بيتها قد عدمـا
لم يدر من أين يصـيب قلبه وإنما الرامــى دار كيف رما

(٨٠٥)

وأسفا ذهب أهل التحقيق وبقى بنيات الطريق ، وخلت البقاع من الأحباب ، وتبدلت العمارة بالخراب .

---

(٨٠٤) وردت هذه الأبيات فى المدهش (ص ٣٧٤) .

(٨٠٥) وردت هذه الموعظة بنصها بالمدهش (ص ٣٩٩) من قوله (وأسفاً ذهب) ... إلى قوله (... بالخراب) .

قيل لعون بن عبدالله[٨٠٦] : مالك لا تجلس مع إخوانك فقال : أخاف بعضنا بعضا فنتباغض .

(٨٠٧)

يا معاشـر العلماء قد كتبتم ودرستم ثم إن طلبتم[٨٠٨] فى بيت العمل فلستم ثم لو ناقشكم الإخلاص فلستم[٨٠٩] .

---

(٨٠٦) عون بن عبدالله بن عتبه بن مسعود الهذلى ، خطيب ، راوية ، ناسب ، شاعر ، كان من آدب أهل الكوفة فاشتهر فيها بالعبادة والقراءة ، وكان يقول بالإرجاء ثم رجع وخرج مع ابن الأشعث ثم هرب وصحب عمر بن عبدالعزيز فى خلافته (... – ١١٥هـ) [الأعلام (٩٨/٥)] .

(٨٠٧) وردت هذه الموعظة بتغيير فى بعض ألفاظها بالمدهش (ص ٣٩٨) من قوله (يا معاشر العلماء ... إلى قوله (لو ناقشكم الإخلاص فلستم) .

(٨٠٨) كذا بالأصل وردت بالمدهش (ص ٣٩٨) بلفظ (طلبكم العلم) .

(٨٠٩) فلستم : من الإفلاس ، يقال فلس من الشىء أى خلا منه وتجرد [الوسيط (٧٠٠/٢)] .

« حـــكاية أمة من أهـل الله »

قال أبوسليمان الداراني[810] : سمعت أبا الربيع يقول : كنت مقيما ببيت المقدس أجمع المباجات[811] من الجبال وكان لى إخوان بالرملة أزورهم فى كل عام مرتين فلما كان فى بعض السنين خرجت لزيارتهم فلما صرت بين الجبال والأودية على ثلاثة أميال من بيت المقدس سمعت صوتا محزونا وهو يقول : ما أبعد الطريق على من لم تكن أنت دليله وأوحشها على من لم تكن أنت أنيسه فقفوت الصوت واتبعت أثره ، وإذا أنا بجارية عليها مدرعة من شعر وخمار من صوف ، وفى رجليها نعلين من ليف ، فقلت لها : سبحان الله مثلك فى هذا المكان بغير محرم ، فقالت : ما أحب أن أشتغل بمن يشغلنى عن طاعة ربى ، قال : فرق لها قلبى وكان معى دريهمات فقسمتها شطرين وناولتها أحدهما فلما رأت لمعان الدراهم ، تبسمت وقالت : يا أبا الربيع من أين لك هذه الدراهم قلت لها : إنى أجمع المباجات من جبال بيت المقدس وأبيعها فى المدينة فقالت : كسب حلال لرجل ضعيف ، فقلت لها : كيف تصفينى بالضعف وأنا قوى البدن ؟ قالت : أنت ضعيف اليقين لا ضعيف البدن قلت : وكيف السبيل إلى القوة ؟ قالت : تضع ميزان القسط على جوارحك حتى يخرج منها كل شىء لغير الله ويبقى القلب صافيا ، ويطلع الحق عليه فلا يدرى فيه مذكورا ولا محبوبا سواه ، فإذا كنت كذلك نوديت قف بالباب فقد كتبناك من الأحباب وأمرنا الخزان لا يعصون لك أمرا ، قلت لها : فما بيان ذلك ، فقبضت بكفها فى الهواء ثم فتحتها ووضعت فى كفى دنانير فقلت سبحان الله ما أحسنه من كف ، فسمعت قائلا يقول : من

---

(٨١٠) أبوسليمان الدارانى : عبدالرحمن بن أحمد بن عطية العنسى المذحجى ، أبوسليمان : زاهد مشهور من أهل داريا (بغوطة دمشق رحل إلى بغداد وأقام بها مدة ثم عاد إلى الشام وتوفى فى بلده ، وكان من كبار المتصوفين ، له أخبار فى الزهد (... - ١٥٠هـ) [الأعلام (٢٩٣/٣)] .

(٨١١) المباجات : الفصيد الذى كانت العرب تأكله فى الأزمة . [اللسان (٢١٠/٢ - بجج)] ط. دار صادر .

ع مولاه أعطاه ما تمناه ثم قالت : يكفيك أم أزيدك ، فقلت لها : ومن يشبع من ... هو من عند الله فضربت بكفها الأرض ثم فتحتها فإذا هى مملوءة دنانير ثم قالت : يا ... ربيع فى ماذا جئت من بيت المقدس ؟ قلت : فى حاجة عرضت لى بالرملة ، فقالت : هل سألت قاضى الحاجات أن يقضيها لك وأنت مقيم ببيت المقدس ؟ قلت : ومن لى بذلك ؟ ، فعند ذلك رفعت طرفها إلى السماء وقالت : يا من البعيد عليه قريب قرب له البعيد ، ثم قالت لى : ارفع رأسك فهذه حيطان الرملة ، فقلت : سبحان الله بينى وبين الرملة ثمانية عشر ميلا للمجد فى السير وأنا الساعة خرجت من بيت المقدس ، قالت : وما يكون هذا فى جنب قدرة الله تعالى ، ثم ولت ، فتبعتها فقالت : إليك عنى لا تشغلنى ، قلت لها : فهل من موعد قالت : الموعد بينى وبينك الموقف تحت لواء محمد ﷺ .

شعر

هذى ديارهم وهذا مأواهم ... فاحْبِسْ ورد وشرقت إن لم تسقنى

رحل والله أولئك السادة ، وبقى قرنا المهاد والوسادة ، أولئك الباكون إذا ضحك الغافلون والتاركون إذا أحب الجاهلون ، والساهرون إذا اضطجع النائمون ، قطعوا مفاوز الدنيا وعقبات الآخرة فوجوههم بالنعيم ناضرة إلى ربها ناظرة ، إذا تليت أوصاف محبوبهم قاموا إليه ، وإذا دعاهم داعى الشوق أجابوا مسرعين .

« أوصاف ذى النون فى بعض نعيم الجنة »

قيل : وعظ ذو النون المصرى يوما فأتت إليه امرأة يقال لها ريحانة(٨١٢) فقالت له : يا مصرى صف لى الجنة وما أعد الله تعالى فيها لأوليائه قال : يا هذه إن الجنة ما لاتحيط به معرفة عارف ، ولا يأتى عليه وصف واصف لكن سأذكر

---

(٨١٢) ريحانة : لعلها ريحانة المجنونة وهى من عابدات أهل الأبلة رضى الله عنهم [صفة الصفوة (٥٧/٤)]

لك بعض ما أعد الله تعالى فيها لولى من أولياء الله عز وجل ثم قال ذو النون المصرى : إن فى الجنة مرجا[٨١٣] أفيح[٨١٤] من الفضة البيضاء فى وسط المرج قصر من الذهب الأحمر فى وسط القصر قبة من الياقوت الأحمر فى وسط القبة سرير من الذهب مرصع بالجوهر يخرج من تحت السرير أربعة أنهار ، نهر من ماء غير آسن ، ونهر من لبن لم يتغير طعمه ونهر من خمر لذة للشاربين ، ونهر من عسل مصفى ، وعلى السرير فرش من السندس والإستبرق ، وعلى الفرش جارية لو أطلعت معصمها فى ليلة مظلمة لأضاءت الدنيا على من فيها وإلى جانبها غلام أبيض أمرد أغيد له طرف أحور وخد أزهر ووجه أنور ودلال مليح ولسان فصيح على طول آدم وحسن يوسف وسن عيسى وخلق محمد ﷺ ، فيا حسنه فى خلوته مع كعوب لعوب وقد هبت الأرياح وعاشت الأرواح وتضاعف الحبور[٨١٥] وداوم السرور واطمأنوا فى جوار الغفور ، قال : فلما سمعت ريحانة ما وصفه ذو النون قالت : يا مصرى يكفيك إلا قتلتنى ثم شهقت شهقة خرجت فيها روحها .

شعر

أبى الحبُ أن يَخفى وقد ما كتمته ... فأصبح عندى قد أناخ وطبنا[٨١٦]
فلما أسرى عزف النسيم بذكركم ... سرت نحوه روحى إلى معهد الصبا

---

(٨١٣) مرجاً : أرض واسعة ذات نبات . [اللسان (٣٦٤/٢ - مرج)] ط. دار صادر .

(٨١٤) أفيح : واسعة كثيرة الاتساع . [اللسان (٥٥١/٢ - فيح)] ط. دار صادر .

(٨١٥) الحبور : السرور والنعمة . [اللسان (١٥٨/٤ - حبر)] ط. دار صادر .

(٨١٦) طنبا : أى أطال رجلاه فى استرخاء [اللسان (٥٦١/١ - طنب)] ط. دار صادر .

الفصـــل الحادى والعشـرون

[يا من بين يديـه الأهوال والعجائـب]

(٨١٧)

اسمع : يا من بين يديه الأهوال والعجائب ، وقدما أعدت[٨١٨] له النوائب أما سهم المصائب كل يوم صائب ، أحاضر تحمل من عتبنا كلا ؟ بل أنت غائب، أين الزاد[٨١٩] يا مسافر، أنت درع التقوى يا سافر ، لقد أنشب الموت فيك الأظافر ، ولاشك أنه الظافر ، هذه النبل فأين المغافر[٨٢٠] يا مبارزاً بالقبيح ، أمؤمن أنت أم كافر ؟

شـــعر

(٨٢١)

فكَمْ مِنْ عِبْرةٍ أصبحت فيها ... يلين لها الحديد وأنت قاسى

إلى كَمْ والمعادُ إلى قريبٍ ... تذكر بالمعاد وأنت ناسى

---

(٨١٧) وردت هذه الموعظة فى المدهش (ص ٢٦٦) بتغير فى بعض ألفاظها (من قوله « يا من بين يديه الأهوال ... إلى قوله « بل أنت غائب ») .

(٨١٨) (أعدت له) كذا بالأصل وبالمدهش (نوى له الدهر) وما بالمدهش هو الأصوب .

(٨١٩) هذه الموعظة وردت بالمدهش بنفس.نصها ص ٣٧٥ ، من قوله (أين الزاد يا مسافر ... إلى قوله « أمؤمن أنت أم كافر ») .

(٨٢٠) المغافر : زرد يصنع وينسج من الدروع على قدر الرأس يلبس تحت القلنسوة .
[اللسان (٢٦/٥ - غفر)] ط. دار صادر .

(٨٢١) ورد هذان البيتان بالمدهش (ص ٣٤٧) .

(٨٢٢)

إن قمت سدلت من ثياب كبرك ، وإن أقمت سكرت من شراب خمرك ، تقف فى الصلاة بغير خضوع ، وتقرأ آية التخويف وما ثم خشوع ، وتتملق الدنيا بقلبك ، وتعتذر بلفظ مصنوع . وتفرح بدخول العام ولعلك لاتبلغ أسبوع .

شــعر

[لأبى العتاهية](٨٢٣)

أَلَا أيها الفانى وقد حانَ حينُهُ ... أَتطمع أن تبقى ولست هنـاك
تسمَّعْ ودعْ من أفسـد الغى سمعه ... كأنى بداعٍ قد أتى فدعـاك
أراكَ وما ينْفَك تَهْدَى جنازة ... ويُوشِكُ أن يهدى هديت كذاكا
ستَمْضـى ويبقى ما تراه كَما تَرَى ... وينساك من خلفته هو ذاكا
تَمُوتَ كما ماتَ الَّذينَ نسيتهم ... وتَنْسى ، ويهوى الحىُّ بعد هواك

(٨٢٢) هذه الموعظة تابعة للموعظة السابقة (رقم ٨١٩) الوارده فى المدهش (ص ٣٧٥) ، من قوله (إن قمت سدلت إلى قوله ... ولعلك تبلغ الأسبوع) مع بعض الاختصار غير المخل لبعض جملها .

(٨٢٣) نسب صاحب المدهش هذه الأبيات (لأبى العتاهية) [المدهش ص٣٠٠] .

ديوان شعره ص ٢٦٥ - ٢٦٦ . [هامش المدهش ٣٠٠].

[يا نائماً عن صلاته]

اسمع يا نائما عن صلاته كم هذا الهجوع كيف تبقى مع كسر الأصول ضعاف الفروع ، إصرارك كالصحيحين وإقلاعك حديث موضوع ، يا هذا إن كان قد أصابك داء داود ، فنَح نَوْحَ [نوح][825] تحيا بحياة يحيى .

« حكاية عن عاصى مسرف »

(٨٢٦)

قال إبان عفا الله تعالى عنه :– خرجت يوما من عند أنس بن مالك[827] نتمشى فلما كنت بسوق البصرة إذا أنا بأربعة من الرجال يحملون جنازة فقلت : واعجبا أسواق البصرة عامرة وطرقها مشتكة[828] بالناس ، ولم يصحب هذه الجناة غيرُ أربعة من الرجال لأكونن خامسهم ، فسرت معهم حتى أتوا إلى الجبانة

---

(٢٨٤) هذه الموعظة أيضا جزء من الموعظة السابقة (رقم ٨١٩) من قوله (ياناثماً عن صلاحه ... إلى قوله حديث موضوع) . أما العبارة الاخيرة من قوله (يا هذا إن كان قد اصابك ... إلى قوله تحيا بحياة يحيى) فقد وردت أيضاً فى نفس الموعظة ص٣٧٧ .

(٨٢٥) ما بين المعكوفتين سقط أثبتناه من المدهش ص ١٧٧ .

(٨٢٦) هو إبان بن صالح بن عمير بن عبيد القرشي مولاهم ، وقد روى عن أنس وغيره ولد سنة ٦٠ هـ ومات بعسقلان سنة بضع عشرة ومائة هـ [تهذيب التهذيب (٩٤/١)] .

(٨٢٧) أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم النجارى الخزرجى الأنصارى ، أبوثمامة ، أبوحمزة ، صاحب رسول الله ﷺ وخادمه من رواة الحديث مولده بالمدينة وأسلم صغيراً ، رحل إلى دمشق ومنها إلى البصرة فمات فيها وهو آخر من مات بالبصرة من الصحابة (١٠ق هـ – ٩٣هـ) .

[الأعلام (٢٤/٢)]

(٨٢٨) مشتكة : اشتك الشيء : شكه أو ضم أجزاءه ، وشك القوم بيوتهم ونحوها : جعلوها مصطفة متقاربة على نظم واحد .

[الوسيط (٤٩٠/١ – شك ، اشتك)]

فقلت لهم : ياقوم أيكم ولى هذا الميت فليصل عليه فقالوا : كلنا فيه سواء فتقدم أنت فصلِ عليه ، فصليت عليه وواريناه التراب ، فقلت لهم : بالله عليكم ألا ما صدقتمونى بخبر هذا الميت فقالوا : ما منا من يعلم له خبراً غير أن هذه المرأة اكترتنا(٨٢٩) لحمله ، فالتفت إليها وإذا أنا بامرأة مقبلة فجاءت حتى جلست عند القبر ساعة ثم قامت وهى تضحك فقلت لها : يالله العجب امرأة تضحك على قبر ميتها ثم قلت لها : بالله عليك ألا ما أخبرتينى مم ضحكت ؟ فقالت لى : يا هذا ما لك وما لا يعنيك ؟ ، قلت لها : أخبرينى فإنى إبان خادم أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ ، فقالت : يا إبان لو لم تكن ذاك ما أخبرتك بحديث أبدا ، اعلم أن هذا الميت ولدى ، وكان مسرفا على نفسه ، فلما كان البارحة اشتد به الأمر فنادى يا أماه : فاجبته فقال : سألتك بالله إلا ما فعلتى بى ما آمرك به ، فقلت له : قل ما بدا لك فقال : إذا أنا مت فلا تعلمى بى أحد جيرانى وخذى خاتمى هذا وانقشى عليه لا إله إلا الله محمد رسول الله واجعليه بين جلدى وكفنى فإذا وضعت فى قبرى فضعى يدك على ظفيرة شعر وارفعيها إلى الله واضرعى إليه أن يغفر لى ، وقولى : إلهى قد رضيت عنه فارض عنه ، ثم قال : يا أماه قومى وضعى رجلك اليمنى على حر وجهى وقولى هذا جزاء من عصى الله عز وجل ، فقمت والله يا إبان ووضعت رجلى هذه المشومة على حر وجهه وجعلت أنادى هذا جزاء من عصى الله عز وجل ، فما رفعتها من على وجهه حتى مات فاكتريت هؤلاء الأربعة فغسلوه وكفنوه وحملوه إلى قبره وواروه كما رأيت ، فلما انصرفوا جعلت شعرى فى يدى كما قال ورفعته إلى الله عز وجل وقلت : يا أرحم الراحمين يا أكرم الأكرمين يا خير منزول به ، قد علمت منا السر والعلن ، واطلعت على ما ظهر وبطن وقد توسل ولدى العاصى المذنب الخاطىء إليك برضى والدته المسكينة الذليلة وقد رضيت عنه ، فارض عنه ، فسمعت صوتا من داخل القبر يقول : انصرفى يا أماه فقد قدمت على ربك كريم وقد غفر لى ذنوبى ، فهذا الذى أضحكنى ثم ولت وهى مسرورة .

---

(٨٢٩) اكترتنا : بمعنى استأجرتنا . [الوسيط (٧٨٥/٢)]

[اعرفــوا الدنيــا]

(٨٣٠)

إخــواني : اعرفوا الدنيا وقد سلمتم ، ثم اعملوا فيها بما علمتم ، أما نفعكم التجارب ، أما ترون الدنيا كيف تحارب ، أما سيف الهلاك في يد الضارب ، تالله لقد جلا اليقين ظلام الغياهب .

شــعر

(٨٣١)

ما بَالُنا نَتَعَامَى عن مَصَائِرِنـا ... نَنْسى بِغَفْلَتِنَا من لَيْسَ يَنْسَـانا
نزداد حرصاً وهذا الدهر يزجُرنـا ... كأن زاجرنا بالحرصِ أغرانـا
أين الملوك وأبناء الملوك ومن ... كانت تخرُّ له الأذقَانُ إذعانا
صاحت بهم حادثات الدهرِ فَانقلبوا ... مُستبدلين من الأوطـانِ أوطانـا
خلوا مدائنَ كان العز يَفرشُـها ... واسكنوا حفرا غبراً وقِيْعَانـا
ياراكضا في ميادين الهوى مرحـا ... ورافلاً في ثياب الغي نشـوانا
مضى الزمانُ وولّى العمرُ في لعبٍ ... يكفِيكَ ما قد مضى يكفيك ما كانا

يا هـذا(٨٣٢) مزق أملك فالعمر قصير ، وحقق عملك فالناقد بصير ، وزِدْ زَادَ سفرك فالطريقُ بعيد ، وردد نظر(٨٣٣) مكرك فالحسابُ شديد ، صِحِ بالقلب لعله يرعوى ، سلمه إلى الرائض عساه يستوى .

---

(٨٣٠) وردت هذه الموعظة في المدهش (ص ٣٨٦) مع بعض الاختصار في جملها ، وأيضاً هناك بعض الاختلاف غير المخل في بعض ألفاظها (من قوله « اعرفوا الدنيا ... إلى قوله « ظلام الغياهب ») .

(٨٣١) وردت هذه الأبيات في المدهش (ص ٣٧٥) .

(٨٣٢) هذه الموعظة وردت في المدهش (ص ٣٧٦) ، وهي جزء من موعظة من قوله (مزق أملك ... إلى قوله (عساه يستوى) وردت بنفس نصها .

قيل : أوحى[٨٣٤] الله عز وجل إلى نبى من أنبياء بنى إسرائيل : بعينى ما يتحمل المتحملون من أجلى ، ومايُكابدون فى طلب مرضاتى ، فكيف بهم إذا صاروا إلى جوارى ، واستنزلتهم للجلوس عندى ، وسفرت لهم عن وجهى ، أيظنون أنى أنسى لهم عملا ، كيف وأنا الجواد الكريم أجود على المولّين عنى ، فكيف لا أجود على المقبلين علىَّ ، ولو رأوا عبادى كيف استوهبهم ممن عدوا عليه بالظلم فى دار الدنيا ، ثم أوجب على نفسى لمن وهبهم ذلك النعيم المقيم ، لكثرة تعجبهم من ذلك واعجب أطار حكم حديث العذيب وأنتم وراء النهر .

(٨٣٥)

يا هــذا اخلّ بنفسك فى بيت الفكر ، واعذ لها فى الهوى فإن لم يكن[٨٣٦] فاخرج بها إلى عسكر المقابر فإن لم ترعوى فاضربها بسوط الجوع واحبسها فى سجن العزلة فالمخالطة نهاية .

شــعر

(٨٣٧)

سهر [العيون][٨٣٨] لغير وصلِكَ باطلٌ[٨٣٩] وبُكاؤهن لغيرِ وصلِكَ ضائعُ[٨٤٠]

---

(٨٣٤) أخرجه ابن أبى الدنيا فى حسن الظن (ص ٨٠) رقم ٩٠ ، وقال محققه إسناده معضل وهو من أقسام الضعيف .

(٨٣٥) هذا جزء من موعظة وردت فى المدهش (ص ٣٧٩) من قوله (يا هذا اخل بنفسك ... إلى قوله ... فالمخالطة نهاية) مع تغيير فى بعض ألفاظها .

(٨٣٦) كذا بالأصل وبالمدهش (تلن) وكلاهما صواب .

(٨٣٧) ورد هذا البيت فى المدهش (ص ٣٧٦) .

(٨٣٨) ما بين المعكوفتين سقط أثبتناه من المدهش .

(٨٣٩) كذا بالأصل وبالمدهش (ضائع) .

(٨٤٠) كذا بالأصل وبالمدهش (باطل) .

« حـــكاية راهـــب »

يـروى عن أويس القرنى[٨٤١] : أنه قال : مررت فى بعض سياحتى براهب فقلت له : يا راهب ما أقل درجة يرقاها المريد ، قال : رد المظالم وخفة الظهر من التبعات فإنه لايصعد للعبد عمل وعليه تبعة أو مظلمة ، ثم قال : سبحانك ، عجبا للخلائق كيف أرادوا بك بدلا وعجبا للقلوب كيف استأنست بسواك ، إلهى نظرت فى محصول أمرى فلم أجد دليلا عليك إلا أنت فلا أسأل غيرك ، إلهى آنست أولياءك بصرف هممهم إليك وخصصتهم بكفاية التوكل عليك ، فشاهدوك بضمائرهم باطلاعك على سرائرهم ، إلهى فانقلنى من ضيق الوحشة منك إلى سعة الأنس بك .

شـــعر

[المهيار][٨٤٢]

أجارتنا بالغور والركبُ متهم ... أيعلم خال كيف بات المتيم ؟
تناوءن يوم البين عنا وخلفوا[٨٤٣] ... قلوباً أبت أن تعرف الصبر عنهم

(٨٤١) أويس القرنى : هو أويس بن عامر بن جزء بن مالك القرنى ، من بنى قرن بن ردمان بن ناجية بن مراد : أحد العباد النساك المقدمين ، من سادات التابعين ، أصله من اليمن ، يسكن القفار والرمال ، وأدرك حياة النبى ﷺ ولم يره ، سكن الكوفة ، وشهد موقعة صفين مع على ويرجح أنه قُتل فيها (... - ٣٧هـ) [الأعلام (٣٢/٢)] .

(٨٤٢) نسب صاحب المدهش هذه الأبيات (للمهيار) [المدهش (ص ٣٧٧)] .
ديوان شعره (٣٤٤/٣ - ٣٤٧) [هامش المدهش (ص ٣٧٧)] .

(٨٤٣) ورد هذا الشطر من البيت هكذا (بنا أنتم من ظاعنين وخلفوا) [المدهش (ص ٣٧٧)] .

(٨٤٤)

كان عمر بن عبدالعزيز وفتح الموصلى يبكيان الدم ، وقليل فى جنب ما نطق به لسان الوعيد .

[أهــل الجنة وأهل النــار]

قيــل : إذا كان يوم القيامة واستقر أهل الجنة فى الجنة وأهل النار فى النار – أعاذنا الله تعالى منها – نادى أهلُ النار : يا أهل الجنة يا معشر الآباء والأمهات والإخوة والأخوات إنا أخرجنا من الدنيا عطاشا ودخلنا النار عطاشا فأفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله ، فيقول لهم مالك كم تستغيثون فلا تغاثون ، اخسئوا فإنكم ماكثون ، قال : فعند ذلك يبكون الدموع حتى تفنى ثم يبكون القيح حتى يفنى ، فتقول لهم الزبانية(٨٤٥) : يا أشقياء تركتم البكاء فى الدار التى يرحم فيها من بكى وبكيتم فى دار لا ينفع فيها البكاء .

شــعر

(٨٤٦)

أَتَتْرُكُ من تحبُ وأنتَ جارٌ ... وتطلبهَـمْ وَقَـدْ بَعُـدَ المزارُ
وتبكـى بعـد نأيهــم اشتياقـا ... وتسأل فى المنازل أين سـاروا
تركت سؤالهم وهم حضور ... وترجـوا أنْ تخبِّـرك الديــار
فنفسك لُمْ ولا تَلُمِ الخطايا(٨٤٧) ... ومت كمداً فليس لك اعتذار

---

(٨٤٤) ورد هذا الأثر بنفس نصه فى المدهش (ص ٣٧٧) ، من قوله (كان عمر ... إلى قوله : لسان الوعيد) .

(٨٤٥) الزبانية : ملائكة يدفعون أهل النار إليها . [الوسيط (٣٨٨/١ ، ٣٨٩)] .

(٨٤٦) وردت هذه الأبيات فى المدهش (ص ٢٩٣) .

(٨٤٧) كذا بالأصل ووردت بالمدهش (المطايا) .

(٨٤٨)

يا هذا : عاتب نفسك على تقصيرها ، وحاسبها على تخليطها ، حدثها بما ينفعها[٨٤٩] وخبرها ، واشر عليها بمصلحتها ودبرها وقل لها بلسان الزجر :

(٨٥٠)

استعدِّى يا نفسُ للموتِ واسعى ... لنجـاةٍ فالحـازمُ المستعـدُ
قد علمنا[٨٥١] بأنَّه لَيْسَ للحـى ... خلودٌ ولا من الموتِ بـدُ
أىُّ ملك فى الأرض وأىُّ حظ ... لا مرىءٍ حظُهُ من الأرضِ لحدُ
كيف لا مرىءٍ لذاذةَ عيشٍ[٨٥٢] ... وعليه الأنفاس فيها تعد .

(٨٥٣)

يا هذا : إذا خلى الفكر باليقين ثارت عجاجة الدمع ، فإذا قرع الحزن القلب استحالت الدموع دما .

---

(٨٤٨) هذه الموعظة مقدمة موعظة وردت فى المدهش (ص ٣٧٩) مع تغيير فى لفظ واحد سنذكره .

وقد وردت من قوله (ياهذا عاتب نفسك)... إلى قوله (ودبرها) .

(٨٤٩) كذا بالأصل ووردت بالمدهش (بين يديها) .

(٨٥٠) وردت هذه الأبيات فى المدهش (ص ٣٧٩) .

(٨٥١) كذا بالأصل وبالمدهش (تبينت) وكلاهما صواب .

(٨٥٢) ورد الشطر الأول من هذا البيت فى المدهش هكذا (كيف يهوى امرؤ لذاذة أيام) .

(٨٥٣) هذه الموعظة بنصها وردت كجزء من موعظة بالمدهش (ص ٣٧٧) من قوله (يا هذا إذا خلى ... إلى قوله : استحالت الدموع دماً) .

شعر

[المهيار][854]

ولما دَنى[855] التوديعُ ممن أحبهُ[856] ولم يبق إلا ساعة[857] تتغنمُ
بكيت على الوادى فحرمت ماؤهُ وكيف يحلُ الماءُ واكثره دمُ ؟

يا منقطعين عن الأحباب تعالوا نمشي رفقة فمجمعنا مأتم الأسى موعدنا مقابر الأسف .

شعر

(859)

والذى بالبينِ والبعدِ بلانى ما تذكرت[860] الحمى إلاَّ شجانى
حبذا أهل الحمى من ساكنٍ شفنى الشوقُ إليهم وبرانى
كلما رمتُ سلواً عنهم جَذَبَ الشوقُ إليهم بعنانى
أحسد الطيرَ إذا طارت إلى أرضِهم أو أقلعتْ للطيرانِ
أتمنى أننى أصحبها نحوهم لو أننى أعطى الأمانى

---

(854) نسب صاحب المدهش هذين البيتين (للمهيار) [المدهش (ص 377)] .

ديوان شعره : (3/344 - 347) .

(855) كذا بالأصل وبالمدهش (انجلى) والصواب ما ورد بالأصل .

(856) (ممن أحبه) كذا بالأصل ووردت بالمدهش (عما حذرته) .

(857) كذا بالأصل وبالمدهش (نظرة) .

(858) وردت هذه الموعظة أيضا تالية للموعظة السابقة فى المدهش (ص 277) ، من قوله (يا منقطعين ... إلى قوله (مقابر الأسف) .

(856) وردت هذه الأبيات فى المدهش (ص 205) .

(860) كذا بالأصل وردت بالمدهش (ما جرى ذكر) .

لا تزيدونى غرامـــا بعـــدكم حل بى من بعدكم ما[قد]كفانى[861]
ذهب العمر ولم أحظ بكم وتـقضى فى تمنيكـم زمـــانى
يا خليلى احفظا عهـدى الذى كنتما قبل النوى عاهدتمـــانى
واذكرانى مثل ذكــرى لكما فمن الإنصاف أن لا تنسيانى
واسألا من أنا أهــواه على أىِّ جـرمٍ صدَّ عنِّى وجفـــانى

[غـيم الغفلـــة]

(٨٦٢)

يا إخـوانى : لما انقشع غيم الغفلة عن قلوب أهل اليقين لاح لهم هلال الهدى فى صحو اليقظة فبيتوا نية الصوم وانضوا رواحل الأبدان فى سفر الشوق حبا لتعجيل اللقاء فكم طرق[864] منزلا على الظماء حتى كل المطى .

شــعر

[المهيار][865]

نفرهـا عن وردِها بحِاجـر شـوقٌ يسوقُ الماءَ[866] فى المحاجـرِ

---

(٨٦١) ما بين المعكوفتين سقط استدركناه من المدهش وهو الصواب حتى لايكسر وزن البيت .

(٨٦٢) وردت هذه الموعظة بالمدهش فى صفحتين هما ٣٨٠ ، ٣٨١ ، وأسقط كثيراً من الجمل بينهما .

والموعظة من قوله (لما انقشع ... إلى قوله (كل المطى) .

(٨٦٣) كذا بالأصل وبالمدهش (عيون) .

(٨٦٤) كذا بالأصل وبالمدهش (طووا) .

(٨٦٥) نسب صاحب المدهش هذا البيت (للمهيار) [المدهش (ص ٣٨٢)] .

ديوان شعره (٢/٦٣ - ٦٦) [هامش المدهش (ص ٣٨٢)] .

(٨٦٦) (يسوق الماء) كذا بالأصل وبالمدهش (يعوق الدمع) .

[صبى يهب نفسه لله]

قال الدينورى : قال صبى لوالدته : يا أماه هبينى لله ليسقط عنى فرضك ، وأشتغل بعبادة ربى ، فقالت له : يا ولدى أى مقام بلغت من مقامات الرجال ؟ فقال : لا شيء ، فقالت : أما تستحى أن تطلب منى أن أهبك لله وأنت لا تصلح ، وإنما يهدى للملوك ما جلَّ قدره وعظم خطره قال : فعند ذلك خجل الصبى من كلامها ودخل منزلها وأقام يجتهد عشرين سنة ثم خرج ، وقد أفاضت عليه الطاعة أنوار القبول فسلم على والدته ، فردت عليه السلام ، وقالت له : يا ولدى إنه قد ظهر عليك آثار العبادة ، وأنا أرجو من الله الزيادة ، اذهب فقد وهبتك لله عز وجل ، قال : فخرج ولدها وغاب عنها عشرين سنه وهو يسيح فى البرية وهو يعبد الله عز وجل ، ثم عاد إلى أمه فقرع عليها الباب فقالت : من هذا ؟ قال : ولدك ، فقالت : يا ولدى إنى قد علم الله إنى أحبك غير أنى وهبتك لله تعالى ، وأنا أكره أن أهب لله شيئا وأرجع فيه اذهب إلى حال سبيلك فوالله لا رأيتك بعد هذا اليوم إلا بين يديه ، قال : فعند ذلك رجع وكان ذلك آخر عهدها به .

شعر

(٨٦٧)

يا نسيمَ الشَّمالِ باللهِ بَلِّغْ	ما يقولُ المتيمُ المستهامُ
قلِ لأحبابِنا لديكم[٨٦٨] محبٌّ	ليس يسلو ومقلة لا تنامُ
كلَ أنسٍ[٨٦٩] ولذِة وسرورٍ	قبل لَقائِكم عليَّ حرامُ

---

(٨٦٧) وردت هذه الأبيات بالمدهش (ص ٢٢١) .

(٨٦٨) كذا بالأصل وبالمدهش (فداكم) وكلاهما صواب .

(٨٦٩) كذا بالأصل وبالمدهش (عيش) وكلاهما صواب .

[التأثـــر بالقــرآن]

وقال بعض الصالحين : كنت أمشى فى شوارع البصرة وإذا أنا برجل يحمل قربةً على ظهره ، فبينما هو يمشي وإذا بقارىء يقرأ قوله تعالى : ﴿ **ففروا إلى الله إنى لكم منه نذير مبين** ﴾(٨٧٠) فلما سمعه رمى بالقربة عن ظهره وقال نعم على الرأس والعين ثم بكى بكاءً شديداً ، ورفع طرفه إلى السماء وقال : يا سيدى هذا حملى الذى قدرت عليه قد وضعته ، وهذا فراغى الذى وصلت إليه فعلته والأمر بعد ذلك إليك فيما أردتَه ، لا ما أردتُه ، ثم إنه ترك القربة وولَّى هائما على وجهه فى البرية بعد ذلك ، قال : فلما كان فى بعض الليالى رأيته فى النوم ، فقلت له : ما فعل الله بك قال : لما قبضنى أوقفنى بين يديه وقال لى : أهلا بمن فرَّ إلىَّ : يا عبدى أزل وحشة الخوف عنك فقد قبلتك على ما كان منك واشوقاه(٨٧١) إلى تلك الأشباح سلام الله على تلك الأرواح .

شــعر

(٨٧٢)

وبالحمـى(٨٧٣) منـازلٌ تعـودتْ   منِّـى إذا شَارَفْتُهـا التسليمـا
وقفتُ منها سالماً وقتَ(٨٧٤) الضحى   ورُحْتُ من وجد بها سليما
يا نفحةَ الشَّمالِ من تلقائهـم   ردِّى على ذلك التسليمـــا

---

(٨٧٠) سورة الذاريات - الآية : ٥٠ .

(٨٧١) وردت هذه الموعظة كجزء من موعظة بالمدهش (ص ٣٨٢) ، بنصها من قوله (واشوقاه ... إلى قوله (الأرواح) .

(٨٧٢) وردت هذه الأبيات بالمدهش (ص ٣٨٢) .

(٨٧٣) كذا بالأصل ووردت بالمدهش (ها إنها) .

(٨٧٤) كذا بالأصل وردت بالمدهش (راد) .

الفصل الثانى والعشرون

[يا مشغولاً بتلفيق ماله]

(٨٧٥)

اسمع يا مشغولا بتلفيق ماله عن تحقيق أعماله من خطر ذكر الموت بباله قنع بالبلغ ولم يباله .

شعر

ما لك للحادثات نهب أو الذى حازَهُ وراثه
أو لك أن تتخذه ذخرا فلا كنتَ أعجز الثلاثة

[قنطرة القبور]

لابد والله من العبور على قنطرة[٨٧٦] القبور تسفى[٨٧٧] عليك الصبا[٨٧٨] والدبور[٨٧٩] آه من طول الثبور ، بعد طيب الحبور فى موطن لاينفع فيه صبر الصبور ويندم على عثرته العثور ، ويفترش الدثور حتى يثور ، أين المتقلبون فى

(٨٧٥) وردت هذه الموعظة بنصها فى المدهش (ص ٣٨٣) مع حذف بعض الجمل بغير إخلال ، من قوله (يا مشغولاً بتلفيق ماله ... إلى قوله (فمن بشر ومن طيفور) .

(٨٧٦) كذا بالأصل وبالمدهش (منزل) والصواب ما ورد بالأصل .

(٨٧٧) تسفى : تسرع وتخف .[اللسان (٣٨٨/١٤ ، ٣٨٩ - سفا)] ط. دار صادر .

(٨٧٨) الصبا : ريح مهبها من مشرق الشمس إذا استوى الليل والنهار .
[اللسان (٤٥١/١٤ - صبا)] ط. دار صادر .

(٨٧٩) الدبور : ريح تهب من المغرب وتقابل ريح الصبا .
[اللسان (٢٧١/٤ - دبر)] ط. دار صادر .

ججور الفجور ، أين الظباء الكنس والأتراب الحور ، كيف يزين بدر البحور بدء[٨٨٠] النحور ، غرق الكل فى يم التلف زخور ، واستوى الوضيع والفخور ، تحت التراب والصخور ، ولا فرق بين ذوات الإماء وذوات الخدور ، فى ذلك المهبط الحذور ، لقد بان للكل أن الدنيا غرور ، وعرفوا فى المصير شرور السرور ، وتيقنوا أن تزوير الأمل للخلد غرور وتيقنوا أن تزوير الأمل للخلد غرور ، تنافسوا على مساكنة سعة القصور ، فاسكنوا بعد ذلك فى ضيق القبور ، وهذا هو المصير ولو عمرتم عمر النسور ، فإذا انقضت تلك العصور ، ونفخ فى الصور ، وخرجت أطيار الأرواح من أعجب الوكور وباتت الأرض تموج والسماء تمور ، ولقى الكفور نار تلتهب وتفور ، وانزعج الخليل والكليم فمن بشر[٨٨١] ومن طيفور[٨٨٢] ؟ .

« فى أهـوال يوم القيامــة »

يروى عن رسول الله ﷺ أنه قال :

« إذا انقضى الأجل المعدود أمر الجبار جل جلاله إسرافيل عليه السلام أن ينفخ فى الصور نفخة الصعق فينفخ فيه على حين غفلة من الناس فمنهم من هو فى حرثه ومنهم من هو فى سوقه ، ومنهم من هو فى لهوه ﴿ لا تأتيكم إلا بغتة ﴾[٨٨٣] فلا يبقى شىء فيه روح إلا صعق وخمد فتبقى السموات والأرض خالية من سكانها ماشاء الله تعالى ، ثم يرسل الله عز وجل ماء كمنى الرجال فيبسط على وجه الأرض فينبت الأجسام كما ينبت الزرع المطر ، ثم يأمر الله تعالى إسرافيل عليه السلام أن ينفخ نفخة البعث فينفخ إسرائفيل باذن الله تعالى فتخرج الأرواح من ثقب فى الصور على عدد أرواح الخلائق حتى تملأ ما بين السماء والأرض ثم ينادى منادٍ على صخرة بيت المقدس أيتها العظام النخرة والعروق المتقطعة والجلود المتمزقة التثمى بقدرة الله عز وجل ، قال :

---

(٨٨٠) هذه الكلمة ليست بالمدهش ولا موضع لها ههنا .

(٨٨١) بشر : المقصود به بشر الحافى وقد سبق التعريف به .

(٨٨٢) طيفور : هو أبويزيد البسطامى وقد سبق التعريف به .

(٨٨٣) سورة الأعراف – الآية : ١٨٧ .

فيرجع إلى كل جسد ما كان منه ، وتأتى روحه فتدخل فيه ويأمر الله الأرض أن تنشق عنهم ﴿ فإذا هم قيام ينظرون ﴾[٨٨٤] قال : فينظرون إلى الشمس وقد كورت وإلى النجوم وقد انكدرت وإلى الجبال وقد سيرت وإلى العشار[٨٨٥] وقد عطلت ، وإلى الوحوش وقد حشرت فعند ذلك تطيش الأحلام وتتزلزل الأقدام وتزفر جهنم زفرة ، فيتضاعف الخوف والقلق والفزع ويشتد الكرب والعرق والجزع ثم يخرج عنق من النار ويقول بصوت يسمعه جميع من فى المحشر : قد أمرت بكل جبار عنيد ، فيلتقطهم من بين الناس كلقط الحمام الحب ثم توضع الموازين وتنشر الدواوين ، وتتطاير الصحف بالأيمان والشمائل ثم يمد الصراط على متن جهنم وهي سوداء مظلمة يأكل بعضها بعضا ثم يلقى فيها فوج بعد فوج ، فلو رأيتهم لرأيت أمراً فظيعا وأمراً مهولا طعامهم الزقوم وشرابهم الحميم ليسوا من شدة العذاب بميتين ولا هم منها بمخرجين » .

شــعر

(٨٨٦)

كَمْ لِلْمنايا فى بـنـى آدم توسع منه تضيقُ الصـدورُ
لو قَنَعْ[٨٨٧] الناسُ بدُنياهُـم لاقتنعوا من[٨٨٨] اقتناع الطيورِ

---

(٨٨٤) سورة الزمر – الآية : ٦٨ .
(٨٨٥) العشار : العشراء من النوق ونحوها : ما مضى على حملها عشرة أشهر . [الوسيط (٢/٦٠٢)] .
(٨٨٦) ورد هذان البيتان فى المدهش (ص ٣٨٤) .
(٨٨٧) كذا بالأصل وفى المدهش (فطن) والصواب ما ورد بالمدهش .
(٨٨٨) كذا بالأصل وفى المدهش (منها) .

يا أخى ويحك[٨٨٩] إن الدنيا تضر[٨٩٠] ولابد لك منها فخذ قدر الحاجة فالدنيا فى مقام امرأة ، واللمس ناقض ، طريق المتقين[٨٩١] يفتقر فيها إلى رواحل وإبل عزائمك كلها كالة[٨٩٢] إنما يصلح للملك قلب فارغ عما سواه . وقلبك[٨٩٣] خازن كل يوم يرتحل منه ساكن وينزله ساكن .

قال زيد بن مروان : مررت بجارية متعبدة وقد ولهت فى شدة المحبة فسمعتها وهى تقول :

سَلَبَ الرُّقادُ من الجفونِ تَشَوُّقى فمتى اللقاءُ يا جامعَ الأمواتِ

قال : فسلمت عليها فردت علىَّ السلام ، ثم قالت ألست زيدا ؟ قلت : بلى فبم عرفتينى ؟ ، فقالت : يا هذا اتصلت المعرفة بالأسرار فعرفتك بمعرفة الجبار ، ثم قالت : يا زيد ما السخاء عندكم ؟ قلت : البذل والعطاء ، قالت : هذا السخاء فى الدنيا ، فما السخاء فى الدين ؟ قلت : المسارعة إلى طاعة الله تعالى قالت : إلى متى ؟ قلت : إلى أن تفوز بالجنة ، فقالت : إنما المسارعة إلى طاعة الله تعالى إلى أن يطلع على قلبك فلا يجد فيه غيره ، ثم قالت :

حسبت المحب من الحبيب يعلمه إن الحبيب بباله مطروح
وإذا تَقَلَّبَ فى الدُّجى ففؤاده بسِهَامِ لوعاتِ الهوى مجروحُ

---

(٨٨٩) هذه جزء من الموعظة السابقة وهى تالية لها مباشرة وردت فى المدهش (ص ٣٨٤) من قوله (ويحك إن الدنيا ... إلى قوله (قلب فارغ مما سواه) .

(٨٩٠) كذا بالأصل وبالمدهش (تغر) .

(٨٩١) كذا بالأصل وبالمدهش (المتيقن) .

(٨٩٢) كالة : أى متعبة منهكة . [اللسان (٥٩١/١١ - كلل)] ط. دار صادر .

(٨٩٣) هذه العبارة كلها من قوله (وقلبك ... إلى قوله (وينزله ساكن وردت كبيت شعر فى المدهش (ص ٣٨٤) وقد ورد هكذا (وقلبك خان كل يوم وليلة ... يفارقه ركب وينزله ركب) .

وقيـل : فى بعض الأخبار إن الله تعالى يقول للطائعين يوم القيامة عبادى آثرتمونى على شهواتكم فأبشروا اليوم بكرامتى فوعزتى وجلالى ما خلقت الجنة إلا لكم .

(٨٩٤)

اسمع يا مظهرا من الخير ما ليس فى قلبك[٨٩٥] لا تبع ماليس عندك ، تبكى ساعة الحضور على الخيانة والمسروق فى فمك[٨٩٦] ، كم نهاك عن نظرة ؟ وتعلم أنه بالحضرة ولا تراقب الناظر ، برد الناظر ، فكأنك لا تعلم أن الحاضر حاضر .

« فى ميت عاتــب المغســل فى المنــام »

قيــل : لما توفى سهل بن عبدالله وكان أوصى إلى سالم وأبى عبدالله الخياط أن يغسلاه ، قال سالم : فلما وضع على المغتسل رأيت يده اليسرى على عورته فأخذت اليسرى فوضع اليمنى على عورته وفتح عينيه فى وجهى فغُشِّىَ علىَّ هيبة له ، ثم أفقت من غشيتى فجعلت عليه إزاراً ثم غسلته فرأيته فى المنام فقال لى : يا سالم أتكشف عن عورة ما كشفتها لحلال ولا لحرام منذ ستين سنة ، ولقد بلغت فلم أنظر إلى عورتى بعد ذلك حياء من الله عز وجل .

---

(٨٩٤) هذه الموعظة أيضاً جزء من الموعظة السابقة وقد وردت فى المدهش (ص ٣٨٤) وقد وردت جملها مع بعض التغيير فى ترتيبها . من قوله (يا مظهراً من الخير ... إلى قوله (إن الحاضر حاضر) .

(٨٩٥) (فى قلبك) كذا بالأصل وبالمدهش (له) .

(٨٩٦) كذا بالأصل وبالمدهش (جيبك) .

شـــعر

(٨٩٧)

النَّاسُ من الهوى عَلَى أصنــاف هذا نَقَضَ العهدَ وهذا وافــى
هَيْهَاتَ من الكـدورِ تبغى الصـافى ما يصلح للخضـرة قلب جــافى

(٨٩٨)

يا هـذا أكبرُ دليل علينا ، أنت كنت مبدودا(٨٩٩) فى ظهور الأصول فنظمت بالقدرة نظما عجيبا ، فما تنقض إلا لأمر هو أعجب منه ، مدت أطناب العروق ، وحفرت خنادق الأعصاب ، وضربت أوتاد المفاصل.، وأقيم عمود الصلب ، ثم مد السرادق ، فنصب سرير القلب فى الباطن للملك « ويسعنى قلب عبدى المؤمن »(٩٠٠) .

شـــعر

إذا لم تجد صبًّا على النأى مخبـرا عَنِ البعدِ(٩٠١) بعد البين أينَ أقامـوا
فعْنَدَ النَّسيمِ الرطبِ أخبارُ منزلٍ به لِسُلَيْمى فى العقيقِ خيـامُ

---

(٨٩٧) ورد هذان البيتان فى المدهش (ص ٣٨٥) .

(٨٩٨) هذه الموعظة بما ورد فيها من شعر وردت فى المدهش (ص ٣٨٥) مع بعض الاختصار لبعض العبارات والأشعار . وهى من قوله (يا هذا أكبر دليل علينا .. إلى قوله (طاقات المنى) .

(٨٩٩) كذا بالأصل ووردت بالمدهش (مبدداً) .

(٩٠٠) هذا الأثر موجود فى الإحياء (١٤/٣) وقال العراق فى تخريجه لم أر له أصلاً ، وقال ابن تيمية : هو مذكور فى الإسرائيليات . انظر (كشف الخفاء ٢٧/٢) .

(٩٠١) كذا بالأصل ووردت بالمدهش (الحى) والصواب ما ورد بالأصل .

يا هـذا إذا أقفر القلب من ساكن « ويسعنى » ، فتحت النفوس بابه لعناكب الغفلة ، فنسجت فى زواياه من لعاب الآمال ، طاقات المنى . يا من[902] له فى حديث القوم ذوق ، أين آثار القلق[903] والشوق ؟ أشد الناس حبا لحديث الحجاز من سافر إليه .

شـــعر

يا نسيمَ الشَّمالِ بلغْ خطابى	واشف منى الجوى بِرَدِّ الجوابِ
قِفْ بِسَاحَاتِ ذلكَ الربع واحملْ	ذرةً من تراب ذاك الجنابِ
قُـلْ لِمولاى يا منى الروح والقلبِ	ومن فيه ذلتى واكتئابى
كُنتُ أخشى الوشاةَ فيكَ ولكن	جفوة الحب لم تكن فى حسابِ

[زكام الكســـل]

يا هذا كنت تدعى حينا وتؤثر القرب حينا، فما هذا الصبر الذى قد عَنَّ عنا[904] ؟

كنت تستطيب رياح الأسحار وما تغير المهب ، ولكن دخل فصل الفتور ولم تحترز فأصابك زكام الكسل كنت فى الرعيل الأول ، فما الذى ردك إلى الساقة ؟ قف الآن على جادة[905] التأسف والْزَمْ البكاءَ على التخلف .

---

(٩٠٢) هذه الموعظة جزء من موعظة أكبر وردت بالمدهش (ص ٣٩٥) . مع اختصار بعض عباراتها ولم ترد أبيات الشعر الوارده هنا التى تبدأ بقوله (يا نسيم الشمال ... إلى (لم تكن فى حساب) لم ترد فى المدهش وهذه الموعظة تبدأ من قوله (يا من له فى حديث القوم ذوق ... إلى قوله (والزم البكاء على التخلف) .

(٩٠٣) كذا بالأصل وبالمدهش (الوجد) .

(٩٠٤) (عن عنا) أى انصرف عنا وأعرض . [اللسان (٢٩١/١٢ – عنن)] ط. دار صادر .

(٩٠٥) الجادة : وسط الطريق أو الطريق الأعظم الذى يجمع الطرق . [الوسيط (١٠٩/١)] .

ورد فى بعض الأخبار : أن العبد إذا تغيرت أحواله بركوب المعاصى وشكا ذلك إلى ربه فيقول الله عز وجل : يا عبدى أنت بالقطيعة بدأت هل لا أقمت على طاعتك وجريت فى القرب منّا على عادتك ، وإنما يطلب برِّى وإحسانى من تركَ مخالفتى وإحسانى .

[احــذروا الدنيــا]

(٩٠٦)

إخــوانى : احذروا الدنيا فإنها أسحر من هاروت وماروت ذانك يفرقان بين المرء وزوجه ، وهذه تفرق بين العبد وربه ، وكيف لا وهى التى سحرت سحرة بابل ، إن أقبلت شغلت وإن أدبرت قتلت .

شــعر

ويلاه إن نظرت[٩٠٧] وإن هى أعرضت وَقْعَ السهامِ ونزعهــن أليم

يا هـذا إن الدنيا إذا صفت حلالها كدرت الدين ، فكيف إذا أخذت من حرام ؟

مازالت[٩٠٨] الظلمة فى الظلمة ، يمشون فى جمع الحطام ، ويمسون على فراش الآثام ﴿ **فما ربحت تجارتهم** ﴾[٩٠٩] أتراهم نسوا طى الليالى سالف الجبارين ؟ ﴿ **وما بلغوا معشار ما آتيناهم** ﴾[٩١٠] فما هذا الاغترار ﴿ **وقد**

---

(٩٠٦) وردت هذه الموعظة بنصها مع إسقاط بعض العبارات فى المدهش (ص ٣٨٦ ، ٣٨٧ ، ٣٨٨) من قوله (إخوانى : احذروا الدنيا.. إلى قوله تعالى ﴿ حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴾ .

(٩٠٧) كذا بالأصل وبالمدهش (عرضت) .

(٩٠٨) ليست هذه اللفظه بالمدهش .

(٩٠٩) سورة البقرة – الآية : ١٦ .

(٩١٠) سورة سبأ – الآية : ٤٥ .

خلت من قبلهم المثلات ﴾[٩١١] **﴿ فهل ينتظرون إلا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم ﴾**[٩١٢] ، كم دارٌ دارت بهم نعم النعم ، فدارت عليها دوائر النقم ، **﴿ فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس ﴾**[٩١٣] ، كم جار فى حلية المنى قد استولى طرفه على طرف الأمل[٩١٤] صدمه قهر عقوبة فألقاه أسرع من طرفة عين بينا القوم يسطون فى بسط البسطة إذ كفت أكفهم بمقامع القمع لبستهم[٩١٥] عقارب ظلمهم ، نفخهم ثعبان جورهم ، عقرتهم أسود بطشهم ، نسفتهم عواصف كبرهم ، وفى الغير عبر ، لقد ودُّوا لو ردوا فيعلمون[٩١٦] ولكن **﴿ حيل بينهم وبين ما يشتهون ﴾**[٩١٧] ويحك إذا كانت راحة اللذة تعقب تعب العقوبة فدع الدعة تمضى فى غير الدعة ، ما تساوى لذة سنة بغم ساعة ، فكيف والأمر بالعكس ؟

رئـى عمر بعد موته باثنى عشر سنة فقال : الآن تخلصت من حسابى .

واعجبـاً : أقيم أكثر من سنى الولاية أفينتبه بهذا راقد الغفلة ؟[٩١٨] أحسن شرائع[٩١٩] الشرائع ، العدل ، الظلم ظلمة فى نهار الولاية ، والعدل صوت فى صور الحياة ، يبعث به موتى الجور ، أيها الظالم ، تذكر عند جورك عدل العادل[٩٢٠] ، تفكر حين تصرفك فى سرفك يا أرباب الدول لا تعربدوا فى

---

(٩١١) سورة الرعد – الآية : ٦ .

(٩١٢) سورة يونس – الآية : ١٠٢ .

(٩١٣) سورة يونس – الآية : ٢٤ .

(٩١٤) كذا بالأصل وبالمدهش (الأمد) .

(٩١٥) كذا بالأصل وبالمدهش (لبستهم) .

(٩١٦) (لقد ودو لو ردوا فيعلمون ولكن) كذا بالأصل وبالمدهش (فهل ينتظرون من لهم إذا طلبوا العود) .

(٩١٧) سورة سبأ – الآية : ٥٤ .

(٩١٨) كذا بالأصل وبالمدهش (الهوى) .

(٩١٩) كذا بالأصل وبالمدهش (شعائر) .

(٩٢٠) كذا بالأصل وبالمدهش (الحاكم) .

سكر القدرة فصاحب الشرطة بالمقدرة[٩٢١] ، الحذر الحذر ﴿ **أن تقول نفس يا حسرتى على ما فرطت فى جنب الله** ﴾[٩٢٢] ﴿ **ولات حين مناص** ﴾[٩٢٣] وأنت أيها المظلوم تذكر من أين أتيت ؟ فإنك لا تلقى كدراً إلا فى طريق خيانة ﴿ **إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم** ﴾[٩٢٤] .

ورد فى بعض الأخبار : أن العبد لا يزال يحفظ ويربى ويلاطف ويغذى حتى يبلغ الحلم ويأمر وينهى فإذا أذنب واسى وخالف وعصى يقول الله تعالى لملائكته اطردوا هذا العبد عن بابى فإنه سيء الأدب لم يدع الجميل الجسيم ، ولا ذكر الإحسان القديم ، يا هذا أنفع[٩٢٥] دواء أجده لى ولك نقض أخلاط التخليط بتسرية الدمع فإن بضاعة المذنب دمعة ، ورأس مال المقرط حزنه ، وراحة الأول قلقه وعيشة التواب حرقة .

« فى رجل ندم على ذنبه فقبله الله سبحانه وتعالى »

قال وهب بن منبه[٩٢٦] : كان أول عابد من عباد بنى إسرائيل قد عبد الله تعالى أربعين سنة ثم أخطأ خطيئة فخرج هارباً من ذنبه طالباً عفو ربه حتى أتى البحر فوقف ونادى أيها البحر هل فيك من مخبأ ؟ فأوحى الله عز وجل إليه أيها البحر أن أجب عبدى ، فقال : ممن تريد المخبأ ؟ فقال : من رب العالمين ، فإنى استحى منه لما كان خطيئتى فقال البحر : سبحان الله وكيف أستطيع ولا فى قطره إلا وهى موزونة بميزان مكيلة بمكيال مع ملك موكل بها مع علم الله بى وبها ، فولّى العابد وهو يقول : سبحانك ما أعظم سلطانك فأين المفر ثم ولّى

(٩٢١) كذا بالأصل وبالمدهش (بالمرصاد) .
(٩٢٢) سورة الزمر – الآية : ٥٦ .
(٩٢٣) سورة ص – الآية : ٣ .
(٩٢٤) سورة الرعد – الآية : ١١ .
(٩٢٥) وردت هذه الموعظة بتغيير فى بعض ألفاظها تغييراً غير مخل فى المدهش (ص ٤٠٥) . من قوله (أنفع دواء أجده إلى قوله (عيشة التواب حرقة) .
(٩٢٦) سبق الترجمة له .

حتى وقف فى فلاة من الأرض حتى [قطع][*] ما شاء الله منها ثم قال: أيتها الأرض الطويل طولك العريض عرضك هل فيك من مخبأ ؟ فاوحى الله تعالى إليها أن أجيبى عبدى ، فقالت الأرض ممن تريد المخبأ ؟ قال : من رب العالمين ، فقالت الأرض : سبحان الله وكيف أستطيع ولا فى حجر ولا مدرة صغيرة ولا كبيرة إلا وقد أحصيت عددا وحققت وزنا مع ملك موكل بها مع علم الله بى وبها ، فولّى وهو يقول ، سبحانك ما أعظم شأنك وأعز سلطانك فأين المهرب ؟ ، ثم لحق بالجبال وجعل يتخللها حتى وقف على أطولها جبلا وقال : أيها الجبل هل فيك مخبأ ؟ ، فاوحى الله تعالى إليه أن أجب عبدى فقال له الجبل : ممن تريد المخبأ ؟ قال : من رب العالمين فقال الجبل : سبحان الله وكيف أستطيع ذلك ولا فى صخرة صغيرة ولا كبيرة إلا وعليها ملك موكل بها مع علم الله بى وبها ؟ ، فرفع طَرْفه إلى السماء وقال : إلهى فرَّ منِّى كلُّ شيءٍ وأسْلَمنى وتباعد عنِّى ، إلهى أسألك إياك وأعوذ بك منك فأرسل الله إليه ملكاً فى صورة ملك من بنى آدم فقال له : الحق يقرئك السلام ، ويقول لك : أنا الله من عصانى أمهلته ، فإن تمادى نهيته ، فإن تاب قبلته ، فإن سوَّف دعوته ، فإن أبى وأصرَّ أخرته إلى الأجل الذى أجلته ، فآخذه بعدلى وأغفر له بفضلى ، قد قبلت توبتك برجوعك إلىَّ وأنا التواب الرحيم .

شـــعر

فلا تحسبوا أنِّى نسيتُ وُدَادَكـم	فإنى وإن طالَ المدى لستُ أنساكم
حفظنا وضيعنا وداداً وحرمـــة	فلا كان من فى هجرنا اليوم أغراكم

(*) بالأصل : [ما قطع] والصواب ما أثبتناه .

الفصل الثالث والعشرون

[يا مشغولاً بأمله]

(٩٢٧)

اسمع يامشغولا بأمله عن أجله ، راضيا فى صلاح خلاله بخلله ، هل أتى الساكنين(٩٢٨) لسكنه(٩٢٩) إلا من قبله .

شعر

(٩٣٠)

سَلِ الْأَيَّامَ ما فَعَلتْ بِكِسْرى وقيصر والقُصورِ وسَاكِنيها
أما استدعتهمُ للموت طرا فلم تدع الحليم ولا السفيها
دَنَت نحو الدنَى بسهم خطب وأصمته وواجهتْ الوجيها
أما لو بِيْعتْ الدنيا بفلسٍ أنفت لعاقل أن يشتريها

يروى عن عبدالله بن المعلا أنه قال : خرجنا حجاجا من المدينة فلما نزلنا منزلة وقف علينا رجل عليه أثواب رثة فقال : من يبتغى ساقيا يملأ له قربة أو إداوة ؟ فقلنا له دونك هذه القربة فأخذها وانطلق فلم يكن إلا قليلا حتى أتى بها فلما وضعها رأيت الحبل قد أثر فى كتفيه فأدركتنى عليه رقة فقمت إلى رحلى فأخرجت منه قرصا وناولته إياه فاعتزل وأكل أكلَ جائعٍ فرحت ثانية وأتيته بطعام طيب كان معى وقلت له : كُلْ رحمك الله فإن القرص لم يقع منك بموقع ، فنظر

---

(٩٢٧) وردت هذه الموعظة بتغيير فى بعض ألفاظها بالمدهش (ص ٣٩٠) .
(٩٢٨) كذا بالأصل ووردت بالمدهش (المساكن) .
(٩٢٩) كذا بالأصل ووردت بالمدهش (لكسله) .
(٩٣٠) وردت هذه الأبيات فى المدهش (ص ٣٩١) .

إلىَّ طويلا ثم قال وهو مبتسم : إنما هى فورة هذه النار وقد أطفأتها بما أمكن ثم ضرب بيده على بطنه وقال : لا حاجة لى فيه ، فرجعت متعجبا ، فقال لى رجل : أتعرف هذا ، قلت : لا قال : هذا رجل من ولد العباس بن عبد المطلب من نسل سليمان بن أبى جعفر المنصورى كان يسكن البصرة وقد فقده منها ولم يعلم له خبرا فاتبعته حتى لحقته وقلت له : يرحمك الله قد علمت مكانك ودار إقامتك فإن شئت رجعت معى أدفع لك ما تركبه وما تحتاج إليه من زاد وغيره حتى أبلغك دار إقامتك فقال : يا هذا لو أردت ما ذكرت كان لى معد ثم أنشأ يحدث قال : كنت أسكن البصرة وكنت ذا كبْرٍ وتجبرٍ وتكاثرٍ وتفاخرٍ فأمرت جارية من خدمى ذات ليلة أن تفرش لى فراشا ففعلت ونثرت فوقه نثير الورد بعد أن نزعت أقماعه وحشت منه وسائد ومخاد ثم اضطجعت فبينا أنا نائم إذ تقلبت لجنبى فحسست بقمع وردة أغفلته الجارية فبت أتقلب كأنى على شوك القتاد ، فأصبحت وقد امتلأت عليها غيظا فقمت إليها وأوجعتها ضرباً وأخرجت ذلك القمع وعدت إلى مضجعى فأتانى آتٍ فى منامى فوكزنى برجله وقال : أفق من غشيتك وانتبه من رقدتك :

شـــعر

يا خدان وسيدة فراشا ناعمـا وشدت بعدَ الموتِ صُمَّ الجنـدل
فا مهدْ لنفسك صالحا تنجو بـه فلَتَنْدَمَنَّ غدا إذا لم تفعـل

قـال : فعند ذلك انتبهت فزعا مرعوبا ورأيت كل ما أنا فيه زائلا فخرجت دابيا فى تحصيل ما لابد لى منه ، قال : فلما قضى حديثه أتخش منى فلم أعلم أين ذهب .

(٩٣١)

إخـوانى : المستقر يزول والمقيم منقول والأحوال تحول والعتاب على الفانى يطول ، فكم تعذل وكم تقول :

(٩٣١) هذه الموعظة وردت بالمدهش (ص ٣٩٣) مع الاختصار غير المخل ، من قوله (إخوانى المستقر يزول إلى قوله) (على ما سلف تأتلف) .

شـــعر

سَيَقْطَعُ رَيْبُ الدهرِ[٩٣٢] بين الفريقين ... لكُلِ اجتماع فرقة من يـد البين
وكلّ يَنْقضى[٩٣٣] ساعةً بعدَ ساعةٍ ... تُحايلُه[٩٣٤] عنِ نفسِهِ ساعةَ الحين
وما الحشرُ إلا كالصباحِ إذا انجلى ... يقوم له الوسنانُ من رقدةِ البينِ[٩٣٥]

[أين الأطفـــال والشــمطان]

أين قطّان الأوطان ؟ أين الأطفال والشمطان[٩٣٦] أين الجائع والمبطان[٩٣٧] أين العبيد والسلطان تعرف وتصدف[٩٣٨] ﴿ **هذا من عمل الشيطان** ﴾[٩٣٩] .

يا معشر العصاة قد عم الجدب أرض القلوب ، وأشرقت زروع التقوى على النوى ، فأخرجوا من حضر الذنوب إلى صحراء الندم ، وحلوا أردية[٩٤٠]

---

(٩٣٢) كذا بالأصل ووردت بالمدهش (البين) .
(٩٣٣) كذا بالأصل ووردت بالمدهش (يقضى) .
(٩٣٤) كذا بالأصل وبالمدهش (تخاتله) والأفضل ما ورد بالمدهش .
(٩٣٥) كذا بالأصل وبالمدهش (العين) والصواب ما ورد بالأصل .
(٩٣٦) الشمطان : مأخوذ من الشمط : وهى الشعرات البيض فى الشعر الأسود والمراد العجائز أو كبار السن . [الوسط (٤٩٤/١)] .
(٩٣٧) المبطان : أى عظيم البطن من كثرة الأكل . [اللسان (٥٤/١٣ - بطن)] ط. دار صادر .
(٩٣٨) تصدف : تعرض . [الوسيط (٥١٠/١)] .
(٩٣٩) سورة القصص - الآية : ١٥ .
(٩٤٠) أردية : جمع رداء : مايلبس فوق الثياب كالجبة والعباءة . [الوسيط (٣٤٠/١)] .

الغدر عن مناكب العهود ، ونكسوا رؤوس الكبر على أذقان الذل لعل غيوم الهموم[٩٤١] على ما سلف[٩٤٢] تأتلف ، فقد قيل « أن العبدَ إذا أقبل على طاعة الله وأعرض عن معصيته نادته ملائكة الرحمة : وقفت وهديت هذا طريق الأبرار ومسلك الأخيار وإذا أقبل على معصيته وأعرض عن طاعته نادته ملائكة العذاب خاب قصدك وضل سعيك هذا طريق الأشرار وسبيل الفجار » .

وقيل[٩٤٣] : أوحى الله عز وجل إلى داود عليه السلام يا داود لو يعلم المدبرون عنِّي كيف انتظارى لهم ورفقى بهم وشوقى إليهم ومحبتى لترك معاصيهم لماتوا شوقا إلىَّ ، يا داود هذه إرادتى للمدبرين عنِّي فكيف إرادتى للمقبلين علىَّ ، يا داود أحوج ما يكون العبد إلى إذا استغنى عنى وأرجى ما يكون لعفوى إذا أدبر عنى وأجل ما يكون إذا رجع إلىَّ خوفا منِّي .

« فى رجل لم تحرقه النار لدعوة امرأة شريفة »

قال بعض الصالحين : دخلت إلى مصر فوجدت حدادا يخرج الحديد بيده من النار ويقلبه على السندال ولايجد لذلك ألماً فقلت فى نفسى هذا عبد صالح لا تعدو عليه النار فدنوت منه وسلمت عليه فردَّ علىَّ السلام فقلت له : يا سيدى بالذى منَّ عليك بهذه الكرامة إلا ما دعوت لى فبكى وقال : والله يا أخى ما أنا كما ظننت ، فقلت له : يا أخى إن هذا الذى تفعله لا يقدر عليه إلا الصالحون ، فقال : إن لهذا الأمر حديثا عجيبا فقلت له : إن رأيت أن تعرفنى به فافعل ، قال : نعم ، قال : كنت يوما من الأيام جالسا فى هذه الدكان وكنت كثير التخليط ، إذ وقفت على امرأة لم أرَقطُ أحسن منها وجها ، فقالت : يا أخى هل عندك شيء لله ، فلما نظرت إليها فتنت بها وقلت لها : هل لك أن تمضى معى إلى البيت وادفع لك ما يكفيك فنظرت إلى زمانا طويلا فذهبت وغابت عنِّي

---

(٩٤١) كذا بالأصل وبالمدهش (الغموم) .

(٩٤٢) كذا بالأصل وبالمدهش (تلف) .

(٩٤٣) هذا الأثر من قوله (أوحى الله عز وجل إلى داود .. إلى قوله (فكيف إرادتى للمقبلين علىَّ) وردت بالتبصرة (٣٤/١) بنصها .

طويلا ثم رجعت وقالت : يا أخى قد احوجتنى الضرورة إلى ما ذكرت قال : فقفلت الدكان ومضيت بها إلى البيت .

شعر

لعلَّ عَتْبُكَ محمودٌ عواقِبُهُ ورُبما صَحَتْ الأجساد بالعللِ

فقالت لى : يا هذا إن لى أطفالا وقد تركتهم على فاقة شديدة فإن رأيت أن تعطينى شيئا أذهب به إليهم وأرجع إليك فافعل قال : فأخذت عليها العهود والمواثيق ودفعت لها بعضاً من الدراهم فمضت وغابت ساعة ثم رجعت فدخلت بها إلى البيت وأغلقت الباب فقالت : لم فعلت هذا فقلت لها : خوفا من الناس فقالت : ولم لا تخاف من رب الناس فقلت لها : إنه غفور رحيم ، ثم تقدمت إليها فوجدتها تضطرب كما تضطرب السعفة فى يوم ريح عاصف ودموعها تتحدر على خديها فقلت لها : مم اضطرابك وبكاؤك ، فقالت : خوفا من الله عز وجل ثم قالت لى يا هذا إن أنت تركتنى لله ضمنت لك أن الله لا يعذبك بالنار لا فى الدنيا ولا فى الآخرة ، قال : فقمت وأعطيتها جميع ما كان عندى وقلت لها : يا هذه قد تركتك خوفا من الله عز وجل ، قال : فلما فارقتنى غلبتنى عينى فنمت فرأيت امرأة لم أرقط أحسن منها وجها وعلى رأسها تاج من الياقوت الأحمر فقالت لى : جزاك الله عنا خيرا ، قلت لها : ومن أنت قالت : أنا أم الصبية التى أتتك وتركتها خوفا من الله عز وجل لا أحرقك الله بالنار لا فى الدنيا ولا فى الآخرة ، فقلت لها : عرفينى بها ومن أى نسل هى يرحمك الله ، فقالت : هى من نسل رسول الله ﷺ ، فتذكرت قول الله عز وجل ﴿ **إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا** ﴾(٩٤٤) ثم أفقت من منامى ، ومن ذلك الوقت لم تعدو على النار وأرجو أن لا تعدو على فى الآخرة .

فصلى الله على من حبى بإسناد المفاخر وعلى عترته الذين خصوا بهذه المآثر ، الذى خلق من أرضى الأرض أرضاً ، وخص بأصفى الأوصاف وصفًا

---

(٩٤٤) سورة الأحزاب – الآية : ٣٣ .

وصين أباؤه من الزنى فلم يكن منه خائن ولاخائنة إلى أن صدفت تلك الدرة عن صدفة آمنة ، فألبس إهاب الهيبة وتوج بتاج السيادة وشارك الأنبياء فى معجزاتهم وخص عليهم بالزيادة ، أين انشقاق البحر من انشقاق القمر أين انفجار الماء من الحجر الدامع من نبع الماء الجم من بين الأصابع ، أين التكليم عند الطور من قاب قوسين على بساط النور ، أين خطاب الجمجمة الناطقة بالبيان من تسبيح الحصى فى الكف بلا لسان ، أين علو سليمان بالريح العجاج من ركوب البراق ليلة المعراج ، أين إحياء عيسى الأموات والألسن الناطقة من تكليم الذراع لمحمد ذى المعجزات الخارقة ، آدم فمن دونه تحت لوائه يوم القيامة فهو أول الناس خروجا إذا بعثوا وخطيبهم إذا وفدوا ومبشرهم إذا جزعوا وشفيعهم إذا يئسوا ، الأنبياء قد سكتوا لنطقه والأملاك قد اعترفوا بحقه والجنة والنار تحت أمره والخزان داخلة فى دائرة حكمه ، كلام غيره قبل قوله لا يسمع وجواب الحديث قل يسمع فسبحان من فضله من الفضل الصرف ما فضله وكساه من حلل الفخر الجم ما جَمَّله ، جمع الله بيننا وبينه فى جنته وأحيانا على كتابه وسنته .

المجلس الرابع والعشرون

[يا بعيد الأمل]

اسمع يا بعيد[945] الأمل[946] والموت منه قريب يا من هو عن قريب يصير فى القبر غريب ، ياراكبا عجز الهوى وفى يده جنيب ، يا ماراً على وجهه قل لى متى تنيب ؟ ألا تأخذ قبل الفوت بعض النصيب ؟ ألا تتزود ليوم شره عصيب ؟ ألا تخرج عن وادى الجدب إلى الربع الخصيب ؟ ، أحاضر أنت قل لى ما أكثر ما تغيب .

شعر

بكيتُ وما يبلى حديثُ مُناكَا كفاكَ نذيُر الشيبِ فيك كفاكَ
ألم تر أن الشيب قد قام ناعياً مقامُ الشبابِ الغضِ ثم نعاكَ
ولم تر يومًا مر إلا كأنُه بإهلاكه الهالكين عناكاَ .
ألا ليت شعرى كيف أنَت إلى القوى وهت وإذا الكربُ الشديدُ علاكَا
كأن خطوبَ الدهرِ لم تجر ساعةً عليك إذا الخطبُ الجليل عراكاَ .

[947]**قال رسول الله ﷺ :**

« احضروا موتاكم ولقنوهم قول لا إله إلا الله وبشروهم بالجنة فإن الحكيم يتحير عند ذلك المصرع فو الذى نفس محمد بيده إن ذلك اليوم أشد من ألف ضربة بالسيف » .

---

(945) وردت هذه الموعظة بتغيير فى بعض الألفاظ بالمدهش (ص ٣٥٦) من قوله (اسمع يابعيد الأمل إلى قوله (ماأكثر ما تغيب) .

(946) كذا بالأصل وبالمدهش (التيقظ) .

(947) روى فى حلية الأولياء (١٨٦/٥) عن واثلة بن الأسقع .

(٩٤٨)**إخوانى** : ألا ناظر لنفسه قبل الفوت(٩٤٩) ألا مستدركاً زاد رمسه قبل الموت(٩٥٠) ألا مزدجر بوعظ أمسه ؟ فقد أسمعه الصوت .

شعر

هل ناظرٌ لنفسهِ قبل حلولِ مسه(٩٥١)
هل يومه أو غده إلا نظير لأمسه
وعله يلقى الردى قبل غروب شمسه
كم مدلج مهجر يسعى لبعل عرسه
وأكيس الناس امرؤ جد ليوم رمسه

[حبال الآمال رثاث]

يا إخوانى : ويحكم حبال الآمال رثاث(٩٥٢) ، وساحر الهوى نفاث(٩٥٣) ، والأمانى على الحقيقة أضغاث(٩٥٤) والمال المدخر رزق الوارث عجباً لأجسام ذكور وعقول إناث ، إلام الرواح فى الهوى والتغليس ؟ وحتام السعى فى صحبة إبليس ؟ فكم بهرجة فى العمل وكم تدليس ، شجرة الإخلاص أصلها ثابت

---

(٩٤٨) هذه الموعظة وردت متفرقة فى المدهش (ص ٤١٠) ثم (ص ٣٩٨) من قوله (إخوانى ألا ناظر لنفسه ... إلى قوله (وللمرائى سموم النسيم) .

(٩٤٩) كذا بالأصل ووردت بالمدهش (الموت) .

(٩٥٠) كذا بالأصل ووردت بالمدهش (الفوت) .

(٩٥١) ورد هذا البيت فى المدهش هكذا [ماضر عبد نفسه ... قبل خروج نفسه] .

(٩٥٢) رثاث : الرث الخسيس البالى من كل شىء والجمع رثاث [اللسان (١٥١/٢ – رثث)] ط. دار صادر .

(٩٥٣) نفاث : النفث هو النفخ فى العُقَد الذى يفعله الساحر . [اللسان (١٩٥/٢ ، ١٩٦ – نفث)] ط. دار صادر .

(٩٥٤) أضغاث : الضغث : الحلم الذى لاتأويل له ولا خير فيه . [اللسان (١٦٣/٢ – ضغث)] ط. دار صادر .

...رها زرع[955] ﴿ أين شركائى ﴾[956] وأما شجرة الرياء فاجتثت عند قفوهم ﴾[957] ، كم متشبه بالمخلصين فى خشوع قلبه ولباس جسمه وأفواه القلوب تنفر عند مذاق طعمه .

شعر

أما الخيـــامُ فإنها كخيامهـــم وأرى نســاء الحى غير نسائِها[958]

كم حول معروف من دفين ذهب أمه كما بلى رسمه ومعروف معروف .

شعر

فماكلُ مخضوب البنان بثينة[959] ولا كل بيضـــاء الترائبِ زينــبُ

لريح المخلصين عطرية القبول وللمرائى سموم النسيم .

« موعــظة نفيســـة »

قيل لأبى بكر المسكى : إنا نشم منك رائحة المسك مع الدوام فما سببه فقال : والله لى سنين عديدة لم أستعمل المسك ولكن سبب ذلك أن امرأة احتالت علىَّ حتى أدخلتنى دارها وأغلقت دونى الأبواب وراودتنى عن نفسى فتحيرت فى أمرى فضاقت بى الحيلُ ، فقلت لها : إن لى حاجة إلى الطهارة فأمرت جارية لها أن تمضى بى إلى بيت الراحة ففعلت فلما دخلت ببيت الراحة أخذت العذرة وألقيتها على جميع جسمى ثم رجعت إليها وأنا على تلك الحالة فلما رأتنى دهشت ثم أمرت بإخراجى فمضيت واغتسلت ، فلما كانت تلك الليلة رأيت فى المنام قائلا يقول لى : فعلت ما لم يفعله أحد غيرك لأطيبن ريحك فى الدنيا والآخرة فأصبحت والمسك يفوح منى واستمر ذلك إلى الآن .

(٩٥٥) كذا بالأصل وبالمدهش (زعزع) .
(٩٥٦) سورة النحل – الآية : ٢٧ .
(٩٥٧) سورة الصافات – الآية : ٢٤ .
(٩٥٨) الشطر الثانى من هذا البيت غير موجود بالمدهش .
(٩٥٩) ورد الشطر الأول من هذا البيت فى المدهش هكذا (فما كل دار أقفرت دارة الحمى) ونحن نرجع ما ورد فى الأصل .

[الإخـــلاص والريـــاء]

[إخلاص](960) المخلصين رفع قدر الوسخ « رب أشعث أغبر »(961)، ونفاق المنافقين صير، المسجد مزبلة(962) ﴿ لا تقم فيه أبدا ﴾(963) .

أيها المرائى : قلب من ترائيه بيد من تعصيه لاتنقش على الدرهم الزائف اسم الملك فما يتبهرج الشحم بالورم .

قيل : كان يجلس إلى حاتم الأصم(964) بعض أولاد ملوك خراسان ، وكان أبوه يطلبه فلا يجده فيسأل عنه فيقال له : هو يجلس إلى شيخ صوفى يقال له حاتم الأصم وقد أفسده عليك فليس يفلح إلى أمر الدنيا ، فبعث الملك إلى حاتم وكان قد أضمر له شراً فلما حضر بين يديه قال له : يا حاتم ما حرفتك ، فقال الشيخ : حرفتى خدمة مقلب القلوب ، قال الملك : صدقت قد كنت أضمر لك شراً بصحبتك ولدى وقد قلب الله قلبى حين رأيتك دعه عندك لعل الله يُصلحه إذا كنت أنا لا أصلح لشىء .

---

(960) ما بين المعكوفتين سقط استدركناه من المدهش (ص 399) وهذه الموعظة تابعة للموعظة السابقة وتبدأ من قوله (إخلاص المخلصين رفع ... إلى قوله (فما يتبهرج الشحم بالورم) .

(961) رواه مسلم (2024 ، 2191) والخطيب فى تاريخه (3/203) .

(962) يشير هنا إلى مسجد الضرار الذى أمر رسول الله ﷺ بأن يجعل مزبلة ولايصلى فيه .

(963) سورة التوبة – الآية : 108 .

(964) حاتم الأصم : هو حاتم بن عنوان ويقال (حاتم بن يوسف) ويقال (حاتم بن عنوان بن يوسف) ابوعبدالرحمن المعروف بالأصم : زاهد اشتهر بالورع والتقشف ، له كلام مدون فى الزهد والحكم ، من أهل بلخ زار بغداد واجتمع بأحمد بن حنبل ، وشهد بعض معارك الفتوح ، ومات فى (بوشجراد سنة 237هـ . [الأعلام (2/152)] ، [طبقات الصوفية : (ص 91) رقم 11] للسلمى .

شعر

(٩٦٥)

هذه معالمهم وما لى منذ بان القوم عهد
واها لعيشى فى الحمى لو كان لى يوما يرد
ويلى أحظى كله من حبكم هجر وبعد[٩٦٦]

خلت[٩٦٧] والله الديار ، وباد القوم ، وتبدل آكل الشهوات بأهل الصوم .

شعر

(٩٦٨)

كفى حزنًا بالواله الصب أن يرى منازل من يهوى معطلة قفرا
سلم التقوى قريب المراقى وبدو الخذلان بالأقعرا

ربما[٩٦٩] أدرك الوقفة أهل مصر وفاتت سكان نخلة ، لابد والله من نفوذ القضا فاجنح للسلم .

---

(٩٦٥) وردت هذه الأبيات بالمدهش (ص ١٦٢) .

(٩٦٦) كذا بالأصل وبالمدهش (وصد) .

(٩٦٧) هذه العبارة وردت لجزء من موعظة وردت فى المدهش (ص ٣٩٥) ، من قوله (خلت والله الدنيا ... إلى قوله (بأهل الصوم) .

(٩٦٨) ورد البيت الأول فقط بالمدهش (ص ٣٩٥) .

(٩٦٩) وردت هذه الموعظة بما ورد فيها من أشعار كجزء من موعظة بالمدهش (ص ٢٩٧ ، ٢٩٨) وردت متفرقة . من قوله (ربما أدرك الوقفة أهل مصر ... إلى قوله : والقلب بين أصبعين) .

شعر

لا تغضبن على قوم تحبهم فليس ينجيك من أحبابك الغضب
ولا تخاصمهم يومًا إذا حكموا إن القضاة إذا ما خوصموا غلبوا

كان إبليس كالبلدة العامرة فوقعت فيها صاعقة الطرد فهلك أهلها ﴿ **فتلك بيوتهم خاوية** ﴾[٩٧٠] .

شعر

من لم يكن للوصال أهلاً فكل إحسانه ذنوب .

لقى إبليس عمر بن الخطاب رضى الله عنه فصارعه فصرعه عمر فقال بلسان الحال أنا مقتول ، بسيف الخذلان قبل لقائك[٩٧١] يا عمر أنت الذى كنت فى زمان الخطاب لا تعرف الباب وأنا الذى كنت على سدة السيادة وأتباعى الملائكة فوصل منشور (لا سبيل) فعزلنى وولاك فكن على حذر من تغير الحال .

شعر

فإن الحسامَ الصقيل الذى قتلت به فى يد القاتل .

---

(٩٧٠) سورة النمل – الآية : ٥٢ .

(٩٧١) هنا سقط ورد بالمدهش (ص ٢٩٨) ورد بين قوسين « فإياك عنى لايكن بك مابيا » .

[شـــاطىء النجـــاة]

يا أخـــى كم شارف بسفينته شاطىء النجاة فوصفت عليها[972] ريح الخذلان وما بقى للسلامة إلا باع أو ذراع كيف تتقى نبال القدر والقلب بين أصبعين .

شـــعر

وإذا رامـــى المقادير رامـــنـــى فدروع المرء أعـــوان النضـــال .

(973)

إخـــوانى : خوف السابقة وحذر الخاتمة أقلق قلوب العارفين وزادهم انزعاجاً ﴿ **يحول بين المرء وقلبه** ﴾[974] .

قال[975] **أبوعثمان النيسابورى**[976] : كنت مع أستاذى أبى حفص النيسابورى[977] بظاهر نيسابور فتكلم الشيخ فطلبنا لكلامه وطاب لقلوبنا ، فبينما

---

(972) (فوصفت عليها) كذا بالأصل ولعل الصواب (فهبت عليها) .

(*) وقد وردت بالمدهش (ضربها خرق) .

(973) وردت هذه الموعظة لجزء من موعظة بالمدهش (ص ٣٩٤) ، من قوله (خوف السابقة ... إلى قوله : يحول بين المرء وقلبه) .

(974) سورة الأنفال - الآية : ٢٤ .

(975) وردت هذه الحكاية فى طبقات الأولياء لابن الملقن ص٢٥٠ ، ٢٥١ ، كما وردت فى صفة الصفوة (١٢١/٤) .

من قوله (قال أبوعثمان ... إلى قوله : فهذا الذى أبكانى) .

(976) أبوعثمان النيسابورى : هو سعيد بن إسماعيل الحيرى ، ولد بالرى إلا أنه خرج مع شيخه شاه بن شجاع يزوران أبا حفص النيسابورى فزوجه أبوحفص ابنته وتوطن نيسابور حتى مات سنة ٢٩٨هـ بنيسابور وقبره بها ظاهر مع قبر أستاذه أبى حفص الحداد.

[صفة الصفوة (١٠٣/٤)] ، [طبقات الأولياء لابن الملقن ص ٢٣٩]

(977) أبوحفص النيسابورى : اسمه عمرو بن سلم وقيل عمرو بن سلمة ، وهو من أهل نيسابور من قرية يقال لها (كورداباذ) وهو أول من أظهر طريقة التصوف بنيسابور ، =

نحن كذلك إذ نحن بوحش قد نزل من الجبل وجاء إلى بين يدى الشيخ فانزعج الشيخ لذلك وبكى بكاء شديداً فلما سكن عن بكائه سألناه عن ذلك فقال : لما رأيت اجتماع القلوب وطيبها وقع لى أن لو كان لى شاة فذبحتها لكم وجمعتكم عليها فلما استمر هذا الخاطر إلا وهذا الوحش جاء وفعل ما رأيتم فتخيل لى أنى كفرعون لما سأل الله عز وجل أن يجرى له النيل فأجراه له ، فقلت فى نفسى ، وما يؤمننى أن يكون الله سبحانه يوفينى حظوظى كلها فى الدنيا وأبقى فى الآخرة مفلساً فقيراً فهذا الذى أبكانى .

إخوانى : أعلموا أن المتيقظين على شواطىء أنهار الحذر نزول فلو سرتم عن غفلتكم خطوات لاحت لكم الخيم كلما دخلوا سكة من سكك السكون شرع بهم الجزع فى شارع شوارع القلق .

شعر

أسأل عينى كيف طعم الكرى مغالطًا وهو سؤال محال
وكيف بالنوم على الهجر لى والنوم من شرط ليالى الوصال

= كان أحد الأئمة والسادة ، انتمى إليه شاه بن شجاع ، وأبوعثمان سعيد بن إسماعيل وتوفى سنة (٢٧٠هـ) .

[صفة الصفوة (١١٨/٤)] ، [طبقات الأولياء لابن الملقن (ص ٢٤٨)] ، [طبقات الصوفية للسلمى ص ١١٣] .

[أتـؤثرون الأرض على السـماء]

(٩٧٨)

يا معشر العلماء : أتقنعون من الصفات بالأسماء ؟ أتؤثرون الأرض على السماء أفى السكر أنتم أم فى الإغماء أترضون بالثريا الثرى ؟[٩٧٩] ، اتغمضون العيون من غير كرى ؟ أتنامون فمن يحمد السرى ؟ ، أتحيدون وفى الأنف البرى ؟ أتحلون عقد ﴿ **إن الله اشترى** ﴾[٩٨٠]

شـعر

يا قومنا هذى الفضائل[٩٨١] جمة فتخيروا قبل الندامة وانتقوا
إن مسكم ظمأ يقول دليلكم[٩٨٢] لا ذنب لى قد قلت للقوم استقوا

إخوانى : ما لقلب العزم غفل ، ولنجم الحزم قد أفل ، مهلاً فشمس العمر فى الطفل ، أما أرخى لك فى الطول وأمهلت بمد الأجل فاخل بنفسك يا أخى وعاتبها وخذ على يدها وحاسبها ، لعلها أن تأخذ عدتها قبل أن تستوفى مدتها فإن مواهب الأعمار مسترجعة بالأنفاس حتى تستوفى ، أما عاينت الأعيان

---

(٩٧٨) وردت هذه الموعظة متفرقة بالمدهش (ص ٣٩٨ ، ٤٠٢ ، ٤١١) .
من قوله (يامعشر العلماء أتقنعون من الصفات بالأسماء ...إلى قوله (مسترجعة بالأنفاس حتى تستوفى) .

(٩٧٩) أترضون بالثريا الثرى : الثريا : مجموعة من النجوم وتطلق أيضاً على النجفة ، والثرى : التراب .
[اللسان (١١١/١٤ ، ١١٢ – ثرى)] ط. دار صادر .
والمعنى : أترضبون بالحقير وتتركون الثمين .

(٩٨٠) سورة التوبة – الآية : ١١١ .

(٩٨١) كذا بالأصل ووردت بالمدهش (الفوائد) .

(٩٨٢) كذا بالأصل ووردت بالمدهش (نذيركم) والصواب ما ورد بالأصل .

كيف سلكوا ، أما شاهدت الأقران كيف هلكوا ، أما اجتمع الأضداد فى الألحاد واشتركوا ، وخانهم حبل الأمل بعد ما أمسكوا ونوقشوا على ما خلفوا وتركوا ، وصار غاية الأمانى عندهم أن لو تركوا ، تالله لقد سعد من تدبر وسلم من الأذى من تصنبر وهلك مؤثر الهوى وأدبر وكأنكم بالفراق وقد أعذر من أنذر .

شــعر

(٩٨٣)

إن فى نأى زمـان عظـة ... تشغل العاقـل عن ناى رتـام[٩٨٤]

عـرس القوم وغربـان الدجـى ... إنما صـاحت بتقويض الخيـام

وحمامـات الرجى[٩٨٥] صادحـة ... نوحها ينذركم صرف الحمـام

ومطايا السير[٩٨٦] قد زمت لكم ... ودعوا ياقـوم وامضوا بسـلام

أقسـم الساق بكاسات الردى ... ليـدورن على كل الأنـام

قال عبد بن زيـد : سئل أبوبكر الشبلى عن قوله ﷺ « **إذا رأيتم أهل البلاء فاحمدوا الله على العافية** » .

قيـل : من هم أهل البلاء قال : أهل الغفلة عن الله عز وجـل .

« موعــظة »

وقال ذو النون المصـرى : وُصف لى رجل من العُبَّادِ باليمن فسرت إليه ومعى جماعة من الناس يقصدون زيارته فهم شاب به نحول من غير سقم واصفرار

---

(٩٨٣) وردت هذه الأبيات بالمدهش (ص ٤٤٩) .

(٩٨٤) (ناى رتام) كذا بالأصل وبالمدهش (نأى زنام) .

ومعنى رتام : الرتمة خيط يشد فى الأصبع لتستذكر به الحاجة والجمع رتام .

[اللسان (١٢/٢٢٥ - رتم)] ط. دار صادر

(٩٨٥) كذا بالأصل وبالمدهش (الضحى) .

(٩٨٦) كذا بالأصل وبالمدهش (الخيف) .

من غير ألم فعلمت أنها آثار العبادة ، فلما وصلنا إلى الرجل وسلمنا عليه ، وقال له ذلك الشاب : يا شيخ ما دواء الذلل ؟ قال : قطع الأمل ومبادرة الأجل بالكد والعمل ، قال : فما علامة الخوف من الله ؟ قال : يؤمنك حتى يستوى عندك الهرة والأسد ، قال : فسقط الفتى مغشيا عليه والرجل قائم ينظر إليه ، فلما أفاق قال : يا شيخ ومتى يخاف العبد من الله ؟ قال : إذا عرفه ، ثم غاب عنا فلم نره .

شعر

(٩٨٧)

يا صاحبى أطيلا فى مؤانستى	وناشدانى بخلانى وعشاقِى
وحدثانى حديث الخيف إن له	روحاً لقلبى وتسهيلاً لأخلاق
داءُ تقادم عندى من يعالجه	ونفثه بلغت منى من الراقى
ما ضرَّ ريح الصبا لو ناسمت حرق	واستنقذت مهجتى من أسر أشواق
يمضى الزمان وآمالى مصرمة	ممن أحب على مطل وإملاق
يا ضيعة العمر لا الماضى انتفعت به	ولا حصلت على شىء من الباق

(٩٨٧) وردت هذه الأبيات بالمدهش (ص ٣٩٦) .

الفصل الخامس والعشرون

[يا نائماً فى لهوه]

اسمع[988] يا نائماً فى لهوه ، وما نام الحافظ ، لاحظ الهوى[989] فلاحظٌ إلا لملاحظ فلا تغتر ببرد العيش فزمان الحساب قائظ ، لو صح فهمك أغنتك عجائب الدهر عن وعظ كل واعظ ، أما شهد المغرور فعل الموت بصحبه أما ذكره فعل التلف بحبه أما استبدل ضيق المكان برحبه من لم ينتبه بوكزه فسينتبه بسحبه .

شعر

(٩٩٠)

ما لبنى الدنيا غدوا	أهل ضلالٍ وغمة
بصرهم من جهله	كأنه خلف كمه
أنت مقيم سائر	فلا تقل لم أو لمه
هل يرتجى البقاء مَنْ[991]	أوقاته منصرمة
أم هل تدوم لامرئ	شئونه المنتظمة
وعمره يضيق عن	حاجاته المزدحمة

---

(٩٨٨) وردت هذه الموعظة مع بعض التغيير فى ألفاظها وترتيب جملها فى المدهش (ص ٤٥٧) من قوله (يا نائماً فى لهوه ... إلى قوله فسينتبه بسحبه) .

(٩٨٩) كذا بالأصل ووردت بالمدهش (نور الهدى) وما ورد بالمدهش هو الصواب والله أعلم .

(٩٩٠) وردت هذه الأبيات بالمدهش (ص ٤٥٧) .

(٩٩١) ورد الشطر الأول من هذا البيت فى المدهش هكذا (فكل معطى مهل) .

« موعـــظة »

قال أحمد بن عبدالله البكرى[٩٩٢] : حدثنى عبدالله بن الحارث قال : استقبلنى رجل فى بعض طرق الشام عليه بردة قد عقدها بين كتفيه مستنفر كأنه وحشى ، فقلت له : يرحمك الله من أين جئت ؟ قال : من عنده قلت : وأين تريد ؟ قال : إليه ، قلت : ففيم النجاة ؟ قال : فى التقوى والعمل الصالح ، قال : فقلت له : أوصنى بوصية ، قال : أخاف أن لاتقبل ، قلت : أرجوا أن أقبل ، قال : فِرَّ من هؤلاء – وأشار بيده إلى الخلف – واستوحش من الدنيا ، ثم قال : من عرف الدنيا لم يطمئن إليها ومن عرف الآخرة سارع فى طلبها ومن توهمها اشتاق إليها ، ثم قال لى : فهمت قلت : نعم قال : إن القلوب الحية بدون هذا تنتفع .

[مــن عامل الدنيــا خســر]

(٩٩٣)

إخوانى من عامل الدنيا خسر ومن حمـل فى صف طلبها كسر ، وإن خلاص محبتها منها عسر ، وكل عاشقيها قد قبر[٩٩٤] وأسر ﴿ **فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر** ﴾[٩٩٥] .

---

(٩٩٢) أحمد بن عبدالله البكرى : أحمد بن عبدالله بن محمد ، أبوالحسن البكرى : قصص قال فيه الذهبى : « واضع القصص التى لم تُكن قط » ونعته بالكذاب الدجال وقال شارح مجانى الأدب : توفى فى أواسط القرن الثالث للهجرة ، ولم يسم مصدره [الأعلام (١٥٥/١ ، ١٥٦)] .

(٩٩٣) وردت هذه الموعظه متفرقه فى المدهش (ص ٣٩٧) ثم (ص ٣٩٤) ، من قوله (اخوانى من عامل الدنيا ... إلى قوله تصدق علينا) .

(٩٩٤) (قبر) كذا بالأصل وبالمدهش (قيد) .

(٩٩٥) سورة الأحزاب – الآية : ٢٣ .

شعر

أرى الشهد يرجع مثل الصبر فما لابن آدم لا يعتبر
وخبره صادقٌ فى الحديث فإن شك فى ذاك فليختبر
ودنياك فالق بطول الهوان فهل هى إلا كجسر عبر

يا طالباً ما لايدرك تتمنى البقاء وما تترك ، كأنك بالحادى وقد أبرك وهل غير الحصاد لزرع قد أفرك ؟

شعر

فلا تنصب خيامك فى محل ومنه[996] القاطنون على ارتحال

يا هذا : لو خرج قلبك بالتوبة من حبس الهوى إلى بيداء الإنابة جرت خيول الدمع كالمرسلات عرفاً ، اسمع يا من يصبر على الهوى صبر يوسف تعين لك حزن يعقوب فإن لم تطق فذل إخوته يوم ﴿ **تصدق علينا** ﴾[997] ليس تسمع خطاب العزيز على العرش يوم العفو ﴿ **لا تثريب عليكم اليوم** ﴾[998] .

« حكاية بشرى »

حكى عن بعض الصالحين أنه قال : كان إلى جانبى عجوز وكان لها ولد مسرف على نفسه فلما حضرته الوفاة ، قال : يا أماه ضعى خدى على الأرض ففعلت فجعل يبكى ويتضرع فلما أشرف على الموت قال : يا أماه بالله عليك لا تعلمى أحدا بموتى واجعلى قبرى فى زاوية بيتى فإنى آذيت جيرانى من الأحياء فى الدنيا وما أحب أن أؤذى جيرانى من الأموات فى الآخرة ، قال : ففعلتْ أمه

---

(٩٩٦) كذا بالأصل وبالمدهش (فإن) .
(٩٩٧) سورة يوسف – الآية : ٨٨ .
(٩٩٨) سورة يوسف – الآية : ٩٢ .

ما أمرها به ودفنته فى بيته فلما كان فى بعض الليالى رأته فى المنام وهو على رياض حسنه وقصور مزينة وبين عينيه مكتوب بالنور هذا عبدٌ اعترف بذنبه فعتق ، قالت أمه : فقلت له : يا ولدى وكيف وصلت إلى هذه المنزلة ؟ فقال لها : يا أماه لما قبضت أوقفنى الحق بين يديه وقال لى : يا عبدى هجرك الناس حنقا عليك وأغلقوا أبواب الرحمة بين يديك كأن عفوى ضاق عن سيئاتك أو كأن خزائن ملكى مفتقرة إلى حسناتك فقد رحمت افتقارك وتذللك وتضرعك اذهب فقد غفرت لك .

شعر

(٩٩٩)

أبـــدا نفـــوس الطـــالـــبين إلى طولـكـــم تحـــن
وكـذا القلـــوب بذكركـــم عنـــد المخافـــة تطمئـــن

« بشـــرى »

قال بعض الصالحين : كان إلى جانبى شاب من المسرفين على نفسه فلما حضرته الوفاة جلس أهله يبكون حوله ، وجعلت أمه توبخه وتلومه على ما كان يصنع وجعل أبوه يقول له : يا بنى هذا المصرع الذى حذرتك ، هذا المضجع الذى أنذرتك إياه ، ثم وضع وجهه على وجهه وجعل يقول :

قد كنت أنذرك الحمـام وخطبه فالموت عن ميعاده حتى أتـى
واحســرتى لو كان يرجعُ ما مضى أو كان قولى نافعُ واحسرتى

قال : فلما سمعه الشاب فتح عينيه وأشار إلى أبيه وإلى أمه أن أقربا منى ، فلما قربا منه قال لهما : إن الله عز وجل رد أمرى إليكما هل كنتما تعذبانى فقالا لا والله لو أمكننا فديناك بأنفسنا فقال : إن الله أرحم بى منكما وأبر ولقد وصل

(٩٩٩) ورد هذان البيتان بالمدهش (ص ٥٢٤) .

إلىَّ بره وحنانه ورفقه وإحسانه قبل أن يكون منكما شيء من ذلك ثم مات من ساعته ، فرُئى بعد موته فى المنام فقيل له : ما فعل الله بك ، فقال : أوقفنى بين يديه وقال لى : يا عبدى من أين علمت أنى رحم بك من أمك وأبيك وأن رأفتى وصلت إليك قبل رأفتهما قال : بك يارب حين كنتُ فى الأحشاء صورتنى وحفظتنى ووقيتنى وغذيتنى ولم تزل تلطف بى إلى أن أخرجتنى فى أحسن تقويم فمن أبرَّ بى منك قال : صدقت يا عبدى اذهب فقد غفرت لك . واعجبا للغافلين عن هذا المحسن كيف غفلوا وللمشتغلين عن هذا المنعم بماذا اشتغلوا ، يا هذا والله لو بعث لحظة من وصلنا بعمر نوح فى ملك قارون لغبنت لا بل بما فى الجنان ما ربحت ومن ذاق عـرف .

« حـــكاية »

قال محمد بن معاذ : أخبرتنى أمى قالت : أخبرتنى امرأة من الصالحات كانت تختلف إلىَّ وكانت كثيرة العبادة قالت : رأيت فى المنام كأنى أُدخلتُ الجنة وإذا أهلها قيام على أبوابها فقلت : ماشأنهم فقيل لى : خرجوا ينتظرون قدوم امرأة من المتعبدات قد زخرفت لها الجنان فقلت : ومن هى قالوا : أمة سوداء يقال لها شعوانة ، فقلت : هى أختى ورب الكعبة قالت : فبينما أنا كذلك وإذا بها قد أقبلت على نجيب يطير بها فى الهواء فلما رأيتها ناديتها يا أختاه أما ترى مكانى من مكانك فلو دعوت الله أن يلحقنى بك فنظرت إلىَّ وهى مبتسمة ثم قالت : لم يأن قدومك الآن ولكن احفظى اثنتين وعليك بملازمتهما قلت : وما هما قالت : ألزمى قلبك الحزن وقدمى محبة الله على هواك ولا تبالى متى مت .

شعر

لما[1000] وردنا التعلبة[1001] حيث مجتمع الرفاق
وشممت من أرض الحجاز نسيم أرواح[1002] العراق
أيقنت لى ولمن أحب بجمع شمل واتفاق
وضحكت من طيب الوصال كما بكيت من الفراق
مابيننا ألا تصرم هذه السبع الطباق[1003]
حتى يطول حديثنا بصنوف ما كنا نلاق .

اسمع يا من[1004] أعمى الهوى بصره وأصم سمعهُ يا من أعماله رياء وسمعه ، يا من إذا قام إلى الصلاه لم يخلص لله ركعة ، يا نائماً فى انتباهه إلى متى هذه الهجعة انتبه ترى خيام القوم قد ضربت فى وادى الدجى على شواطىء أنهار الدموع ، خلوا والله بالحبيب وطال الحديث عين تبكى من المحبوب وأخرى تبكى عليه لفظه تشكو منه وأخرى تشكى إليه يرى نائم بمحبته وعطش محروق إلى رؤيته .

شعر

إنا[1005] ليجمعنا الزمانُ[1006] وكلنَا نبكى على شجنٍ من الأشجان

(١٠٠٠) وردت هذه الأبيات فى المدهش (ص ٥٢٤) .
(١٠٠١) كذا بالأصل وبالمدهش (القادسية) .
(١٠٠٢) كذا بالأصل وبالمدهش (أنفاس) .
(١٠٠٣) كذا بالأصل وبالمدهش (البواق) .
(١٠٠٤) وردت هذه الموعظة بتغيير فى ترتيب جملها فى المدهش (ص ٣٩٧) .
من قوله (يا من أعمى الهوى بصره ... إلى قوله : إلى متى هذه الهجعة) .
(١٠٠٥) ورد هذا البيت فى المدهش (ص ٤١١) .
(١٠٠٦) كذا بالأصل وبالمدهش (البكاء) .

يا أخى[١٠٠٧] : من لم يكن له مثل تقواهم لم يدر ما الذى أبكاهم ، من لم يشاهد جمال يوسف لم يدر ما الذى آلم قلب يعقوب .

شعر

من[١٠٠٨] لم يبت والحب حشو فؤاده   لم يدر كيف تُفتتُ الأكباد

قال ابن أبى الحوارى: دخلت على أبى سليمان فوجدته يبكى فقلت له : ياأستاذ ما الذى أبكاك فقال لى : يا أحمد إذا جن الليل على المحبين صفوا أقدامهم وأجروا دموعهم على خدودهم فإذا كانوا كذلك أشرف الحق عليهم ونادى ياجبريل بعينى من تلذذ بكلامى واستراح إلى مناجاتى وأنا المطلع عليهم اسمع حنينهم فناد فيهم ما هذا الجزع ؟ الذى أراه بكم ، هل أخبركم مخبر أن حبيبا يعذب حبيبه فى النار ؟ فبعزتى حلفت لأجعلنَّ هديتى لهم إذا وردوا علىَّ يوم القيامة أن أكشف لهم عن وجهى الكريم ثم أنظر إليهم وينظرون إلَّى افتلومنى يا أحمد إن بكيت عن تخلفى عن هؤلاء القوم .

شعر

أما وغرامى حلفه استلذها   لقد كدت من ذكراك بالروح أشرق
وأهدى ما ألقى من الحب أننى   على النأى أطفو فى الدموع وأغرق

(١٠٠٩)

وأسفاً لمنقطع دون الركب ، متأخر عن لحاق الصحب ، يعد الساعات فى متى ولعل ، ويخلو بفكره فى بيت عسى ، ذكر الوصال فى زمن الهجر تلفٌ ، خصوصاً إذا لم يكن من الحبيب خلف .

(١٠٠٧) وردت هذه الموعظة بالمدهش (ص ٤١٣) ، من قوله (من لم يكن له مثل تقواهم ... إلى : آلم قلب يعقوب) .

(١٠٠٨) ورد هذا البيت فى المدهش (ص ٤١٣) .

(١٠٠٩) وردت هذه الموعظة بالمدهش (ص ٤١٥ ، ٤١٧) فى أماكن متفرقة . من قوله (وأسفاً لمنقطع ... إلى قوله : مقامات المخالفة) .

قال ابن(١٠١٠) مسروق : كنت أمشي مع الجنيد فى بعض دروب بغداد فسمع منشدا يقول :

منازلاً كنت تهواهَا وتألفها ... أيام كنت على الأيام منصور

قال : فبكى الجنيد بكاءً شديد وقال : ما أطيب منازل الألفة والأنس وما أوحش مقامات المخالفة والهجر .

شــعر

[المهيار](١٠١١)

ياليلتى بذات الشيح والضـال(١٠١٢) ... ومنبتُ البانِ من نعمان عودا لى

يا مرابعَ أطـلالٍ بذى سلـمٍ ... لهفى على ما مضى من عصرك الخالِ

ويا مآرب نفسى والذيـن هم ... بالوصل والهجر أغلالى وأبلالى

قد كان قلبى بكم مأوى السرور فمذ ... نأيتم صار مأوى كل بلبالى

فلو شربت بعمرى ساعة سلفت ... من عيشى معكم ما كان بالغالِ

ما لى أعلل نفسى بالوقوف على ... منازلٍ أقفرت منكم وأطـلال

من لى بكتمانِ ما ألقاه من ألمٍ ... وظاهرى معربٌ عن باطنِ الحالِ

قالوا تشاغل عنا وأصطفى بدلاً ... منا وذلك فعل الخائنِ السالى

وكيف أشغل قلبى عن محبتكم ... بغير ذكـركم ياكل أشغـالى

(١٠١٠) ابن مسروق : أحمد بن محمد بن مسروق ، أبوالعباس من أهل طوس بخراسان سكن بغداد ومات بها سنة ٢٩٨هـ ودفن فى مقابر باب حرب وتقع فى ضاحية بغداد وكان عمره : ٨٤ سنة [صفة الصفوة (١٢٨/٤)] ، [طبقات الصوفية (ص ٢٣٧)] للسلمى .

(١٠١١) نسب صاحب المدهش هذه الأبيات (للمهيار) [المدهش (ص ٤١٧)] .

(١٠١٢) الشيح والضال : من وانواع النبات ، فالشيح : نبات سهل له رائحة طيبة وطعم مر والضال : نبات السدر البرى . [اللسان (٥٠٢/٢ - شيح ، (٢٩٧/١١ - ضيل)] ط. دار صادر .

[أربــاب الإخــلاص]

(١٠١٣)

واشوقاه إلى أرباب الإخلاص ، واتوقاه إلى رؤية تلك الأشخاص قيدتنا والله قيود الشواغل عن سبيل المكارم وكيف يطمع فى لحاق الطير مقصوص القوادم ، فتعالوا بنا نصيح بالسائرين لعل عطفا ينعطف علينا بعطف رحمة فقد تَرِقُّ الساقة لأهل الفاقة .

شــعر

[المهيار][١٠١٤]

ردوا لنا يوماً ولو ساعة على الغضى من عيشنا الزائل
لى زلةُ السائِل ما بينكم فلا تفتكم عزة الباذل

(*)

إخــوانى : مصيبتنا فى التفريط واحدة وأهل المصائب[١٠١٥] أهل واحدة[١٠١٦] ومجالس الذكر مأتم الأحزان[١٠١٧] هذا يبكى لإعراض محبوبه .

(١٠١٣) وردت هذه الموعظة فى المدهش (ص٤١٨) ثم (ص ٤١٢) بتغير فى اللفظ دون المعنى من قوله (واشوقاه إلى أرباب الإخلاص ... إلى قوله لأهل الفاقة) .

(١٠١٤) نسب صاحب المدهش هذين البيتين (للمهيار) [المدهش ص ٤١٢] .

ديوان شعره (٢١٨/٣) [هامش المدهش (ص ٤١٢)٠] .

(*) وردت هذه الموعظة بالمدهش (ص ٤١١ ، ٤١٢) متفرقة .

من قوله (إخوانى : مصيبتنا فى التفريط واحدة ... إلى قوله : يا مطرب السر ردد) .

(١٠١٥) كذا بالأصل وبالمدهش (الأحزان) .

(١٠١٦) ليست هذه اللفظة بالمدهش .

(١٠١٧) هنا سقط أثبته المدهش هكذا (هذا يبكى لذنوبه وهذا يندب لعيوبه وهذا على فوات مطلوبه) [المدهش (ص ١١٢)] .

شعر

يتشاكى الواجدون جوى واحداً والوجدُ ألوانُ

يا نائح الفكر نضد ، يا نادب الحزن عدد ، يالائم النفس شدد ، يا رامى القلب سدد ، يا جامع الدمع بدد ، يا مطرب السر ردد ، يا مقلق الوجد هدد .

شعر

[المهيار][1018]

نشدتك يا بانة « الأجرع » متى رحَل الحى من لعلع
وهل مر قلبى فى التابعين أم دار ضعفا فلم يتبع
رأيت له بين تلك القلوب إذا اشتبهت أنه الموجع
أدريا ندمى كأس الحديث فكأسى بعدهم مدمعى .

الفصل السادس والعشرون

[عنوان اللحد]

اسمع[1019] يا مقيماً فى دائرة دار الغير ، كم حضرت فيها عبدا محتضر. كم عاينت قبرا يحتفر ، لقد ألانت مواعظها كل صلد حجر أما مصير التلف نذير الخلف ، أما اضطجاع الطفل فى المهد ، عنوان اللحد ، تذكر يا من جنى ركوب الجنائز ، تصور يا من ما وفى طول المفاوز .

(١٠١٨) نسب صاحب المدهش هذه الأبيات (للمهيار) [المدهش (ص ٤١٢)] .

ديوان شعره (٢/٢٤٢ – ٢٥٠) [هامش المدهش (ص ٤١٢)] .

(١٠١٩) وردت هذه الموعظة فى المدهش (ص ٤٤٩) ، من قوله (يا مقيماً فى دائرة دار الغير ... إلى قوله : ألا أنت مواعظها كل صلد حجر) .

شـــعر

بينا ترى الانسان يرتع لاهيا والعيش أحضر والزمــان نظير
وافاه خطب لايقــوم لحسرة رضوى ولا يقوى عليه ثبير

« موعـــظة »

قال أبوالطفيل : جاء[١٠٢٠] رجل إلى داود الطائى[١٠٢١] فقال له : قد عرفت الرحم التى بينى وبينك فعظنى بموعظة أنتفع بها ، فدمعت عيناه ثم قال : يا أخى إن الليل والنهار مراحل ترتعها مرحلة مرحلة إلى أن تبلغ دار الإقامة فإن استطعت أن تقدم كل مرحلة زاداً فافعل وإن الأمر أعجل .

قال أبوالحسن النورى[١٠٢٢] : قالت النملة لسليمان بن داود عليهما السلام : أتدرى لم سخرت لك الريح من بين الأنبياء قال : لا أعلم ، قالت : ليعلمك أن ما اتاك من الملك زواله عنك كسرعة الريح فلا تغتر به .

(١٠٢٠) ورد هذ الأثر فى صفة الصفوة (١٣٨/٣) عن محمد بن إشكاب ولعله هو المقصود بأبى الطفيل هنا من قوله (جاء رجل إلى داود الطائى ... إلى قوله : وإن الأمر أعجل) .

(١٠٢١) داود الطائى : داود بن نصير الطائى ، أبوسليمان من أئمة المتصوفين ، كان فى أيام المهدى العباسى ، أصله من خراسان ، ومولده بالكوفة ، رحل إلى بغداد ، فأخذ عن أبى حنيفة وغيره وعاد إلى الكوفة فاعتزل الناس ولزم العبادة إلى أن مات فيها سنة ١٦٥هـ [الأعلام (٢٣٥/٢)] .

(١٠٢٢) أبوالحسين النورى : أحمد بن محمد النورى ، البغدادى المولد والمنشأ ، خرسانى الأصل من قرية بين هراة ومرو الروذ يقال لها بغشور ، صحب السرى وابن أبى الحوارى وكان من أقران الجنيد ، كبير الشأن ومات فى سنة ٢٩٥هـ .

[صفة الصفوة (٤٣٩/٢)] ، [طبقات الأولياء لابن الملقن (ص ٦٢)] .

اسمع[١٠٢٣] يا من تحدثه الآمال فيستمع وتخوفه الآجال فلا يرتدع وصل الصالحون إلى المنى يا منقطع، صبروا قليلاً فتنعموا طويلاً فكأنه ما جاع قط من شبع .

. قال الكسائي : كنت بمصر وكان الخبز كذا وكذا بدرهم ورأيت الكلاب يعافون الخبز ومر على أيام لم يفتح على فيها بشيء فلما اشتد بى الجوع قلت: إلهى تشبع الكلاب وأنا جائع فنوديت فى سرى أتريد أن أهب لك مصر وتسلب ما فى قلبك فقلت : لا والله الإقالة الإقالة إسراف الأوصاف أوصاف الإسراف سادات العادات عادات السادات أحرار الشيم شيم الأحرار ، أقدموا على الفضائل وتأخرت وكتموا سر محبوبهم وأظهرت .

كان[١٠٢٤] ابن أبى ليلى[١٠٢٥] : إذا دخل داخل وهو يصلى اضطجع على فراشه .

وكان[١٠٢٦] إبراهيم النخعى[١٠٢٧] : إذا قرأ فى المصحف ودخل عليه داخل غطاه .

(١٠٢٣) وردت هذه الموعظة بمعناها فى المدهش (ص ٤٦٤) ، من قوله (يا من تحدثه الآمال ... إلى قوله : ما جاع قط من شبع) .

(١٠٢٤) ورد هذا الأثر فى المدهش (ص ٤٠٠) من قوله (كان ابن أبى ليلى ... إلى قوله : اضطجع على فراشه) .

(١٠٢٥) ابن أبى ليلى: محمد بن عبدالرحمن بن أبى ليلى يسار (وقيل داود) ابن بلال الأنصارى الكوفى : قاض وفقيه ، من أصحاب الرأى ولى القضاء والحكم بالكوفة لبنى أمية ثم لبنى العباس واستمر ٣٣ سنة ، له أخبار مع الإمام أبى حنيفة وغيره ، مات بالكوفة (٧٤ - ١٤٨هـ) [الأعلام (١٨٩/٦)] .

(١٠٢٦) ورد هذا الأثر بالمدهش (ص ٤٠٠) ، من قوله قال إبراهيم ... إلى (غطاه) .

(١٠٢٧) إبراهيم النخعى : هو إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود أبوعمران النخعى، من مدحج: من أكابر التابعين صلاحاً وصدقاً فى الرواية وكان حافظاً للحديث من

قيل : كان لسهل بن عبدالله خادم يقال له إبراهيم فاستأذنه فى السفر إلى مكة المشرفة ، فأذن له وأوصاه بأمورٍ وقال له : إذا دخلت بين المقدس فاطلب موضع كذا وكذا فإن فيه شابا عليه أطمار رثة(١٠٢٨) نحيل الجسم مصفر اللون أكثر أوقاته رأسه بين ركبتيه ، فسلم عليه عنِّى واسأله الدعاء ثم ودِّعه وسار قال : فلما حج ورجع دخل على سهل ونحن جلوس عنده فقبل يده وجلس فجعل يسأله عما جرى له فى سفره فأخبره ثم سأله عن ذلك الشاب الذى ببيت المقدس فقال : لقيته وبلغته السلام ثم أمسك عن الكلام هيبة للشيخ فلما قام الشيخ انفردنا به وسألناه فقال : دخلت بيت المقدس وجئت إلى الموضع الذى وصفه الشيخ فوجدت الشاب بصفته ونعته فلما أبصرنى قال : دَلَّكَ علىَّ سهل ، وعزة ربى لأفضحنَّه كما فضحنى امض فإن سهلا خلف تلك الاسطوانة قال : فمضيت فوجدت سهلا عند الاسطوانة قائما يصلى فغشيتنى منه هيبة حتى أغمى على ثم أفقت فلم أجد الشيخ وأتيت موضع الشاب فلم أجده .

واعجبا كيف يورى المحب غير محبوبه ويدامع وما يخفى مقصوده على السامع .

شـعر

أُخفى كمدى به ودمعى فى الخد على هواه شاهد
فالجفن بلوعتى مقر للعادل واللسان جاحد .

= أهل الكوفة، مات مختفياً من الحجاج قال فيه الصلاح الصفدى: كان إماماً مجتهداً له مذهب . (٤٦ - ٩٦هـ) [الأعلام (٨٠/١)] .

(١٠٢٨) أطماررثة : ثياب بالية قديمة وقيل هو الكساء البالى من غيرالصوف [اللسان (٥٠٣/٤ - طمر)] ط. دار صادر .

(١٠٢٩)

اشـتهر إبراهيم بن أدهم ببلدٍ فطلبه الناس فقيل : هو بالبستان الفلانى فدخل الناس البستان وجعلوا يطوفون ويقولون : أين إبراهيم بن أدهم فجعل يطوف معهم ويقول : إين إبراهيم بن أدهم .

اسـمع يا أخى هذا أدب المحبين ويتبهرجون على الخلق بستر الحال .

شـعـر

[العباس بن الأحنف](١٠٣٠)

قد حرر(١٠٣١) الناسُ أذيال الظنون بنا وفرق الناس فينا قولهم فرقا .
فكاذبٌ قد رمى بالظن غيركم وصادقٌ ليس يدرى أنه صدقـا

لما(١٠٣٢) مرض إبراهيم بن أدهم جعل عند رأسه ما يأكله الأصحاء لئلا يتشبه بالشاكين وهذه والله بهرجة أصح من نقدك .

وقيـل : قرئ(١٠٣٣) على أحمد بن حنبل أن طاووساً كان يكره الأنين فما أنَّ حتى مات .

(١٠٢٩) ورد هذا الأثر بالمدهش (ص ٤٠٠) ، من قوله (اشتهر إبراهيم ... إلى قوله : فجعل يطوف معهم ويقول أين إبراهيم بن أدهم) .

(١٠٣٠) نسب صاحب المدهش هذين البيتين (للعباس بن الأحنف) [المدهش (ص ٤٠٠)] .

ديوان شعره (ص ١٩٩ ، ٢٠٠) [هامش المدهش (ص ٤٠٠)] .

(١٠٣١) كذا بالأصل ووردت بالمدهش (سحب) .

(٢٠٣٢) ورد هذا الأثر بالمدهش (ص ٤٠٠) ، من قوله (مرض إبراهيم ... إلى قوله : أصح من نقدك) .

(١٠٣٣) ورد هذا الأثر بالمدهش (ص ٤٠٠) ، من قوله (قرئ على أحمد ... إلى قوله : فما أنَّه حتى مات) .

شــعر

[للصـردر][1034]

تموت[1035] نفـوس بأوصابهـــا وتـــكتم عوّادِهـــا ما بهـــا
وما أنصفت مهجـــة تشتكـى هواهـا إلى غير أحبابهـــا .

لما[1036] هم الطبع بالتأوه من البلاء كشفت الحقائق سجن[1037] المحبوب فلم يبق لتقتطيع الأيدى أثر .

« حـــكاية »

قال الحسن بن أبى الحسن البصرى : دخلت بعض الديرة فإذا أنا بمجنون مقيد مغلول مشدود إلى سارية فسلمت عليه فرد على السلام وسمَّانى باسمى فقلت له : ومن أين عرفتنى قال : جالت روحى وروحك فى الأسرار فعرفتك بمعرفة الجبار ، فقلت له : أراك حبيبا فكيف رضيت لنفسك هذه الحالة فقال : يا حسن وكيف لا أرضى ما رضى لى به محبوبى .

(١٠٣٤) نسب صاحب المدهش هذين البيتين (الصردر) [المدهش (ص ٤٠١)] .
ديوان شعره : ص ١٣٨ [هامش المدهش (ص ٤٠١)] .

(١٠٣٥) كذا بالأصل وبالمدهش (تفيض) .

(١٠٣٦) وردت هذه الموعظة بالمدهش (ص ٤٠١) ، من قوله (لماهم الطبع ... إلى قوله (لتقطيع الأيدى أثر) .

(١٠٣٧) كذا بالأصل وبالمدهش (سجف) .

شعر

(١٠٣٨)

إن كان جيران الغضى رضوا بقتلى فرضى
صرت لهم عبداً وما للعبد أن يعترضا
والله لا كنت لما يهوى الحبيب مبغضا
من لمريض لا يرى إلا الحبيب ممرضا

ضنى(١٠٣٩) **سويد بن شعبة**(١٠٤٠) على فراشه فكان يقول : والله ما أحب أن الله تقصنى منه قلامة ظفر .

قال بعضهم : مررت(١٠٤١) على مجذوم وقد مزقه الجذام فقلت له : لو تداويت فقال : لو أذن ما توانيت ، قلت : فما تجد لما أتت فيه كربا قال : ولو قطعنى أربا أربا مازدت له إلا حباً .

(١٠٤٢)

إخوانى : بلغت بالقوم المحبة إلى استحلاء البلاء فوجدوا فى التعذيب عذوبة لعلمهم أنه مراد الحبيب .

(١٠٣٨) وردت هذه الأبيات فى المدهش (ص ٢٧٧) .

(١٠٣٩) ورد هذا الأثر بالمدهش (ص ٢٧٦) ، من قوله (ضنى سويد ... إلى قوله : قلامة ظفر) .

(١٠٤٠) سويد بن شعبة اليربوعى : من تميم ، وكان من الذين اختطوا بالكوفة ، أيام عمر بن خطاب وكان عظيم الخشية لله [صفة الصفوة (٤٢/٣)] .

(١٠٤١) هذا الأثر ورد بمعناه بالمدهش (ص ٢٧٧) ، من قوله (مررت على مجذوم ... إلى قوله : ما زدت له إلا حباً) .

(١٠٤٣) وردت هذه الموعظة بالمدهش (ص ٢٧٧) ، من قوله (بلغت بالقوم ... إلى : مراد الحبيب) .

شعر

(١٠٤٢)

أرضى رضاه ولو أفضى إلى تلفى(١٠٤٤) وكل ما يفعل المحبوب محبوب

[صلب هامان العابد]

قيل : لما أمر(١٠٤٥) الحجاج بصلب هامان العابد رفع على الخشبة وهو يسبح ويهلل حتى بلغ سبعا وعشرين فبقى شهر بعد موته ويده على ذلك العقد .

شعر

(١٠٤٦)

لتحشرنَّ عظامى بعدما بليت يوم الحساب وفيها حبكم باقـى

اسمع يا مقيداً بقيود التعويق ، أين أنت والطريق اسبيل نصب فيه آدم وناح لأجله نوح ورمى فى النار الخليل واضجع للنحر إسحاق(*) وبيع يوسف بدراهم ونشر بالمنشار زكريا وذبح الحصور يحيى وضنى بالبلاء أيوب وزاد على المقدار بكاء داود وتنغص فى العيش ملك سليمان وتحير تردان موسى وهام مع الوحش عيسى وعالج الفقر محمد ﷺ .

(١٠٤٣) هذا البيت ورد بالمدهش (ص ٢٧٦) .

(١٠٤٤) ورد الشطر الأول من هذا البيت هكذا (ارضاء اسخط أو أرض تلونه) .

(١٠٤٥) ورد هذا الأثر بالمدهش (ص ٢٧٧) ، من قوله (أمر الحجاج ... إلى قوله : ذلك العقد) .

(١٠٤٦) ورد هذا البيت بالمدهش (ص ٢٧٧) .

(*) قال ابن القيم فى « الهدى النبوى » : اسماعيل هو الذبيح على القول الصواب عند علماء الصحابة والتابعين ومن بعدهم ، وأما القول بأنه إسحاق فمردود بأكثر من عشرين وجهاً أ.هـ . [زاد المسير ٧٤/٧] .

شعر

فيا دارهم بالحزن إن مزارها   قريبٌ ولكن دون ذلك أهوالُ

[هذه الجادة فأين السالك]

هذه الجادة فأين السالك ، هذا قميص يوسف فأين يعقوب ، هذا طور سيناء فأين موسى ، ياجنيد أحضر ، يا شبلى أسمع ليس كل الخيل للسباق ولا كل الطير تحمل الكتب من الناس من يشغله فى الدنيا سواد ومنهم من لايلهيه فى الجنة قصر ولا يشغله عن حبيبه نهر .

شعر

تقول أُناس فلو تناسا وصالها   وواصل أخرى غيرها لسلاها
فلا نظرت عين تلذ بغيرها   ولابقيت نفس تحب سواها

يا هذا[١٠٤٧] طربجناح الجد من وكر الكسل تابعاً آثار الأحباب تصل يا شبان الجهل يا كهول التفريط يا شيوخ الغفلة هلموا إلى مأتم الأسف على فوات المطلوب ، يا سحائب الأجفان أمطرى على خراب رباع القلوب[١٠٤٨] .

شعر

يا من تجنب صبرى فى تجنبه   هب لى مع الدمع ما أبكى عليك به
حتى متى زفراتى فى تصاعدها   إلى الممات ودمعى فى تصوبه
ولى فؤادٌ إن طال الغرام به   هام اشتياق إلى رؤيا معذبه

(١٠٤٧) وردت هذه الموعظة متفرقة فى المدهش (ص ٢٩٠ ، ٢٩٣) ولم ترد الأبيات الشعرية التى وردت فيها والموعظة من قوله (طر بجناح الجد ... إلى قوله : هلاكان هذا قبل هذا هلا) .

(١٠٤٨) كذا بالأصل وبالمدهش (الذنوب) .

[سـكران الهوى]

إخـواني : سكران الهوى بعيد الإفاقة ، فلو تذكر إقامة الحد زال السكر ، ويحك اغسل العثرة بعَبرة ، وادفع الحوبة(١٠٤٩) بتوبة ، مادام فى الوقت مهلة وفى زمن السلامة فسحة ، قبل أن ترى السمع والبصر قد كلَّا وتقول ﴿ رب ارجعون ﴾(١٠٥٠) فيقال : كلا ، قبل أن يكون دمع الأسى من جفن من أسى منهلا [ويقال](*) هلا كان هذا قبل هذا هلا .

شـعر

قف بالديـارِ فهـذه أثارهُـم تبكى الأحبة حسرةً وتشوقـاً
كم قد وقفتُ بها أسائل مخبراً عن أهلها هل صادقا أو مشفقا
فأجابنى داعى الهوى فى رسمها فارقتَ من تهوى فعزَّ الملتقـا

(١٠٥١)

اسمع يا من كلما استقام تغير ، يا من كلما سار تعثر ، يا من كلما قام قعد يا من كلما تقرب أبعد ، دم على ملازمة الحزن واستروح إلى دوام البكاء وصح بصوت القلق على باب دار الأسف .

(١٠٤٩) الحوبة : الإثم والذنب [الوسيط (٢٠٤/١)] .

(١٠٥٠) سورة المؤمنون : الآية - ٩٩ .

(*) ما بين المعكوفتين سقط استدركناه من المدهش .

(١٠٥١) وردت هذه الموعظة بمعناها بالمدهش (ص ٣٠٣) من قوله (يا من كلما استقام ... إلى قوله : دار الأسف) .

شعر

(١٠٥٢)

ليس لى فيك حيلة غير صبرى على القضا
وبكائى على الزمانِ[١٠٥٣] الذى فات وانقضى

(١٠٥٤)

يا هذا لا تجزع من ذنب جرى ، فرب زلة أورثت تقويما ، تذكر قوله « لو لم تذنبوا »[١٠٥٥] ما لم يقع سهم فى مقتل فالعلاج سهل .

« حكاية مذنب وبُشْر بالرحمة »

قال مالك بن دينار : رأيت بالبصرة قوماً يحملون جنازة وليس معهم أحد فسألتهم عنه فقالوا : هذا رجل من كبار المذنبين وعظماء المسرفين وقد امتنع الناس من تشييع جنازته وليس له صديق ولا حبيب فتبعته حتى صليت عليه وأنزلته فى حفرته ثم انصرفت إلى ظل هناك فنمت فرأيت ملكين قد نزلا من السماء فشقا قبره ونزل أحدهما فقال له الآخر : لا تعجل عليه يا أخى واختبر عينيه ، قال : فرجع وقال : لقد اختبرتها فوجدتهما مملوءتين بالنظر إلى ما لايحل ، قال : فاختبر لسانه ، قال : اختبرته فوجدته مملوءا بالخوض فى الباطل ، قال : فاختبر أذنيه ، قال : قد اختبرتهما فوجدتهما مملوءتين بسماع ما لايحل ، قال : فاختبر يديه قال : قد اختبرتهما فوجدتهما مملوءتين بتناول الحرام ، فاختبر رجليه قال : لقد اختبرتهما فوجدتهما مملوءتين بالسعى إلى المحرمات ، فقال له : يا أخى

(١٠٥٢) وردت هذه الأبيات بالمدهش (ص ٣٠٣) .

(١٠٥٣) كذا بالأصل وبالمدهش (الوصال) .

(١٠٥٤) وردت هذه الموعظة بالمدهش (ص ٣٤٩) من قوله (يا هذا لا تجزع ... إلى قوله : فالعلاج سهل) .

(١٠٥٥) الحديث رواه أحمد (٣٠٩/٢) .

لا تعجل ودعنى أنزل إليه ، فنزل إليه ، أوقام ساعة ، ورجع ثم قال لصاحبه : يا أخى اختبرت قلبه فوجدت فيه ذرة من التوحيد اكتبه مرحوما .

شعر

لا تيأسن وإن أسأت فربما صفح الجليل عن الخليل المائل

« بشرى »

روى فى بعض الأخبار أنه يؤتى يوم القيامة برجل فيحاسبه فلا تبقى له حسنه فيقول الله عز وجل : يا عبدى، هل تجد شيئا من الأعمال الصالحة تقيك من عذابى فيقول : لا يارب لم تترك لى الشهوات ولا أبقت لى اللذات شيئاً من الأعمال الصالحات غير أنى كنت فى الدنيا أعفو عمن ظلمنى ، فيقول الله عز وجل: صدقت يا عبدى هكذا كنت تفعل وأنا اليوم أحق بالعفو عنك وأحق بالجود على فقرك وفاقتك(١٠٥٦) اذهب فقد غفرت لك .

شعر

اطلبوا لأنفسكم مثل ما وجدت أنا
قد وجدتُ سكَناً فى هواه غنا
إن دنوتُ قربنى أو بعدتُ عنهُ دَنا

(١٠٥٦) فاقتك : أى حاجتك . [الوسيط (٢/٧٠٦)] .

الفصل السابع والعشرون

[عقــدة العهــد]

اسمع يا من(١٠٥٧) عهدنا معه يوم ، « ألستُ » لا تحلن عقدة العهد بأنامل الزلل فما يليق بشرف قدرك خيانةَ .

شــعر

بِحُرْمَةِ الـودِّ الـذى بَيْنَنـا لا تُفْسِـدوا الأولَ بالآخِــر

يا هـذا اذكر مطالبتك بالوفاء وأنت فى أضيق خناق ، يا منكر يا نكير انزلا إلى الخارج من بساتين الأرياح فانظرا هل استصحب وردة من اليقين أو شوكة من الشك ؟ .

شــعر

[قيس المجنون](١٠٥٨)

ألا حبـذا نجدٍ وطيبَ ترابِـهِ وأرواحـه إن كان نجدٌ على العهدِ

شجرات ألست تسقى من مياه « هل من سائل » .

(١٠٥٧) وردت هذه الموعظة متفرقة بالمدهش (ص ٢٤٤ ، ٣٤٥) وردت بما فيها من أشعار . من قوله (يا من عاهدناه من يوم « ألست » ... إلى قوله : تسقى من مياه « هل من سائل ») .

(١٠٥٨) نسب صاحب المدهش هذا البيت (لقيس المجنون) [المدهش (ص ٣٤٥)] .

شعر

وَتُذْنِبُــــــــونَ فتــــــا تيكــــم فَتَعْتَـــــذِروا[1059]

قال أبوالقاسم القشيرى[1060] : إن من كرم الله سبحانه وتعالى أن أضاف التوبة على العبد إلى نفسه فالعبدُ يذنب وهو يتوب عليه وهذا غاية الكرم .

قال الله تعالى : **﴿ والله يريد أن يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفا ﴾**[1061] أمة مذنبة ورب غفور .

« بشـــرى »

يروى فى بعض الأخبار عن رسول الله ﷺ أنه دعى لأمته عشية عرفة واستغفر الله لهم فأوحى الله إليه أنى قد غفرت لهم ما بينى وبينهم ولم أغفر لهم ظلمهم بعضهم لبعض فزاد فى الاستغفار وقال : إنك قادر على أن ترضى خصومهم فلم يجبه تلك الليلة فلما كان غداة المزدلفة أوحى الله تعالى إليه بالإجابه ، فتبسم ﷺ وقال : عجبت من عدو الله إبليس لما أجاب الله دعائى صاح بالويل والثبور[1062] ووضع التراب على رأسه .

(١٠٥٩) هذا شطر بيت من الشعر يقول :

إذا مرضنا أتيناكم نزوركم وتذنبون فنأتيكم فتعتذروا .

[المدهش : ٣٤٥]

(١٠٦٠) أبوالقاسم القشيرى : عبدالكريم بن هوازن بن عبدالملك بن طلحة النيسابورى القشيرى ، من بنى قشير ابن كعب ، أبوالقاسم ، زين الإسلام : شيخ خراسان فى عصره زهداً وعلماً بالدين كانت إقامته بنيسابور وتوفى فيها (٣٧٦ - ٤٦٥هـ) [الأعلام : ٥٧/٤] .

(١٠٦١) سورة النساء - الآية : ٢٦ ، ٢٧ .

(١٠٦٢) الثبور : الهلاك [الوسيط (٩٣/١)] .

وفى بعض الروايات(١٠٦٣) أن رسول الله ﷺ كان فى بعض أسفاره فمر بامرأة ومعها صبى لها فقيل لها : إن رسول الله ﷺ يمر بك فلما مر قالت : يا رسول الله بلغنى أنك قلت إن الله أرحم بعباده منّى بولدى أفهو كما قيل إلىَّ ؟ قال : نعم ، قالت : فإن الأم لا تلقى ولدها هذا فى التنور قال : فبكى رسول الله ﷺ وقال : **إن الله لايعذب إلا [من]**(١٠٦٤) **أنف أن يقول لا إله إلا الله** .

وقد ورد فى بعض الأخبار(١٠٦٥) أنه يؤتى يومَ القيامة بشيخ فيوقف بين يدى الله عز وجل فيقول له : يا شيخ ما أنصفت غذيتك بالنعم صغيرا فلما كبرت عصيتنى ، أما إنى لا أكون لك كما كنت لنفسك اذهب فقد غفرت لك ، فسبحان من على الكل فضلك ولتوحيده أهلك وبوصف اصطفائه حملك .

وأيضاً ورد فى بعض الأخبار : إن الله تعالى خلق لجبريل عليه السلام ستمائة جناح كلها مرصعة بالدر والياقوت وجلاجل الذهب محشوة بالمسك ولكل جلجل منها صوت لا يشبه صوت الآخر وأن إسرافيل عليه السلام إذا أخذ فى التسبيح عطل على الملائكة تسبيحهم بحسن صوته وطيب نغمته وأن نور العرش لو بدا لصار نور الشمس بالإضافة إليه كنور السراج بالإضافة إلى نور الشمس إلى غير هذا من أنوار المخلوقات ثم أنه جل جلاله وتقدست أسماؤه لم يقل لشىء منها خلقته فى أحسن تقويم إلا لهذا الشخص المخلوق من سلالة من طين .

(١٠٦٣) أخرجه ابن ماجه بنحوه (١٤٣٦/٢) رقم (٤٢٩٧) .

(١٠٦٤) سقط أثبتناه ليتسق المعنى .

(١٠٦٥) كون جبريل خلق له ستمائة جناح مروى فى صحيح سنن الترمذى (١١٠/٣) ، (٢٦١٣ ، ٣٥٠٨) وقال الألبانى صحيح وعلق عليه الترمذى بقوله : هذا حديث صحيح غريب .

[ســلعة العبوديــة]

(١٠٦٦)

عرضت سلعة العبودية فى سوق البيع فبذلت الملائكة نقد ﴿ **ونحن نسبح** ﴾(١٠٦٧) فقيل : ما تؤثر سكة دراهمك ، فإن عجب الضارب بسرعة الضرب أوجب طمسا فى النقش فقال آدم : ما عندى إلا فلوس إفلاس ، نقشها ﴿ **ربنا ظلمنا أنفسنا** ﴾(١٠٦٨) فقيل : هذا الذى ينفق علينا من خزانه الخاص ، أنين المذنبين أحب إلينا من زجل المسبحين ، انظر إلى سبق محبته لهم قبل إيجادهم بقول : ﴿ **يحبهم ويحبونه** ﴾(١٠٦٩) ، هل قال هذا لملك مقرب أو مخلوق على جمال الصورة مركب ، كلا إن هذا لأولاد آدم خصوصية ولهم بها على أمثالهم مزية فضلا من الله عز وجل ونعمة وإحسانا بدأهم به ومنة عليهم ورحمة ما يحتاج أن نناظر الملائكة بالأنبياء بل نقول هاتوا مثل عُمَر كل الصحابة هاجروا سراً وعُمَر هاجر جهراً ، وقال للمشركين قبل خروجه : ها أنا على عزم الهجرة فمن أراد أن يلقانى فليلقنى فى بطن هذا الوادى .

للعزائم رجال ليسوا من أبنائنا وطنوا أنفسهم على الموت فحصلت لهم الحياة الحيوان المهبر على ثلاثة أقسام فالملائكة خلقت من صفاء لا كدر فيه والشياطين من كدر لا صفاء فيه والبشر مركب من الضدين فالعجب أن تقوى هذه على التقوى ، تقديس الملائكة يدور على ألسنة لاتشتاق إلى الفضول بالطبع ، سبح بتسبيحهم عقود ما نظمتها أكف التكليف ثمرات زروعهم نشأت لا عن تعب سقاها سبح العصمة فى زكوان تعبدهم قدر الواجب ﴿ **ويستغفرون لمن فى الأرض** ﴾(١٠٧٠) فلما يجرى بحر الأمانه يوم ﴿ **إنا عرضنا** ﴾(١٠٧١) وقفت

(١٠٦٦) وردت هذه الموعظة بالمدهش (ص ٤٢٨) من قوله (عرضت سلعة العبودية ... إلى قوله : أحب إلينا من زجل المسبحين) .

(١٠٦٧) سورة البقرة – الآية : ٣٠ .

(١٠٦٨) سورة الأعراف – الآية : ٢٣ .

(١٠٦٩) سورة المائدة – الآية : ٥٤ .

(١٠٧٠) سورة الشورى – الآية : ٥ .

(١٠٧١) سورة الأحزاب – الآية : ٧٢ .

الملائكه على الساحل ونهضت عن يمة الآدمى لسلوك سبيل الخطر بلالا ، لإقدام المحبين أقدام .

شعر

يا ساكنى رامة ما صبونى نكر بالطاعنين ولا وجدى بِهِمْ عجبُ
لا تُنْكِروا قَلَقَ المشْتَاقِ بَعْدَهُمُ فما الهوى عبثٌ منَّا ولا تعبُ
هو الغرامُ فأولى صبرنا جزع إذا توالا وأدنى فعله عجبُ

كم فى السموات من ملك يسبح ، مرتبة ﴿ **تتجافى** ﴾[1072] ولا يعرف طعم طعام « هل من سائل » ، ولا حظى بمقام و« لخلوف » ، فسبحان من اختارك على الكل وجادل عنك قبل وجودك بقول ﴿ **إنى أعلم** ﴾[1073] يا جوهرة مضيئة يالقطة تداس كل الأشياء مخضة وأنت الزبد مكنون اختبارنا لك واضح الخط غير أن استخراج عقلك ضعيف متى رمت طلبى فاطلبنى عندك .

يروى أن موسى عليه السلام قال فى مناجاته : يارب إذا سألك العارف وقال يارب ماذا تقول له ؟ ، قال : لبيك ، قال : فإذا سألك العابد ماذا تقول له ؟ قال : لبيك . قال : فإذا سألك العاصى ماذا تقول له ؟ قال : لبيك مرتين قال موسى : يارب كيف ذلك ؟ قال : لأن كلاً من هؤلاء مدل[1074] بعمله والعاصى لم يقبل عليَّ إلا بعد افتقاره إلَّى فهو ينادى بِذُلٍ وافتقارٍ وخضوع وانكسارٍ وأنا عند المنكرة قلوبهم .

(١٠٧٢) سورة السجدة - الآية : ١٦ .
(١٠٧٣) سورة البقرة - الآية : ٣٠ .
(١٠٧٤) مدل : أى منان بعمله . [الوسيط (٢٩٤/١)] .

(١٠٧٥)

يا معاشر المذنبين لا تبرحوا من باب الذل فأقرب الخطائين إلى العفو المعترف بالذلل ، ما انتفع آدم فى بلية (وعصى) بكمال (وعلم) ولا رد عنه عز (اسجدوا) وإنما خلصه ذل (ظلمنا) .

قال السرى رضى الله عنه : بت ببعض قرى الشام فسمعت طائرا على شجرة يقول : أخطأت لا أعود ، فقلت لأهل القرية ما اسم هذا الطائر ؟ قالوا : فاقد إلفه .

شـــعر

[المهيار](١٠٧٦)

تَأَوّهتْ تأوه الأســـيـــرِ ورقـاء فوق(١٠٧٧) ورقٍ نضيرِ
تَنْطِقُ عَنْ قَلْبٍ لها مكسـورٌ كَأَنَّهــا تخبر عن ضمــير .

ما احسن خضوع التواب ، ما ألذ وقوفهم على الباب فاعتبروا يا أولى الألباب .

شـــعر

يا سَائلى عَنْ حُكْمِ سُلْطانِ الهوى هلا نظرتَ لعزِّهِ وهـــوانى
أو ما ترانى كيفَ ذُبْتُ صَبَابَــةً خوفَ النوى وحبيب قلبى دانـى
يَاويحَ صبٍ فى هـواكَ متيمٌ لَمْ يَشْتَغِلْ مَنْ هَامَ فيكَ بثانـى

(١٠٧٥) وردت هذه الموعظة باختصار بعض جملها ، بالمدهش (ص ٤٠٦) من قوله (يا معاشر المذنبين ... إلى قوله : قالوا : فاقد إلفه) .

(١٠٧٦) نسب صاحب المدهش هذين البيتين (للمهيار) [المدهش (ص ٤٠٧)] .

ديوان شعره (٣٤٥/١) [هامش المدهش (ص ٤٠٧)] .

(١٠٧٧) كذا بالأصل وبالمدهش (ذات) .

أفنيتنى عمن سواك تعززا فبقيت مُرْتَهنا بِحُبك عانى
فا منن عليَّ بنظرةٍ أحيا بها فالصبر بَعْدَكَ خَانني وجفانى

[مقام المراقبة]

(١٠٧٨)

نزل آدم عن مقام المراقبة درجة فكان يبكى بقية عمره على ديار الوفى برد العيش بالهوى لحظة أثمر حرارة القلق ألف سنة ، وأنت تلهو [برند][١٠٧٩] الصبا وبانه ، ويروقك بروق الهوى بلمعانه ، وتغتر بعيش فى عنفوانه ، وتمد يد الغفلة لجنى أغصانه ، وتنسى أنك فى حريم حظره وامتحانه ، أما[١٠٨٠]أنذرك بياض الشمط[١٠٨١]؟ ، أما يبكيك قبح ما متك قرط ؟ إلى متى تجرى فى الهوى على نمط ؟ إلى متى تضيع وقتا ما مثله يلتقط ؟ ، يا من يهفو أو ينسى والملك قد ضبط ؟ يا منفقا نعم المولى على العصيان هذا هو الشطط .

قيل : وقف جماعة على راهب فقالوا له : إنا سائلوك عن مسائل أمجيبنا أنت ؟ قال : سلوا ولا تكثروا فإن النهار لن يرجع والقمر لن يعود والطالب حثيث فى طلبه ذو اجتهاد ، قالوا : أوصنا يا راهب قال : تزودوا على قدر سفركم فإن خير الزاد ما بلغ المحل .

(١٠٧٨) وردت هذه الموعظه بتغيير فى ترتيب جملها بالمدهش (ص ٣٦٠ ، ٣٦١) .

(١٠٧٩) ما بين المعكوفتين سقط استدركناه من المدهش .

(١٠٨٠) وردت هذه الموعظة باختصار لبعض الألفاظ بالمدهش (ص ٣٥٠) ، من قوله (أما أنذرك بياض الشمط ... إلى قوله : هذا هو الشطط) .

(١٠٨١) الشمط : اختلاط بياض الشعر بسواده . [اللبسان (٣٣٦/٧ – شمط)] ط. دار صادر .

شـــعر

(١٠٨٢)

حَياتُك أنفاسٌ تُعَدُّ فكلما ... مضى نَفسٌ منها أنقصتَ به جزءا
فتصبحُ فى نقصٍ وتأتى[١٠٨٣] بمثله ... أما لكَ معقول تحسُ به رزءا
يُميتُكَ ما يُحييكَ فى كلِ ساعةٍ ... ويحدوك حادٍ ما يريد بكَ الهزءا

يروى عن بعضهم أنه قال : دخلت على فقير فلم أجد فى بيته شيئا من المتاع فقلت له : أما عندك شيء من المتاع ؟ قال : بلى ولكن لنا داران ، دار خوف ودار أمان ، فنقلنا ما كان فى دار الخوف إلى دار الأمان ليكون محفوظا إلى وقت الحاجة ، يعنى بذلك إنفاقه فى سبيل الله .

(١٠٨٤)

أين وصفك من أوصاف القوم ، أين اليقظة من النوم ، صعد القوم ونزلت ، وجدُّوا فى الجدِّ وهزلت ، كانوا فى طلب العلا يجتهدون ولا يرضون من الدنيا بدون لا جرم ، إنهم كانوا يعانون فيما يعانون لم يزل القوم مع الحق حاضرون وعن الخلق غائبون فقولوا لعاذليهم : لمن يعذلون .

قيل بقى بشر خمسين سنة يشتهى شهوة وما صفا له ثمنها وقد أنفقتم بضائع أعمالكم كلها فى الشهوات من الشبهات ، أبشروا بطول المرض يا مخلصين .

قال بنان الجمال : أقمت مطروحا على باب بنى شيبة سبعة أيام لم أذق شيئا فنوديت فى سرى ، من أخذ من الدنيا فوق ما يكفيه أعمى الله عين قلبه .

(١٠٨٢) وردت هذه الأبيات بالمدهش (ص ٤٥٣) .

(١٠٨٣) كذا بالأصل وبالمدهش (وتمسى) وما ورد بالمدهش هو الصواب .

(١٩٨٤) وردت هذه الموعظة متفرقة بالمدهش (ص ٤٦٦ ، ٤٦٧) ، من قوله (أين وصفك من أوصاف القوم إلى قوله : أبشروا بطول المرض يا مخلصين) .

(١٠٨٥)

يا هذا أكبر الإنعام كف فضول الدنيا عنك ، إذا رأيت سربال الدنيا قد تقلص عنك ، فاعلم أنه لطف بك ، لأن المنعم لم يقلصه بخلا أن يتمزق ولكن رفقا بالماشى أن يتعثر .

[**يا تائهاً فى فلاة الغفلات**]

اسمع يا تائها فى فلاة الغفلات اعل باقدام الهمة(١٠٨٦) تنشر(١٠٨٧) الفكر تلح لك البلد يا هذا كم أسرعت فيما يؤذى دينك وتدانيت(١٠٨٨) ، كم كسرت إناء قلبك وما شبعت ؟ كم فاتك من خير وما اكتأبت ؟ ، يا كاسب الخطايا بئس ما كسبت تؤثر ما يفنى على ما يبقى ، ما أصبت ، تصيح تائباً فإذا أمسيت كذبت ، تمشى مع اليقين فإذا قاربت انقلبت ، تعمر ما لايبقى وما يبقى خربت .

شـــعر

دار تسافرُ عنها فى غدٍ سفرا ... فلا تؤوبُ إذا سافرتَ من سفرِكَ
تَضْحَى غدا أسمر للذاكرينَ كما ... كان الذين مَضَوْا بالأسرِ من سمرِكَ

يحكى عن بشر الحافى رضى الله عنه أنه قال : رأيت على بن أبى طالب كرم الله وجهه فى المنام فقلت له : عظنى يا أمير المؤمنين ، فقال لى : ما أحسن عطف الأغنياء على الفقراء طلبا للثواب ، وأحسن من ذلك تيه الفقراء على الأغنياء ثقة بالله ، فقلت : زدنى يا أمير المؤمنين فقال :

قَدْ كنت مَيتاً فصرت حياً ... وعن قريبٍ تصير ميتاً
عزَّ بدار الفناءِ فنيتَ ... فابن بدارِ البقاءِ بيتاً

(١٠٨٥) وردت هذه الموعظة متفرقة بالمدهش (ص ٤٥٣ ، ٤٥٤) ، من قوله (أكبر الإنعام كف فضول الدنيا عنك إلى قوله : ومايبقى خربت) .

(١٠٨٦) كذا بالأصل ووردت بالمدهش (الذهن) والصواب ما ورد بالأصل .

(١٠٨٧) كذا بالأصل ووردت بالمدهش (نشز) والصواب ما ورد بالأصل .

(١٠٨٨) كذا بالأصل وبالمدهش (ودأبت) وكلاهما صواب .

الفصل الثامن والعشرون

[النــــدم]

يا ابن آدم اشبهت أباك فى المخالفة فتشبه به فى الندم ، فالويل لمن أحكم عقدة الإصرار أيها العاصي تفكر فى حالة أبيك وتذكر بما جرى له ويكفيك ، أبعد بعد القرب من ربه ، وأخرج من الجنة يوم ذنبه وأسره العدو تجد بعثه فى حرية وها هو يسعى فى هلاكك فاعتبر به .

يروى(١٠٨٩) أن آدم عليه السلام قال فى مناجاته : إلهى لم عاتبتنى وقد علمت أنى إنما أكلت من الشجرة طمعا فى الخلود للبقاء معك ، فأوحى الله تعالى إليه لأنك رأيت الخلود من الشجرة ، فأشركت فى سرِّك ولم تشعر ومع ذلك فقد أقلت عثرتك ، ورحمت عَبْرَتَكَ ، وقبلتُ توبتك وهذا هو الكرم أن يتوب على منْ أذنب ويعتذر عمن أخطأ .

شــعر

(١٠٩٠)

إذا مرضنا أتيناكُم نزوركـم وتُذنبـونَ فَنَأْتيكـم فتعتـــذروا

قيـل : إن أول ما خلق الله تعالى القلمَ كتب عذر آدم قبل خلقه وإنما جعل(١٠٩١) آدم آخر الخلق لأنه مهد الدار قبل الساكن وأقام عذره قبل الزلل بقوله ﴿ **إنى جاعل فى الأرض خليفة** ﴾(١٠٩٢) ، والمحب يعتذر عن الحبيب ألم

(١٠٨٩) انظر الدر المنثور (١/١٤٢ - ١٤٨) .

(١٠٩٠) ورد هذا البيت بالمدهش (ص ٣٤٥) .

(١٠٩١) وردت هذه القصة مع بعض التغيير بالمدهش (ص ٧٦ ، ٧٧) ، من قوله (جعل آدم آخر الخلق إلى قوله : ولولا سابقة القدر ما قدر عليه) .

(١٠٩٢) سورة البقرة - الآية : ٣٠ .

تسمع إلى قوله ﴿ **فنسي** ﴾[١٠٩٣] ونبه الملائكة على تعظيمه بقوله ﴿ **فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين** ﴾[١٠٩٤] فظنت الملائكة أن تفضيله بنفسه فظنت بالفضل عليه ونطقت ألسنة تسبيحهم بحجة تقديسهم فقالوا : ﴿ **أتجعل فيها** ﴾[١٠٩٥] فأخرس ألسنة الاعتراض برد ﴿ **إني أعلم** ﴾[١٠٩٦] واعجبا لهم قطعوا على الغير بلفظ ﴿ **من يفسد** ﴾[١٠٩٧] وأمنوا الغير على النفوس في دعوى ﴿ **ونحن نسبح** ﴾[١٠٩٨] فلما صوره ألقاه على باب الجنة أربعين سنة ومن شأن المحب الوقوف على باب الحبيب .

شــعر

(١٠٩٩)

طَرقَتْك عزة والركائبُ حُشَّرُ ... والصبح في ليل الدجى يتغـيرُ
طرقت لقاء عن التهاجـرِ ميتا ... لكنَّهُ عنَد التـزاورِ يُنْشـرُ .

رمى به في طريق ذل لم يك شيئا لئلا يعجب بنفسه يوم ﴿ **اسجدوا** ﴾[١١٠٠] وان كان إبليس يمر مع الملائكة على آدم وهو لا يدرى أن هلاكه على يده فلما تم كمال آدم نودى في نادى الملائكة ﴿ **اسجدوا** ﴾[١١٠١] ، فنظروا من وسع دعوى ﴿ **ونحن نسبح** ﴾[١١٠٢] بماء العذر من غدير ﴿ **لا علم**

(١٠٩٣) سورة طة – الآية : ١١٥ .
(١٠٩٣) سورة الحجر – الآية : ٢٩ .
(١٠٩٥) سورة البقرة – الآية : ٣٠ .
(١٠٩٦) سورة البقرة – الآية : ٣٠ .
(١٠٩٧) سورة البقرة – الآية : ٣٠ .
(١٠٩٨) سورة البقرة – الآية : ٣٠ .
(١٠٩٩) هذان البيتان لم يردا في هذه القصة بالمدهش .
(١١٠٠) سورة البقرة : الآية : ٣٤ .
(١١٠١) سورة البقرة – الآية : ٣٤ .
(١١٠٢) سورة البقرة – الآية : ٣٠ .

لنا ﴾[١١٠٣] وسجدوا على طهارة التسليم وقام إبليس خائبا لجناية الاعتراض فلما تم حاله حال العدو حول حماه ولولا سابقة القدر ما قدر عليه . قيل يا آدم ضحكت فى الجنه فانزل إلى دار التكليف وابك لنا .

شــعر

سَلْ كَيفَ عاد لَهُ الجنون كما بدا ... يُخْبِرْكَ هل عَزَلَ الغرامُ كما اعتدا

إن كان قربت الجمال وأزمعوا ... بيتـا فمـا أدنى اللقـاء وأبعـــدا

هى فرقةٌ اهدت إلىَّ من الأسى ... حُرَقاً تزيدُ على العبادِ تَوَقُدَا

لو قابلت حجراً لذابِ وَمْن لهُ ... صبرٌ على نارِ تعذيبِ الجُلْمُدَا

لا تَعْذلوه فلـو أطاق تَجَلَّدَا ... يومَ النوى حذر العدا لتَجَلَّدَا

ورَد الهوى قومٌ وما ذاقوا القِلَى ... يوماً ولـو ذاقـوه عَافـوا المورِدَا

يا مَنْ رأى البلوى وأثبت فعلَها ... نظرا كَمَنْ سِمَعَ البلية مَوْعِدَا

يا هـذا : ما صيد طائر إلا بترك التسبيح ما وقعت آفة ما جد إلا بسبب منه **﴿ إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴾**[١١٠٤] آه كم غرس الآكل من شجرة من شجرات ، كم أظهرت تلك المحبة للحبة من جنات ، بكى آدم حتى سال من دموعه الوادى ، ومنها نبت جميع أشجاره يا آدم ما ضر من كسره غيرى إذا أجبرته أنا ، أنا عند المنكسرة قلوبهم من أجلى .

(١١٠٣) سورة البقرة – الآية : ٣٢ .

(١١٠٤) سورة الرعد – الآية : ١١ .

شعر

إنْ جَرَى[١١٠٥] بيننَا وبينَكَ عتبٌ   أوتناءتْ منَّا ومنكَ الديارُ
فالودادُ الذى عهدتم مقيمٌ[١١٠٦]   والدموعُ الذى غرقت غزار

قيل : إن العبد إذا التجأ إلى ربه بقلبه دون أن يستعبد بتدبيره وليه أو يستعين بأقرانه وصحبه تعجلت له الكفاية فى عاجله وتحققت له الولاية من الله فى أجله ، فسبحان من وفق للتوبه أقواما ، وثبت لهم صراطها اقداما ، فكفوا الأكف عن المحارم احتراما ، فكفر عنهم ذنوبا عظاما ، ونشر لهم بالثناء على ما عملوا أعلاما ، فهم فى رياض المدائح بترك القبائح يتقلبون .

[التائبون]

التائبون العابدون الحامدون كشف لهم عن الدنيا فرأوا عيوبها وألاح لهم الأخرى فتلمحوا غيوبها ، وبادروا شمس الحياة يخافون غروبها واشتغلوا بالطاعة فحصلوا مرغوبها ، وحثهم الإيمان على الخوف فما يأمنون .

التائبون العابدون الحامدون ندموا علي الذنوب فندبوا ، وسافروا إلى المطلوب فاقتربوا وسقوا غرس الحزن دمع الأسف وشربوا فإذا أقلقهم الحذر طاشوا وهربوا ، وإذا هب عليهم نسيم الرجاء عاشوا وطربوا ، فاغتنم أرياحهم واعلم أن نبل النصيب بالنصيب يكون .

(١١٠٥) نسب صاحب المدهش هذين البيتين (للبحترى)   [المدهش (ص ٧٧)] .

(١١٠٦) ورد الشطر الأول من هذا البيت فى المدهش هكذا (فالغليل الذى عهدت قديم) .

(١١٠٧)

التائبون العابدون الحامدون نظروا إلى الدنيا بعين الاعتبار فعلموا أنها لا تصلح للفرار وتأملوا أساسها فإذا به على شفى جرف هار فرفضوا بالصيام لذة الطعام بالنهار وزهدوا المنام بالقيام ﴿ **وهم يستغفرون** ﴾(١١٠٨) .

التائبون العابدون الحامدون هجروا والله المنازل الأنيقة وقصموا عرى الهوى الوثيقة ، وباعوا الفانى بالباق ، وكتبوا وثيقة ، وحملوا نجائب الصبر فوق ما هى له مطيقة ، وطلبوا والله الأخرى على الحقيقة ، كيف لا و﴿ **هم من خشية ربهم مشفقون** ﴾(١١٠٩) .

التائبون العابدون الحامدون أبدانهم قلقى من الجوع والضرر ، واجفانهم قد حالفت فى الليل السهر ، ودموعهم تجرى دائمة كالمطر فالقوم تأهبوا إلا أنهم على سفر ، عبروا(١١١٠) لديكم وما عندكم منهم خبر وترنمت حداتهم لو أنكم تسمعون .

التائبون العابدون الحامدون اللهم سر بنا فى سرب هذه العصابة(١١١١) ووفقنا للتوبة والإنابة يا من يقول للشىء كن فيكون .

شعر

سَلْ غَيَر جفنى إنْ سألتَ عن الكرى ... واردُدْ فؤادى علّه أنْ يَصْبرا

وأعِدْ حديثَهم علىَّ فإننى ... أجِدُ ارتياحى فيهِ مَهَما كررا

(١١٠٧) وردت هذه الموعظة مع تغيير فى بعض أجزائها وفى بعض ألفاظها فى كتاب التبصرة (٣٩/١) .

من قوله (التائبون العابدون العامدون نظروا إلى الدنيا ... إلى قوله : يا من يقول للشىء كن فيكون) .

(١١٠٨) سورة الذاريات - الآية : ١٨ .

(١١٠٩) سورة المؤمنون - الآية : ٥٧ .

(١١١٠) هنا سقط أثبته من التبصرة [عليكم ومروا] .

(١١١١) كذا بالأصل ووردت بالتبصرة [النَّجابة] .

لله ما يلقـــاهُ فيكَ متيـــمٌ أبدت شواهدُ وجدِهِ ما أضمرا
لا غرق وإنْ لامَ العذول فإنَّهُ ما إنْ يرى عند الأبيراق ما أرى
شَتانَ ما بينَ الخَلِي وبينَ مَنْ يمُسى ويُصبحُ هائماً متفكرا
يَستعذبُ التعذيبَ فى أحبابِـهِ يرى السلوَ عن الأحبةِ منكراً

[يا مضيع الزمان فيما ينقص الإيمان]

(١١١٢)

اسمع يا مضيع الزمان فيما ينقص الإيمان ، يا معرضا عن الأرباح متعرضا للخسران ، متى تنتبه من رقادك أيها الوسنان ، إلى متى ترفض قول الناصح وقد أتاك بأمر واضح ، إلى كم ترضى بالشين والقبائح ، لقد أبانت الدنيا عيوبها وكشفت غيوبها ، وما مرت حتى أمرت مشروبها .

(١١١٣)

قال صالح المروزى(١١١٤) : كان ابن عطاء السلمى(١١١٥) اجتهد حتى انقطع فصنعت له شربة من سويق وأتيته بها فلم يشربْها فلمته على ذلك فقال :

(١١١٢) وردت هذه الموعظة بالتبصرة (١/٣٠) من قوله (اسمع يا مضيع الزمان ... إلى قوله : وما مرت حتى أمرت مشروبها) .

(١١١٣) ورد هذا الأثر بالمدهش (ص ٤٤٦) من قوله (قال صالح ... إلى قوله : وأنت فى وادٍ) – كما ورد هذا الأثر بمعناه فى صفة الصفوة (٣/٣٢٥ ، ٣٢٦) .

(١١١٤) صالح المروزى : ذكر فى المدهش صالح المرى : وهو صالح بن بشير أبو بشر المرى ، وكان مملوكاً لامرأة من بنى مرة فأعتقته وكان مشهوراً بحكاية قصص الزهد والترهيب ، وكان كثير الخوف شديد الرجاء . توفى سنة ١٧٦هـ . [صفة الصفوة (٣/٣٥٠)] .

(١١١٥) ابن عطاء السلمى : صحته عطاء السليمى كما ورد بالمدهش (ص ٤٤٦) ، صفة الصفوة ص (٣/٣٢٥) وعطاء السلمى : كان مشهوراً بالزهد والورع ولم ير إلا باكياً وكان كلما رأى النار خر مغشياً عليه ، وأدرك أنس بن مالك والحسن ومالك بن دينار ... وشغلته العبادة عن الرواية .

[صفة الصفوة (٣/٣٢٥)]

والله انى كلما هممت بشربها ذكرت قوله تعالى ﴿ **وطعاما ذا غصة وعذابا أليما** ﴾[1116] فقلت له : أنا فى وادٍ وأنت فى وادٍ .

شـــعر

(1117)

أطـــلت وعَذَّبتَنـــى يَا عذُول بليت فدعنى ، حديثى يطـول
أبيت أراقب نجمَ الدجـــى إلى الصبحِ وحدى ودمعى يسيل

سيما المحبة لاتخفى وصحائف الوجود يقرأها من لم يكتب .

يحكى عن ذى النون المصرى رضى الله عنه أنه قال : رأيت رجلا شهد له قلبى بالولاية إلا أن نفسى نفرت من ظاهره فبقيت مترددا بين قلبى ونفسى فنظر إلىَّ وقال : يا ذا النون الرد داخل الصرف .

شـــعر

ألف الظبى فسِقَامُهُ موجـودُ وجَفَى الكرا فمنامُـه مفقـودُ
حيرانُ مِنْ بعدِ الفراقِ مولَّـه سكرانُ من خمرِ الهوى عربيدُ

يحكى عن بعضهم أنه قال : رأيت بعض الموهين فقلت له : ما اسمك ؟ فقال : هو ، فقلت له : من عند من جئت ؟ فقال : هو فقلت : من تعنى ؟ فقال : هو ، فما سألته عن شىء إلا قال : هو ، فقلت له : لعلك تريد الله فصاح صيحة خرجت فيها روحه .

(١١١٦) سورة المزمل - الآية : ١٣ .

(١١١٧) ورد هذان البيتان بالمدهش (ص ٤٤٦) .

شعر

أسكان ربع العامرية ما جرى يقل لكم من دمع عينى وما يجرى
يُساعدنى إلَّا عليكم تَجَلُّدى وأملك إلَّا عند ذكراكم أمرى
وأسألُ عَنْكم ولأجلكم سُؤالى وهل إلا لكم آجال فى فكرى
أرى كل ناهٍ عنكم بكمُ يُغْرى وأهو[ى][1118] استماع اللوم فيكم لأننى

يروى فى بعض الأخبار عن الحسن البصرى يرويه عن رسول الله ﷺ أن الله عز وجل يقول : إذا علمت أن الغالب على قلب عبدى الاشتغال بى جعلت شهوته فى مسألتى ومناجاتى فإذا كان كذلك كنت أنا المتمثل بين عينيه فإن أراد أن يسهو عنى حلت بينه وبين السهو أولئك أوليائى حقا أولئك الذين إذا أردت بأهل الأرض عقوبة زويتها عنهم من أجلهم أحببتهم وأحبونى أجبتهم إذا دعونى وأعطيهم إذا سألونى أولئك أوليائى حقا .

يحكى أن رجلا جاء إلى أبى يزيد البسطامى فقال له : أيها الشيخ إن الناس قد احتاجوا إلى المطر فادعو الله تعالى أن يرزقهم ذلك ، فقال أبويزيد يا غلام أصلح الميزاب فلم يفرغ الغلام من إصلاح الميزاب حتى جاء المطر ولم يتكلم الشيخ بشيء .

وذكر عن وهب بن منبه[1119] **اليمانى** : أن الله عز وجل يقول : أمة محمد اخترتهم من الأمم ثم اخترت من اختيارى الذاكرين فى ليلهم ونهارهم الدائبين شحومهم المنحلين أجسامهم المشفقين من هيبتى وجلالى فحق على أن أذكر من ذكرنى وأجيبه إذا دعانى ولا أحجب عنهم وجهى إذا رفع بصرهم إلىَّ وأنا أباهى بهم سكان عرشى وحملة كرسى وأنا كنت الذاكر لهم إذا لم تكن سماء ولا أرض فقلت مع نفسى إن لى أولياء وأصفياء لايسأمون من ذكرى ولايسمع لهم حنين دونى ولا لهم إرادة سواى .

(١١١٨) بالأصل (أهو) وأثبتنا الياء ليتسق المعنى .

(١١١٩) سبق الترجمة له .

شعر

قلوبُ العارفين بها عيونٌ ... تَرى ما لاتراهُ الناظرينا
وألسنة بأسرارٍ تُنَاجى ... تغيب عن الكرامِ الكاتبينا
وأجنحة تطيرُ بغير ريش ... إلى ملكوت ربِ العالمينا

الفصل التاسع والعشرون

[حقيقة المصيبة]

يا هذا ما أعظم المصيبة على من فقد قلبا واعيا ، وما أسرع العقوبة إلى من عُدم طرفاً باكيا ، وما أكثر حسرة من كان أمره ساهياً ، وما أدوم ندامة من أمسى وأصبح لاهياً ، لقد غلب على قلوبنا الهوى فتملكها ، واستحوذ على نفوسنا الطمع فأهلكها ، ونحن عما يراد بنا غافلون وبخلاف ما قد علمناه عاملون ، فلا الواعظ يشفى منا عليلاً ، ولا الإنذار يجد إلى قلوبنا سبيلا ، وقد علمنا أن وراءنا يوما ثقيلا فيا عجبا من غفلة مطلوب لابد من إدراكه ، وتمادى مغترٍ بالسلامة لا ريبَ فى هلاكه ، ألا أذن تسمع ؟ ، آلا عين تدمع ؟ألا ذهاب إلى الله يفزع .

شعر

دَنَوْتُ مِنَ الدُّنيا ودنت بُحبِّها ... وأصبحت عنْ دارِ السلامةِ فى بعدِ
دُجى الذنبِ غطَّى العقلَ عنْ ساطعِ الهدى ... وكَيفَ تلوحُ الشمسُ للأعينِ الرُّمد
دهاكَ الذى تعنى الأساة دواؤه ... وذلك قد أربى وزادَ على الحد

[سارعوا إلى المغفرة]

(١١٢٠)

إخواني : قد دعاكم إلى النجاةِ[١١٢١] مولاكم ، وفتح باب الإجابة وناداكم ، ودلكم على منافعكم وهداكم ، وحثكم على البدر رفقا بكم بقوله ﴿ **وسارعوا إلى مغفرة من ربكم** ﴾[١١٢٢] لله دَرُّ أقوام بادروا الأوقات واستدركوا الهفوات شغلوا العيون بالدموع عن النظر إلى المحرمات وسجنوا الألسن فى سجن الصمت عن موارد الهفوات وكفوا الأكف عن تناول شهوات ، وقيدوا الأقدام عن السعى إلا إلى الطاعات ، إن غشيهم الليل ضجوا بالأصوات فى الخلوات ، وإن أقبل النهار قطعوه بمقاطعة اللذات أفيطمع فى لحاقهم من عرى عن هذه الصفات ، أو يرجوا الخلاص مع الإخلاص ﴿ **أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات** ﴾[١١٢٣] .

شعر

(١١٢٤)

عجباً لأَمْنِكَ والحياةُ قصيرةٌ ... وبفقدِ إلْفِكَ لا تزالُ تروعُ
أفقد رضيتَ بأن تُعلِلَ بالمُنى ... وإلى المنيةِ كلَ يومٍ تُدْفعُ
أحلامُ نومٍ أو كَظِلٍ زائلٍ ... إنَّ الكريمَ بمثلها لا يُخْدَعُ

إخواني : قدموا صالح الأعمال فى فترة الإمهال واحذروا خوادع الآمال فللمطالبات آجال .

(١١٢٠) وردت هذه الموعظة بمعناها متفرقة فى التبصرة (١/٥٠ ، ٥١ ، ٥٢) من قوله (إخوانى قد دعاكم إلى النجاة ... إلى قوله : كالذين آمنوا وعملو الصالحات) .

(١١٢١) كذا بالأصل وبالمدهش (البدار) .

(١١٢٢) سورة آل عمران – الآية : ١٣٠ .

(١١٢٣) سورة الجاثية – الآية : ٢١ .

(١١٢٤) وردت هذه الأبيات بالتبصرة (١/٥٢) .

يحكى عن إبراهيم الخليل عليه السلام(١١٢٥) : أنه لما رأى ملكوت السموات والأرض رأى عاصيا يعمل معصية فقال : إلهى أهلكه ، فأهلكه الله ثم رأى آخر يعصى فقال : اللهم أهلكه ، فأهلكه الله ، ثم رأى ثالثا ورابعا فأوحى الله تعالى إليه كف يا إبراهيم فلو أهلكت كل عاصٍ رأيته لم يبق منهم أحد ولكنى بحلمى لا أعذبهم فإما أن يتوبوا فأتوب عليهم وإما أن يُصِرُّوا فلا يفوتنى شىء .

وحكى أن رجلا قال لبعض الأنبياء : كم أخالفه وأعصيه فلا يعاقبنى فأوحى الله تعالى إلى ذلك النبى قل له : لتعلم إنى أنا وأنت أنت .

فسبحان الحليم العظيم الذى لايستفزه عصيان العاصين أنه ليس يقدر ويستر حتى يتوهم المغرور أنه ليس يبصر وقد يؤخر العبد لعلمه سبحانه بنقل حاله وأنه سيكون من أوليائه ورجاله .

شعر

إذا فَسَدَ الانسانُ بَعدَ صلاحِهِ   فارجو لَهُ عود الصلاحِ لعلّه

يحكى عن مالك بن دينار(١١٢٦) **أنه قال** : كان لى جار وكان يتعاطى الفواحش فتبرأ منه الجيران وأتونى شاكين متظلمين منه، فاحضرناه وقلنا له إن هؤلاء الجيران يشكون منك فسبيلك أن تخرج من هذه المحلة فقال : أنا فى منزلى لا أخرج منه ، فقلنا له : تبيع دارك فقال : لا أبيع دارى ولايمكنكم أن تخرجونى منه ، فقلنا له : نشكوك إلى السلطان فقال إن السلطان يعرفنى وأنا من أعوانه فقلت له : ندعوا عليك فقال : إن الله أرحم بى منك ، قال : فغاظنى ذلك منه ، قال :فلما أمسيت قمت وصليت فلما فرغت من الصلاة دعوت عليه ونمت ، فهتف بى هاتف لا تدع عليه فإنه من أولياء الله ، قال : فلما انتبهت أتيت إلى باب داره ودققت عليه الباب فلما خرج ورآنى ظن إنى جئت نحوه لإخراجه من المحلة

(١١٢٥) رواه ابن أبى الدنيا فى حسن الظن (ص/٧٩ ، ٨٨) ، وقال محققه إسناده منقطع .

(١١٢٦) سبق الترجمة له .

فقال لى كلاما كالمعتذر ، فقلت : ما جئت لذلك المعنى ولكن جئت لأنى رأيت كذا وكذا فعند ذلك وقع عليه البكاء وقال : إنى تبت بعدما كان هذا الأمر وخرج من البلد ولم أره بعد ذلك فاتفق أنى حججت فى بعض السنين فرأيت فى المسجد الحرام حلقة فتقدمت إلى الحلقة فرأيت ذلك الشاب عليلاً مطروحا قال : فلم ألبث إلا قليلا حتى قالوا : قضى الشاب نحبه رحمه الله تعالى .

شــعر

دعاءُ الحبِ سرا قلبه فأجابَهُ   وكان إذا نادى به لا يجيبه
فأضحى سليمَ الشوقِ لم يبقَ حوله   من الناس طرف لايسع عزوبه
يرجم فيه العائدونَ ظنونَهم   فتخطئْه أحيانا وحينا تصيبُه
ولكن كئيبٌ بعدَ حين إفاقةٍ   وهذا الهوى ما يستفيقُ كئيبَه

وفى بعض الحكايات : أنَّ بعضهم رئى فى النوم ، فقيل له : ما فعل الله بك قال : أقامنى وأعطانى كتابى فمررت بسيئة فخجلت أن أقرأها فقال لى لابد من قراءتها فقلت : إلهى لاتفضحنى ، فقال : يا عبدى الوقت الذى لم تستحى فيه ما فضحتك أفأفضحك الآن وأنت تستحى فعفى عنِّى وغفر لى .

وفى بعض الحكايات أن رجلا رئى فى المنام فقيل له : ما فعل الله بك فقال : أقامنى وقال لى : لم خفتنى كل ذلك الخوف أما علمت أنى حليم كريم .

ويحكى أن رجلا كان يتعاطى الفواحش فلم يدع شيئا إلا فعله فمرض فلم يعده جيرانه فدعا بعضهم وقال : إن جيرانى قد تأذوا منى فى حال حياتى وما أحب أن أؤذى الموتى بعد وفاتى فإذا أنا متُّ فادفنونى فى زاوية بيتى فلما مات رُئى فى المنام على هيئة حسنة فقيل له : ما فعل الله بك فقال : قال لى يا عبدى هم خلقى ضيعوك وأعرضوا عنك أما أنا لا أضيعك ولا أعرض عنك بوجهى ثم عفا عنى وغفر لى .

شـعر

صَدَدْتُ فكُنت مليحَ الصدودِ وأعرضت أفديكَ من معرضِ
ففى حالةِ السخطِ لا فى الرضا يبين المحبُ من المبـــغضِ
فمَنْ كانَ فى سخطِهِ منعماً فكيـف يكــون إذا ما رضى

[لا تغتر بالسـلامة]

يا هـذا : لاتغتر بالسلامة فمع الخواطىء سهم صائب فبادر الأرياح قبل خروج الموسم قبل هموم ما لايرفع وحين لايغنى الندم ولايسمع قبل شخوص الأبصار فى المحاجر ، وبلوغ القلوب الحناجر هنالك ترتج الأرض بأقطارها وتعرض الخلائق على جبارها فيحاسبها بإعلانها وإسرارها وينبهها بما عملته فى سالف أعمارها هذا معادك فما إعدادك ، هذا مصيرُك فمن نصيرُك ، كيف[١١٢٧] يصلح للفكر قلب غافل ؟ كيف تقع اليقظة لعقل ذاهل ؟ ، كَيف يحصل الفهم للبٌ عاطل ؟ ، واعجبا لمفرط والأيام زوائل ، ولمائل فى الحياة إلى ركن مائل لقد خابَ الغافلون وفاز المتيقظون ، ﴿ **وما تغنى الآيات والنذر عن قوم لايؤمنون** ﴾[١١٢٨] كم من عمل يرد على عامله وكم من أمل بالغ فى إتعاب مفاصله فهبت ريح الشقاء بتبديد حاصله لقد نودى المطرودون بالبعد ولكن لا تسمعون ، ﴿ **وما تغنى الآيات والنذر عن قوم لايؤمنون** ﴾[١١٢٩] ، من كتب عليه الشقاء ، كيف يسلم ، ومن عميت عينا قلبه كيف يفهم ، ومن أمرضه طبيبه كيف لايسقم ومن أعوج فى أصل وضعه كيف يتقوم هيهات من خلق للشقاء فللشقاء يكون ﴿ **وما تغنى الآيات والنذر عن قوم لايؤمنون** ﴾[١١٣٠] جعلنا الله وإياكم ممن أفاق للتيقظ لنفسه ، وفاق بالتحفظ مع

(١١٢٧) وردت هذه الموعظة متفرقة بالتبصرة (١/٦٨ ، ٦٩ ، ٥٦) من قوله (كيف يصلح للفكر قلب غافل ... إلى قوله : قبل قدوم الغائب) .

(١١٢٨) سورة يونس – الآية : ١٠١ .

(١١٢٩) سورة يونس – الآية : ١٠١ .

(١١٣٠) سورة يونس – الآية : ١٠١ .

أبناء جنسه ، وأعد عدةً ليوم رمسه ، واستدرك فى يومه فارط أمسه ، قبل ظهور العجائب وشيب الذوائب[١١٣١] ، قبل قدوم الغائب والصلاة والسلام على النبى الكريم .

الفصل الثلاثون

[يا من أنفاسه معدودة]

(١١٣٢)

قال الشيخ رحمه الله تعالى : يا من أنفاسه عليه معدودة وأبواب التقى فى وجهه مسدودة وأعماله بالنفاق والرياء عليه مردودة ومحبة التفريط معه مولودة كم أسرعت فيما يؤذى دينك ورأيت ؟ كم خرقت ثوب إيمانك وما رأيت ؟ كم قد فاتك من خير وما اكتسبت ؟[١١٣٣] يا كاسب الخطايا بئس ما كسبت ؟ تؤثر ما يفنى على ما يبقى ، إذا أصبحت تصبح تائبا فاذا أمسيت كذبت ، تمشى مع اليقين فإذا قاربت انقلبت تعمر ما لايبقى وما يبقى خربت ، تأنس بالدنيا وغرورها وقد جربت ، إلى كم تنمى الذنوب ، لقد آن لك أن تتوب . يا من ضيع الحزم فى حياته وأهمل الحسب ، إن تحصيل المعالى سهلا يا من يتكلف الأعمال بغير نية الاعتبار ، عندنا بالأعمال القلبية بلغت حرارات الخوف قلب دواد ، فصار كفه كيرا . ﴿ **وألنا له الحديد** ﴾[١٠٣٤] ، وقويت روحانية محمد ﷺ فنبع الماء من بين أصابعه .

(١١٣١) الذوائب : جمع ذؤابة : وهو شعر مقدم الرأس'[الوسيط (٣٠٨/١)] .

(١١٣٢) هذه الموعظة وردت بمعناها متفرقة بالمدهش (ص ٤٥٤ ، ٤٥٥) ، من قوله (قال الشيخ ... يا من أنفاسه عليه معدودة ... إلى قوله : فكيف التعب المقيم عليه) .

(١١٣٣) كذا بالأصل وبالمدهش (اكتأبت) والصواب ما ورد بالمدهش .

(١١٣٤) سورة سبأ - الآية : ١٠ .

شعر

لولا مدامعُ عشاقٍ ولوعتهم لبانَ فى الناسِ عِزُّ الماءِ والنارِ
فكل نارٍ فمن أنفاسهم قَدَحَتْ وكل ماءٍ فَمِنْ دمعٍ لهم جارِ

وانظم شتات فكرك المنثور واعرف لمن تناجى أيها المصلى طهر سرك قبل الطهور ، إن قمت فى الدياجى ، وطهر سرك من السكنات إلى الأمانى ففى الخلوات تزف أبكار المعالى ، يا جامع الطبع الحديد تعشق المغناطيس فكيف التعب المقيم عليه .

شعر

(١١٣٥)

وإنِّى إذا اصْطَفَّتْ رقابُ مطيّكم وثورَ حادٍ بالرفاقِ عجولُ
أخالف بين الراحلين(١١٣٦) على الحشى وأنظر أينَ ملْتُم فأميلُ

يحكى عن أبى حفص الصفار : وكان كبير الشأن أنه قال : تهت فى البادية فَجُعْتُ وعطشت وضعفت ، فبينما أنا أسير إذ رأيت رجلا فاتحافاهُ شاخصا ببصره إلى السماء فقلت له : ما هذه الوقفة ، فقال : مالك وللدخول بين المولى وعبده ثم أشار بيده إلى جهة فنحوت نحو إشارته فما مشيت إلا قليلا حتى وجدت رغيفين على أحدهما قطعة لحم حارة وكوزا من الماء البارد ، قال : فأكلت حتى شبعت وشربت حتى رويت ثم رأيت الطريق فقصدته .

وقال ذو النون المصرى : نزل على شاب من أهل خُراسان فأقام أسبوعا لا يأكل شيئا فلما كان فى بعض الأيام وقف سائل بنا فقال له الشاب : يا هذا

(١١٣٥) نسب صاحب المدهش هذين البيتين (للشريف الرضى) [المدهش (ص ٤٥٤)] .

(١١٣٦) كذا بالأصل ووردت بالمدهش (الراحتين) .

لوقصدت الله لأغناك ثم قال له : ما تريد قال : أريد ثوباً يوارى عورتى وشيئا من الطعام أسد به جوعتى قال : فوثب الشاب إلى المحراب وصلى ركعتين ثم أتاه بطبق جديد فيه طعام وثوب جديد فلبس الغلام الثوب وأكل من الطعام فقلت : يا غلام لك عند الله هذه المنزلة ولك اليوم عندى أسبوع لم تأكل فيه شيئا فقال : يا ذا النون كيف نبسط الألسن إلى المسألة والقلوب مملوءة بالرضى .

شــعر

(١١٣٧)

لها بِوَجْهِكَ نورٌ يستضاءُ بِهِ ومن نُوالكَ فى أعقابِها حَـادى
لها أحاديث من ذكراك تَشْغَلُها عن العطامِ تُلْهِيها عن الزّادِ

(١١٣٨)

قيل لعامر بن عبد قيس(١١٣٩) : أتسهو فى صلاتك فقال : أو حديث أحبُّ إلىَّ من القرآن حتى اشتغل به هيهات مناجاة الحبيب تستغرق الإحساس .

(١١٣٧) ورد هذان البيتان بالمدهش (ص ٤٥٥) .

(١١٣٨) ورد هذا الأثر بالمدهش (ص ٤٥٥) من قوله (قيل لعامر ... إلى قوله : تستغرق الإحساس) .

(١١٣٩) عامر بن عبد قيس : ورد فى الأصل عامر بن قيس والصواب ما أثبتناه فقد ورد هذا الأثر فى المدهش لعامر بن عبد قيس .

وهو عامر بن عبدالله ، المعروف بابن عبد قيس العنبرى : تابعى من بنى العنبر ، قال أبونعيم : هو أول من عرف بالنسك من عباد التابعين بالبصرة وهو من أقران أويس القرنى وأبى مسلم الخولانى مات ببيت المقدس فى خلافة معاويه (... – ٥٥هـ) [الأعلام (٢٥٢/٣ ، ٢٥٣)] .

شعر

(١١٤٠)

إذا اشتَغَلَ اللاهونَ عنكَ بشغلهم جَعَلتُ اشتغالى فيكَ يا منتهى شُغْلى

المحرمات[١١٤١] حرم ، ونظر المملوك إلى حرم المالك من أقبح الخيانة ، يا بنى آدم تلمحوا تأثير (وعصى) لقمة أثرت إن عثرت ، فعرى المكتسى ونزل العالى وبكى الضاحك ، وقام المترفه يخدم نفسه فاشتد بكاؤه فنزل جبريل يسأله فزاد برؤيته وجدُه كان إذا نزلت الملائكة استنشق ريح الواصلين وتعرَّف أخبار الديار من نسمات القاصدين .

شعر

أَمُذكرى تِلكَ العهودَ تَرَفقا أعددت ذكرا أم أردت شمولا
ما للهوى العُذْرِى أضحك شامتا منَّا وأبكى لائماً وعــذولا
أضحتْ جفونى بالبكاءِ قصيرةً فرحا وليلى بالسهاد طويـلا
لم يدرِ ذو القلبِ الخلىَ بأنَّنى أمسيتُ ذا كلـف بهِ مَشْغُـولا
ظن السلو ولا سلو لذاهـلٍ جَمُدَتُ مدامِعُهُ وذابَ نُحُـولا
ومن العجائبِ أن خصبَ دموعـهِ فى الخدِّ أَحْدَثَ فى الضلوعِ مُحُولا
فسل الصبى عن عصر أيام الصبـا إن كُنْتَ رُمْتَ لعدِّه تبديـلا .

(١١٤٠) ورد هذا البيت بالمدهش (ص ٤٥٥) .

(١١٤١) وردت هذه الموعظة بالمدهش (ص ٤٥٨ ، ٤٥٩) مع تغيير فى بعض الألفاظ . من قوله (المحرمات حرم ... إلى قوله : من نسمات القاصدين) .

[حــكاية عابــدة]

(١١٤٢).

كانت عابـدة من أحسن النساء عينا فاخذت فى البكاء ، **فقيل لها : تذهب** عيناك ، فقالت : إن يكن لى عند الله خير فيستبدلنى خيرا منها وإن تكن الأخرى فوالله ما أحزن عليهما ، يا هذا من سعى إلى جنات العزم بأقدام المسكنة ووقف بباب الكرم على أخمص المسألة ووصف ندمه على الذنب بعبارة الذل لم يعد بالخيبة ، لما امتلأت أسماع المتيقظين بصوت « كذب من ادعى محبتى فإذا جَنَّهُ الليل نام عنى » ، قاموا على أقدام الجد تحت ستر الدجى يبكون على زمان ضاع من غير الوصال .

شـــعر

قلبُ يذكُرِ الحِمى بعد النوىَ يجب ... ومقلةُ فى الهوى فاضت بما يجبُ
لا تعجب الناسُ من ذلِّى وعزِّهم ... حكم الهوى فى بنيهِ كلّه عجبُ
أجب أبناء ما نشدنا الصبر بعدكم ... ولا تسألونا وأثوابُ الصبا تشبُ
نبتم فما فى هدوءِ عنكم طمعٌ ... كلَّا ولا فى حياة بعدكم أرب

يا هذا من عرف شرف الحياة اغتنمها ، من علم أرباح الطاعات لزمها ، رحل القوم يا متخلف سبقوا بالعزائم ، يا متسوف قف على الآثار وقوفَ متلهفٍ ، وصح بالدمع ثم سر يا متوقف .

(١١٤٢) ورد هذا الأثر بالمدهش (ص ٤٥٩) من قوله (كانت عابدة ... إلى قولها : والله ما أحزن عليهما) .

(١١٤٣) وردت هذه الموعظة متفرقة بالمدهش (ص ٤٥٩ ، ٤٦٢) بتغيير فى ترتيب جملها .

من قوله (يا هذا من سعى إلى جناب العز ... إلى قوله : زمان ضاع فى غير وصال) .

[حـــكاية]

قال ذو النون المصرى : بينا أنا أسير فى بعض الجبال إذ سمعت صوتا أهاج حزنى وهو يقول : سبحان من نزَّهَ قلوبَ العارفين فى رياض الطاعة بين يديه سبحان من منح الفهم ألباب ذوى البصائر ، فتوجهوا إليه قال ذو النون : فدنوتُ منه ، وقلت له : السلامُ عليك ، فقال : وعليك السلام ، من أوصلك إلى هذا المكان ، فقلت : الرغبة فى لقائك ووعظك ، فقال : لعلك ذو النون ؟ فقلت : نعم فقال : يا ذا النون إذا علمت أن لله عباداً أفرغ فى قلوبهم رياض المودة وغرس فى نفوسهم شجر المحبة فليس لهم دون الله راحة حتى المقدوم عليه ، فقلت له : أوصنى فقال : إن لله يوما يتجلى فيه لأوليائه فاعمل لذلك اليوم ، قل(١١٤٤) للمقيمين على معاصيهم وجهلهم المصرين على قبيح فعلهم : كم لعب الدهر قبلهم بمثلهم ، أما يكفى فى توبيخهم وعذلهم ﴿ **فهل ينتظرون إلا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم** ﴾(١١٤٥) يا من راح فى المعاصى وغدا ويقول سأتوب اليوم أو غدا ، كيف يلين قلبا أمسى بالجهل جُلْمُدَا ، ليت شعرى بأى وجه تلقى الردا ، ويحك قد نقد السليط(١١٤٦) ، فاستدرك ذبالة المصباح ويحك إن المنقطعين فى البادية أكل السباع .

شـــعر

لاحَ المشيبُ بعارضَيْك وأعلنا ... ألا محيصٌ لك الغداة من الفنا
فدَعْ التشاغلَ بالتى تَشْقَى بها ... وانهضْ إلى جدٍّ ودع عنك الونا(١١٤٧)

(١١٤٤) وردت هذه الموعظة بالتبصرة (٦٩/١) بتغيير فى بعض الألفاظ . من قوله (قل للمقيمين على معاصيهم .. إلى قوله تعالى : ﴿ فهل ينتظرون إلا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم ﴾ .

(١١٤٥) سورة يونس – الآية : ١٠٢ .

(١١٤٦) السليط : كل دهن (زيت) عصر من حَبٍّ .

(١١٤٧) الونا : الفتور ، والضعف والكَلّ : [اللسان (٤١٥/١٥ – ونى)] ط. دار صادر .

[عبـــارات النســـيم]

إخوانى[1148]: عبارات النسيم لا يفهمها إلا المشتاق[1149] وحديث البروق لا يروق إلا للعشاق[1150] ، تأسَّف باجيفة النوم وابك باأبعد القوم ، خلو والله بالحبيب فى دار المناجاةِ فكساهم ثياب المواصلة وضمنهم بطيب المعاملة وعالية السحر عالية ، فيا من أبعدته عنهم الذنوب وأخرجته من بينهم العيوب ، ان لم يكن وصل فمواصلة ، وإن لم يكن جميل فمجاملة تشبه بهم إن لم تكن منهم فإنه لما أحيا عزيزا أحيا حماره ولما بعث أهل الكهف بعث كلبهم ، يا أعجمى[1151] الفهم متى تفهم ؟ يا فرحانا بلذة عقابها جهنم . ستدرى متى تبكى ومتى تندم . إذا جثا الخليل وتزلزل ابن مريم ، يا عاشق الدنيا كم مات بحبها متيم ؟ ما للفلاحة علامه ، والله أعلم ، غاب الهدهد عن سليمان ساعة فتواعده ، فيا غائباً عنا طول عمره أما تحذر غضبنا ؟ خالف موسى الخضر ثلاث مرات فحل عقد الوصل ﴿ **هذا فراق بينى وبينك** ﴾[1152] .

أعظم عذاب أهل النار جهلهم بالمعذب ، لو صحت معرفتهم بالمالك لما استغاثوا ﴿ **يا مالك** ﴾[1153] ، وقع بينهم شخص ليس من الجنس كان فى بطنه ذرة من المعرفة فكان كلما حملت عليه النار اتقاها بدرع « يا حنان يا منان » رأى الأسباب بيد المسبب .

(١١٤٨) وردت هذه الموعظه بالمدهش (ص ٤٨٢) من قوله (عبارات النسيم ... إلى قوله (لا يروق إلا للعشاق) .

(١١٤٩) كذا بالأصل وبالمدهش (الأحباب) .

(١١٥٠) كذا بالأصل وبالمدهش (المشتاق) .

(١١٥١) وردت هذه الموعظه بالمدهش (ص ٤٩٠ ، ٤٩١) من قوله (ياأعجمى الفهم متى تفهم ... إلى قوله : رأى الأسباب بيد المسبب .

(١١٥٢) سورة الكهف - الآية : ٩٨ .

(١١٥٣) سورة الزخرف - الآية : ٧٧ .

شــعر

قُلْ للعذولِ لَقَدْ أكثرتَ مِنْ عذلى فانْصَحْ لِنَفْسِكَ أُذُنى عنك صَمَّاءُ
فأنى تَزِيدُ إذا ما لُمتَنى لما قد حار فى وصف ما أشكو الأطباء

« أســلم النصرانى كرامــة لبشر »(٥٤٠)

قيـل : لما مرض بشر الحافى رضى الله عنه مرضه الذى مات فيه فاجتمع إليه إخوانه ، وقالوا له : غرضنا أن نحمل ماءك إلى الطبيب ، فقال : أنا بعين الطبيب يفعل بى ما يريد ، قالوا : إن فلانا النصرانى طبيب جيد ولابد أن يُحمل إليه ماؤك ، فقال لهم : دعونى فالطبيب أمرضنى ، قالوا : لابد من ذلك فقال لاخته : إذا كان فى الغد ادفعى إليهم الماء ، فلما أصبحوا أتوها فدفعت إليهم الماء ، فمضوا به إلى الطبيب فنظر إليه وقال لهم : ضعوه فوضعوه ، ثم قال : حركوه فحركوه حتى فعل ذلك ثانيا وثالثا فقال له أحد القوم : ما هكذا أخبرنا عنك قال : وما الذى أخبرتم به عنى قال : أُخبرنا عنك بحسن النظر وسرعة الإدراك وجودة المعافاة وتراك تردد النظر وذلك يدل على قلة المعرفة ، فقال لهم : والله لقد علمت حاله من نظرة ، ولكننى رددت النظر تعجبا وبعد ، فإن يكن هذا ماء نصرانى فهو ماء راهب قد فتت الخوف كبده وإن يكن ماء مسلم فهو ماء بشر الحافى ، وليس له عندى دواء فعللوه فإنه ميت ، فقالوا له : هو والله ماء بشر الحافى قال : فلما سمع الطبيب ذلك أخذ مقراضا وقطع زنارة(١١٥٤) وقال : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ﷺ قال: فأسرعنا نحو بشر لنبشره فلما أبصرنا قال : أسلم الطبيب ؟ قلنا : نعم فمن أخبرك قال : لما خرجتم من عندى أخذتنى سنة وإذا قائل يقول : يا بشر ببركة مائك أسلم الطبيب ثم لم يلبث بعد ذلك إلا ساعة ومات رضى الله عنه .

(١١٥٤) زناره : الزنار : حزام يشده النصرانى على وسطة [الوسيط (٤٠٣/١)] .

شعر

حتمٌ على كلِ صيبٍ صَبُ عَبْرَتَهُ ... حتى يعودَ إلى لُقيا أحبتَهُ
إتلاف من يَخْشَى فراقكم ... الله الله فى إتلافِ مُهْجتَهُ
ومدةُ العمرِ ما واصلتم فإذا ... فارقتموا فهو عندِ غيرِ مدَّتِهِ
مُحِبَّكم حَبَّ أن يلقا منيتَهُ ... لأنَّ كلَّ مُنَاكم فى منيتِهِ

(١١٥٥)

اسمع يا من سبقه القوم وتخلف بل ترى آثارهم من دمع الأسف .

شعر

دَعْ شَأْنُ عينكَ ياحزين مشانة[١١٥٦] ... وضع اليدينِ على الحشى وتململِ
هذا أوانُ فراقِهِمْ ولعلّ[١١٥٧] ما ... يغنى وقوفك ساعةً فى المنزلِ

يا هذا جز بنادى الأحبة ونادى أهل الأشجان تراهم كالفراش تحت النيران ، يا حسرة من مضوا وخلفوه ، لقد استبدل بالعسل الخل . آه على عيش مضى ولا عودة له ولا حاد سرى بغيرِ رفقة .

شعر

أما والحمى النجدىُّ يا ساكن الحمى ... لقد أوضح الدمعُ الذى كان مُبْهَما
همى فأرى يومَ النوى الكاشح الهوى ... فليتَ النوى لم يقض أوماهما

(١١٥٥) وردت هذه الموعظه بالمدهش (ص ١٦٧) ، من قوله (اسمع يا من سبقه القوم وتخلف ... إلى قوله (تراهم كالفراش تحت النيران) .

(١١٥٦) كذا بالأصل وبالمدهش (وشأنه) .

(١١٥٧) كذا بالأصل وبالمدهش (ولقل) .

وهيَّج أشجاناً وأضرم لوعــة وحرَّك حُسَّادا ونَبَّـهَ نوَّمـا
وعَصْفَرَ مُصْفَرَّ الخدودِ انسكابه فهلْ كانَ ماءَ دمِع عينكَ أم دما
وروضٌ مغبرَّ العقيقِ فما دَرَى سقته الأماق أم سقت أرضه السما
خَلَيْلَيَّ لم أعشق اللـومَ فى الهوى حَجَرْتكما أو قلتُ عنِّى إليكما
أإنما لما واللومُ فيه راحــةٌ فكيف وما ألهمتمـا حينَ لمْتُمَـا
فلو ما فَكَمْ من لوعةٍ وصبابـةٍ على الصبِّ قد هيَّجْتُمـا لو علمتما

[جهاد النفوس]

(١١٥٨)

إخوانى : كل مقاتل ليس معه سلاح عزمِهِ مغلوبٌ ، إذ برز شجاعَ اليقظةِ بسلاح الجد هشم وجه الأمل وهزم جيوش الأجل[١١٥٩] ، الخلوة شرَكٌ لصيد المؤانسة أخفى الصيادين شخصاً ، وأقلهم حركة أكثرهم إلتقاطٌ للصيد ، رحم الله أعظما طال ما نصبت وانتصبت ، جن عليها الليل فلما تمكن وثبت ، إن ذكرت عوله رهبت وهربت ، وإن تصورت [فضله][١١٦٠] فرحت وطربت ، عرفت إذ نبت عن فضله[١١٦١] أنها أذنبت ، هبت على قلوبهم عقيم الحذر فاقشعرت وندبت ، فبكت عليها سحاب الرخاء فاهتزت وربت سلام على تلك القبور ، رحمة الله على تلك الأرواح أماكن تعبدهم باكية ، مواطن تهجدهم لفقدهم شاكية ، زال التعب وبقي الأجر ، ذهب ليل النصب وطلع الفجر ، لم يزل الحق يلطف بأوليائه ويريهم آثار الاختصاص حتى فى بلائه ، خلص الخليل من النار وجعلها بردا وسلاما ، وأنس يوسف فى ظلمات الجب فلم يبق عليه ظلاما وصيره مملوكاً لينشر له فى الملك أعلاما ، وحفظ الكليم فى التابوت أشعارا باللطفِ وأعلاماً لما أدبر فرعون وعصى ووجد فى كتبه مولوداً يهلكه بالقصا ، فتح

(١١٥٨) وردت هذه الموعظه متفرقة بالمدهش (ص ٥٢٣ ، ٥٢٤) ، من قوله (إخوانى كل مقاتل ... إلى قوله (ويريهم ليل النصب وطلع الفجر) .

(١١٥٩) كذا بالأصل وردت بالمدهش (الزلل) .

(١١٦٠) ما بين المعكوفتين سقط استدركناه من المدهش (ص ٥٢٤) .

(١١٦١) كذا بالأصل وبالمدهش (خدمته) .

باب ذبح الأطفال ليظفر بصاحب الآيات ولسان الإعجاز يهتف به : هيهاتَ ، يا قوت الاختصاص ، لا تعمل فيه نار البلاء وسمندل[١١٦٢] المحبة لايحرقه لهب الاختبار بالأعداء يا صياد العدو ، إن صقور العناية لاتقع فى حبلك يا رامى البغى ، من أُلبس درع العصمة كيف يصاب بنبلك ، يا معجباً بالملك ستعلم غدا من يملك ممن يُملك ، ليس العجب أن تتطلبه فلا تجده وهو فى مصرك انما العجب أن تسوقه فى التابوت إلى قصرك لتعلم أنى معه ولا شيء معى وأن الحق للمبرهن لا للمدعى ، أنا المحتج عن من اصطفيت واخترت ، أنا مذهب الخوف عن أوليائى كما أخبرت .

يا هذا أين كنت حيث كان لك ولذويك أين كانت رحمة أمك وشفقة أبيك ، أما قسم لك الإسلام إذ حرمه الكافرون ، أما خصك بالإيمان وسلبه أخرون ، أما سماك بالصلاح فى كتابه المكنون بدل عن الكشط فقال تعالى : ﴿ **لقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون** ﴾[١١٦٣] جاء فى التفسير أنها أمةُ محمد ﷺ .

اعلم يا أخى أن الله سبحانه وتعالى آثرك فى سابق القدم وحكم لك عنده بصدق القدم وربَّاك بفنون النعم وعصمك من السجود للصنم واختارك على جميع الأمم وردّاك رداء الإيمان وتلقاك بجميل الغفران ورقاك إلى درجه الرضوان ، فأين الشكر على هذا الإحسان ؟ أما هذا أعماركم تنهب وأيامكم تذهب وآثامكم تكتب أبِكَ صَمَمٌ عن النصائح أوعمى والأمر واضح ﴿ **فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا** ﴾[١١٦٤] أرباب القلوب القاسية يخرجون من المجلس كما دخلوه أول مرة ﴿ **سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون** ﴾[١١٦٥]

(١١٦٢) سمندل : نسيج من ريش بعض الطيور لايحترق وقيل هى دابة تدخل النار فلا تحترق . [اللسان (٣٤٨/١١ - سمندل)] ط. دار صادر .

(١١٦٣) سورة الأنبياء - الآية : ١٠٥ .

(١١٦٤) سورة النساء - الآية : ٧٨ .

(١١٦٥) سورة البقرة - الآية : ٦ .

رانت الذنوب على القلوب فالمواعظ تحرم على المنافذ فلا تجد طريقا ﴿ **ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم** ﴾[(١١٦٦)] لقد ربح قوم عملوا فى الدنيا بالإخلاص فى الطاعة وفازوا يوم القيامة بالربح فى البضاعة وتجنبوا التقصير والغفله والإضاعة وأفرشوا الرضا وتوسدوا القناعة ، طال والله ما تعبت أبدانهم من الجوع والسهر ، وكفوا جوارحهم عن القول والنظر ، وانتهوا عما نهاهم مولاهم وامتثلوا ما أمر ، وعَدُّوا للزاد ما يصلح للسفر ، فيا حسنهم فى الليل . ودموعهم كالمطر والسر صاف والحال مستقيم ﴿ **إن الأبرار لفى نعيم** ﴾[(١١٦٧)] .

شـــعر

لَكَ الله يا حابسَ اليعملات[(١١٦٨)] على طلـــلٍ منهم أَقْفَـــرا

ولولا الهوى ما أنختَ المَطِـيَّ ولا قمتَ فى الليـلِ مُستعبِرَا

أترها فإن شفَّهـا أو بَـــرى قوائمها السير فارخى البرا[(١١٦٩)]

ودَعْ خَطْمهَا[(١١٧٠)] والدُّجى والفلا لتجهد عند الصباح والسـرى

(١١٦٦) سورة البقرة – الآية : ٧ .

(١١٦٧) سورة الانفطار – الآية : ١٣ .

(١١٦٨) اليعملات : اليعمله : الإبل النجيبة المعتملة المطبوعة على العمل أو الناقة السريعة . [اللسان (٤٧٦/١١ – عمل)] ط. دار صادر .

(١١٦٩) البرى : حلقة توضع فى جانبى أنف البعير . [اللسان (٧١/١٤ – برى)] ط. دار صادر .

(١١٧٠) خطمها : زمامها : الحبل الذى يقاد به البعير . [اللسان (١٨٦/١٢ – خطم)] ط. دار صادر .

الفصل الحادى والثلاثون

[أفق ياسابحاً فى بحار الغمرات]

يا هـذا إلى كم أنت بالملاهى لاهى ، تطع حين أسرفت فى المناهى ناهى ، أفق أيها السابح فى بحار الغمرات ، واستدرك وقتك قبل انصرام الأوقات ، فما من حسن الأخلاق أن تكون ثياب أعمالك أخلاق(*)، إلى كم أزجرك وأنت لا تنزجر ، أرادنى فما أزادنى ولا أغمض عن المحارم أجفانى فما أجفانى .

شـــعر

(١١٧١)

وقبل شخوص(١١٧٢) المرء يجمع زاده   وتملأ من قبل اللقاء(١١٧٣) الكنائنُ
حصادك يوما ما زرعت وإنمـــا   يدانُ المرءُ يوماً بما هو دائـنُ

يا عليل الأنام لم لاتلزم جنات طبيبك يا صريع الغرام لم لا تقرع باب حبيبك أما رفع لك الحجاب ، أما ضمن لك المتاب ، أما سمعت قوله فى الكتاب ﴿ **وإنى لغفارٌ لِمَنْ تابَ** ﴾(١١٧٤) ما تقول يا مقتا إذا قيل لك أى قاطع قطعك عنا أى مانع منعك منَّا .

شـــعر

يا مَنْ تَلَوَّنَ عَهْدُهُ وتَغَيَّـــرا   ما كانَ حقُّ محبِّكم أنْ يُهجَـرا
ولئِـنْ غدرتَ فسُنـةٌ مأثـورة   ما حلتَ عن شِيَمِ الليالى والقرا

(*) أخلاق : خلق : بلى والمراد بالية [الوسيط (١/٢٥٢)] .

(١١٧١) ورد هذان البيتان بالتبصرة (ص ٣٥٨) .

(١١٧٢) شخوص : الشخص : فتح العينين بلا طرف – وهو كناية عن لحظة الاحتضار – [اللسان (٧/٤٦ – شخص)] ط. دار صادر .

(١١٧٣) كذا بالأصل وبالمدهش (الرماء) .

(١١٧٤) سورة طه – الآية : ٨ .

[يا معروفاً بترك المعروف]

اسمع يا معروفاً بترك المعروف ، يا من هو بكسب القبائح موصوف ، إلى كم تعشق المماليك وأنت لاتعتق ؟ وتطلق الأسارى وأنت فى أمر شهواتك موثق ؟ إذا لم تدرك فضيله السبق فالحق من سبق من عرف الله عاش ، ومن جهل حقائق المعرفة طاش ، تالله ما يقع فى حقيقة الطاعه من له نفس مطاعة .

قال الله عز وجل : ﴿ **وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنَّة هى المأوى** ﴾[(١١٧٥)]

[بدايـــة أبى حفص النيسابورى]

قيـل : كانت بداية ابى حفص النيسابورى أنه اشتغل قلبه بحب جارية فاستشار بعض أصحابه فأشار عليه أن يمضى إلى يهودى كان هناك ليحتال له فى أمرها قال : فمضى إلى اليهودى واطلعه على حاله فأمره اليهودى أن لايصلى ولا يعمل عملا يرضاه الله مدة أربعين يوما ففعل ذلك ثم سار إلى اليهودى وأعلمه بذلك فشرع اليهودى فى أمره فلم يتهيأ له أمرا ، ولم يصح له عملا ، فقال له اليهودى : أخاف أن تكون عملت فى هذه المدة عملا صالحا فتفكَّر وقال : والله ما عملت شيئا غير أنى أزلت حجرا من طريق المسلمين برجلى ، فقال اليهودى : فهذا ربٌّ لايضيع لك هذا المقدار فكيف يحسن بك أن تضيعه .

شـــعر

تباركَ الله من قد كانَ يحملُهُ   على الهوى رقٌّ حتى صار يَعدله

قال : فخرج من نيسابور حافياً هائما إلى بعض المتعبدات فقيل له يوما : أين عمامتك فوضع يده على رأسه ظناً منه بأنها على رأسه مما خامر قلبه من الوله فلم يزل على ذلك حتى كان منه ما كان .

(١١٧٥) سورة النازعات – الآية : ٤٠ .

شـــعر

أَحَسَنْتُمْ فاسْتَرَقَّ القلبُ حُبكمُ والحبُ سَابقَةُ الحسنى تولـدهُ

قال الشيخ أبوالقاسم القشيرى رضى الله عنه ورد فى بعض القصص أن العبد إذا هم بالمعصية يقول الله عز وجل ﴿ **وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له** ﴾(1176) فإذا عمل المعصية يقول الله عز وجل ﴿ **وتوبوا إلى الله جميعا أيه المؤمنون لعلكم تفلحون** ﴾(1177) فإذا أصر على فعلها يقول الله عز وجل ﴿ **أفتتخذونه وذريته أولياء من دونى وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا** ﴾(1178) .

[إلى كم تعصى وتتمرد]

يا هـذا(1179) : إلى كم تعصى وتتمرد ؟ وأقبح من قبيحك أنك تتعمد ، يا ردى العزم ياسىء المقصد ، يا نقى الثوب والقلب أسود ، ما هذا الأمل ولست بمخلَّد ؟ أما تخاف ممن هدَّد وأوعد ، يا مسئولا عن القبيح أتقرأم تجحد أما علمت أن السفر بعيد ، فهل تتزود ، ولو رأيت التائب لرأيت جفنا مقروحا تراه فى الأسحار على باب الاعتذار مطروحا ، مطعمه يسير وحزنه كثير ومزعجه مثير .

قال الجنيد عفا الله عنه دخلت على السرى السقطى فقلت له : كيف أصبحت؟ فانشد وجعل يقول :

لا بِالنَّهارِ ولا بِاللَّيْلِ لى فرجٌ فلا أُبالى أطالَ الليلُ أم قَصُرَا

وقال ابن عطاءالله: كنت أنا وأبوجعفر الفرغانى وجماعة من أصحاب الجنيد فى مسجد الشونبزيه إذ أقبل الشبلى وهو كالهائج فدخل المسجد وخرج ولم يكلم منّا أحدا فهجم على الجنيد وقال :

(1176) سورة الزمر – الآية : 54 .

(1177) سورة النور – الآية : 31 .

(1178) سورة الكهف – الآية : 50 .

(1179) هذه الموعظه من قوله (يا هذا إلى كم تعصى وتتمرد) إلى قوله (ولست بمخلد) وردت بالمدهش (ص 522) .

عَوَّدُونى الوصالَ والوصـلُ عذبٌ   ورَمَوْنـى بالصدِّ والصدُّ صعـبٌ
زعموا حين أعتبـوا أن جُرْمـى   فرط حُبِّى لهمْ وما ذَاكَ ذنبُ
لا وحقُ الخضـوعِ عندَ التلاقى   ما جزاءُ من يحبُ إلا يُحـبُ

قال : فطرب الجنيد وضرب برجليه فى الأرض وقال : هو ذاك هو ذاك ثم ولى الشبلى رضى الله عنه .

[ربح القوم وأنت نائم]

يا أخى : لقد ربح القوم وأنت نائم ، وكسبوا ورجعوا بالغنائم ، يا هذا ما الذى يغنى عنك وقوفك بالمحراب وقلبك من التقوى عال ، يا من هتك ستر المحارم وتعاظيم الجرائم أمستيقظ أنت أم نائم ، يا هذا كيف جفت منك المقل والأجفان مع فراق الأحباب والخلان ما أكثر شغلك بآفاتك عن ذكر وفاتك ويحك متى تستوحش من معاشرة الخلق ، متى تأنس بمناجات الحق ، لايطمعن البطال فى منازل الأبطال ، من زرع حصد ومن جد وجد ، أى مطلوب ينال من غير مشقه وأى مرغوب لم يتعد على طالبه الشقه ، الملك لايحصل إلا بالتعب والعلم لا يدرك إلا بالطلب واسم الجواد لايناله بخيل ولقب الشجاع بعد تعب طويل ، يا أرباب القلوب السائقة لا تيأسوا من روح الله يا أهل الخوف من عواقب الذنوب طيبوا قلوبكم ﴿ **إنه من عمل منكم سوءا بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فإنه غفور رحيم** ﴾(١١٨٠)

يحكى : عن ابن المنكدر(١١٨١) أنه قال: قلت ليلة فى الطواف اللهم اعصمنى وأقسمت على الله طويلا فرأيت فى المنام كأن قائلا يقول لى: أنت الذى قلت اللهم اعصمنى فقلت : نعم فقال : إنه لا يفعل قلت : فلم ، قال : يريد أن يُعْصَى حتى يَغْفِر .

وحكى : أن بعض أنبيـاء بنى إسرائيل سُرق له حمار فقال : إلهـى نبيك سرق منه حماره إلهى أسألك أن تطلعنى عليه فأوحى الله عز وجل إليه أن

(١١٨٠) سورة الأنعام – الآية : ٥٤ .
(١١٨١) سبق الترجمة له .

ذلك الرجل الذى سرق حمارك سألنى أن أستره وأنا أعطيك حمارا آخر ولا أفضحه بعد أن سألنى ستره .

ويحكى : عن بعضهم أنه قال : كان فى جيرانى رجل شرير فلما مات رفعت جنازته فتنحيت عن الطريق حتى لا أحتاج أن أصلى عليه فرئى هذا الرجل فى المنام على هيئة حسنة فقال له الرائى : ما فعل الله تعالى بك؟ قال : غفر لى وقال لى : قل لأيوب يعني ذلك الرجل الذى لم يصل عليه ﴿ **قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربى إذا لأمسكتم خشية الإنفاق** ﴾(١١٨٢) .

وعن بعض الصالحين أنه قال : رأيت بعضهم فى المنام فقلت له : ما فعل الله بك فقال : وزنت حسناتى وسيئاتى فرجحت سيئاتى على حسناتى فجاءت صرة من السماء فسقطت فى كفة الحسنات فرجحت فحللت الصرة وإذا فيها كف تراب ألقيته فى قبر ميت .

وروى عن ابن أبى أوفى(١١٨٣) **أنه قال**(١١٨٤) : خرجت أريد رسول الله ﷺ فإذا أبوبكر وعمر رضى الله تعالى عنهما قاعدين وعندهم صبى صغير يبكى فقال النبى ﷺ : ضم إليك الصبى يا عمر فضم عمر رضى الله عنه الصبى إلى صدره ، وإذا بامرأة كاشفة عن رأسها تولول وتقول : يابنياه ، فقال النبى ﷺ : يا عمر الحق المرأة فإنها أم الصبى فدعاها عمر فأتت فأخذت المرأة ولدها وضمته إلى صدرها ووضعته فى حجرها فلما التفتت رأت رسول الله ﷺ فقالت : واحزناه أترى رآنى رسول الله وأنا كاشفة رأسى فقال رسول الله ﷺ : أترون هذه

(*) رجالاً : أى مترجلين يمشون على أرجلهم . [الوسيط (٣٣٢/١) .

(١١٨٢) سورة الإسراء - الآية : ١٠٠ .

(١١٨٣) ابن أبى أوفى : عبدالله بن أبى أوفى علقمة بن خالد الحارث الأسلمى ، صحابى ، شهد الحديبية ، وعمّر بعد النبى ﷺ ، مات سنة سبع وثمانين وهو آخر من مات بالكوفة من الصحابة . [تقريب التهذيب (٤٠٢/١) رقم ١٩٣] .

(١١٨٤) نسبه فى المطالب العالية (٢٨/٣) إلى عبد بن حميد .

أورده الهيثمى فى مجمع الزوائد (٢١٣/١٠) وقال عنه : رواه الطبرانى وفيه فائدة أبو الورقاء وهو متروك .

رحيمه بولدها قالوا : يا رسول الله كفى بها رحمة ، فقال رسول الله ﷺ : والذى بعثنى بيده لله أرحم بالمؤمنين من هذه بولدها .

إخــوانى : كيف لاتفتت الأكباد شوقاً إلى من هذه نعمته كيف لا تذوب الأجساد شوقاً إلى من هذه رحمته .

قال محمد بن سهل : إلهى إن عرفناك جزيتنا وإن خالفناك عذبتنا وإن تركناك أزعجتنا فكيف الطريق إلى رضاك وإذا بهاتف يهتف : يا ابن سهل اسقط عنك الاعتراض على الله عز وجل فقد وصلت إلى حقيقة العبوديه فإنه يفعل مايشاء ويحكم ما يريد فكم من موقف لاباستحقاق طلب وكم من مخذولٍ لا بعلةٍ وسبب خصَّ قوما بحكم السعادة من غير استحقاق طلب ولا جهد ولا تعب ولا وجود سبب بل تعلق العلم القديم بإسعادهم وسبق الحكم الأزلى بإيجادهم وخص آخر بطرده وإبعاده ووضع قدره بين عباده من غير ذى جرم أسلف ولا ذنب أقترف بل حقت الكلمة عليه بشقاوته ونفذت المنية بجفى قلبه وقساوته ، قال الله عز وجل ﴿ **أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم** ﴾(١١٨٥) .

وقال تعالى فى وصف بلعام ﴿ **ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث** ﴾(١١٨٦) ثم قال فى قصته بعدما أباح من كرامته وما ظهر لأهل زمانه من قربته حتى جاء فى القصص أنه كان يرى من العلا إلى الثرى وأنه كان يعرف اسم الله الأعظم ، فقال سبحانه جلت صفته ﴿ **فمثله كمثل الكلب** ﴾(١١٨٧) فلا غيرة بالخلقة ولاعتماد على الحال والصورة وإنما الاعتبار بسابق الحكم والقسم الذى كان عدوا أبرزه فى جماعة أوليائه ثم قال ﴿ **فمثله كمثل الكلب** ﴾(١١٨٨) والذى كان من أهل ولايته خلقه فى صورة الكلب ثم ذكره مع أوليائه ، فقال

(١١٨٥) سورة المائدة – الآية : ٤١ .

(١١٨٦) سورة الأعراف – الآية : ١٧٦ .

(١١٨٧) سورة الأعراف – الآية : ١٧٦ .

(١١٨٨) سورة الأعراف – الآية : ١٧٦ .

تعالى ﴿ **رابعهم كلبهم** ﴾(1189) وقال تعالى : ﴿ **وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد** ﴾(1190) .

يُحكى(1191) **عن أبي على الدقاق أنه قال** : إن أصحاب الكهف صرفوا ذلك الكلب فلم ينصرف فضربوه ، فأنطقه الله عز وجل فقال لهم : لم تضربونى إن كانت لكم إراده فلى أيضا إرادة ، فازدادوا بكلامه يقينا وقالوا فيما بينهم : لا يمكننا صرف هذا الكلب وسيدل بآثار قدميه علينا فالحيلة أن نحمله على أكتافنا بالدور ، فكانوا يحملونه بينهم بالدور .

ثم قال الشيخ رحمه الله تعالى : إن الأولياء كانوا يمشون رجالا(*) والكلب حاملهُ الأولياء كانوا فى الابتداء بلاياه فصاروا لا فى الانتهاء مطاياه ، نباح الكلب يوجب لسامعه الوحشه ولكن لما ساعدت العناية أوجب نباح ذلك الكلب لهم زيادة وبصيرة قال الله تعالى : ﴿ **وربطنا على قلوبهم إذا قاموا فقالوا ربنا رب السموات والأرض** ﴾(1192) جاء فى التفسير بكلام الكلب ليعلم العالمون أن العزة بالحكم الأزلى لا بالسكوت والحركات والعلل والأسباب .

شعر

شكا إليك ما وجد فيك الجلد　　　من خانه حيران لو شئت اهتدى
ظمآن لو شئت ورد

(*) رجالاً : أى مترجلين يمشون على أرجلهم [الوسيط (١/٣٣٢)] .

(١١٨٩) سورة الكهف - الآية : ٢٢ .

(١١٩٠) سورة الكهف - الآية : ١٦ .

(١١٩١) وردت هذه القصة بمعناها بالمدهش (ص ١٢١ ، ١٢٢) .

(١١٩٢) سورة الكهف - الآية : ١٤ .

الفصل الثانى والثلاثون

[أصلح فساد قلبك]

يا قلبُ أتراك تصلح من هذا الفساد أترى تبدل بالبياض هذا السواد قل عسى أصلح ولعل ، وكلما استوى قدمى زلَّ ، كم تتغير الأحوال وما أتغير كم تتضح لى الطريق وأتحول

لله أمر من الأيام أطلبه   هيهات أطلب شيئاً غير مطلوب
وحاجتى أنقضاها وتمطلنى   كأنها حاجة فى نفس يعقوب

إلى كم أقول سأتوب متى يخجل اللسان الكذوب ؟

شعر

كلما أملت يوما صالحاً   عرض المقدور لى فى أملى
أقطع الدهر بظن حسن   وأجلى غمرة ما تنجلى
وأرى الأيام لا تدنى الذى   أرتجى منها وتدنى أجلى

[يا كثير الذنوب]

يا كثير(١١٩٣) ديون الذنوب ما تقضى ؟ يا مقيما وهو فى الحقيقة يمضى ، يا من كلما حرك الى الجد سوّف؟، يا من شدد عليه الوعيد وما تخوّف هذا ممكن النصيحة ثم أنت بنفسك أعرف من عرف ما بين يديه لم يؤثر الهوى ولم يلتفت إليه ومن تفكر فى رحيل من كان لديه صار النهوض للتزود متعينا عليه .

(١١٩٣) هذه الموعظه وردت متفرقة بالمدهش (ص ٥٢٠ ، ٥٢١) من قوله (ياكثير ديون الذنوب ... إلى قوله : لم ينظر إلى خلاله) .

شعر

رحل الأحبةُ عن ديارهم أحزن[1194] بما أخذوا وما تركوا
وعلمت أين مضى الخليط فما أنا بالمبالى أين سلكوا

كم فرح بشهر وإهلاله متهلل لرؤية هلاله اختطفه الموت فى خلاله ، كم مائل إلى جمع ماله تركه تركة ومر بأثقاله ، هل رحم الموت ضعيفاً[1195] لضعف أوصاله ؟ هل ترك ذابنين لأجل أطفاله ؟ هل أمهل ذا عيال لأجل عياله ؟ كم راع قصرا ؟ وما رعى عن أبطاله؟ ، كم أشرف على شريف فلم ينظر إلى خلاله؟ .

شعر

(١١٩٥)

دع الفكر فى حب البقاء وطوله فهمك لا العمر القصير يطول
أليس إلى الأجال نهوى وخلفنا من الموت حادٍ لايغيب عجول
ومن نظر الدنيا بعين حقيقة تيقن أن العيش سوف يزول
وما هذه الأيام إلا فوارس تطاردنا والنائبات خيول

[هاتف العبر ينادى]

(١١٩٦)

تالله ما أعجب بما لها من نظر فى مالها ، ولا بنى قصورها من عرف غرورها ، أما أنذركم إعلام ﴿ **وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهى ظالمة** ﴾[1197] وما قصم عرى عزائمكم ﴿ **وكم قصمنا** ﴾[1198] ، أما سمعتم

(١١٩٤) كذا بالأصل وبالمدهش (أهون) .

(١١٩٥) وردت هذه الأبيات بالمدهش (ص ٥٢١) .

(١١٩٦) وردت هذه الموعظه متفرقه المدهش (ص ٢٢٥ ، ٢٢٦) ، من قوله (تالله ما أعجب بمالها .. إلى قوله تعالى ﴿ فكلاً أخذنا بذنبه ﴾ .

(١١٩٧) سورة هود : الآية : ١٠٢ .

(١١٩٨) سورة الأنبياء – الآية : ٧١ .

هاتف العبر ينادى ﴿ **فكلاً أخذنا بذنبه** ﴾[1199] إن النظر فى هذه الأمور قلقل قلوب العارفين فكانوا يبكون لايفترون البكاء البكاء يا من سُلبَ قلبه ، الحزن الحزن يا من عُظمْ ذنبهُ .

شعر

خذل المعينُ على الغريقِ المنجدِ فاستدعِ دمعكَ فهو عين المنجد
ما عذره وهو الذى أعددته ذخراً ليوم البينِ إذ لم تُسعد
لاتعجبوا إذ عان مشربة الثرى أجفانه سمحت بأحمر مزبد
هى مهجة لا دمعة جهدت وقد ذابت أسفاً كأنها لم تجمد
عجباً لبينهم فكم من ضاحك باك وكم من جازع متجلد
بردت حرارات النفوس وعندُه منكم حرارة لوعة لم تبرد
بنتم فلا طرفى لبهجة منظرى يصبوا ولا سمعى للوم مقتد .

فإذا سمعتم فى الحديث بقاسى أرداه يوم فراقه :

وأنا الذى لسوى النوى صبرى الذى أعددته ، لقبر حادثة الفراق تجلد
يا هذه إلا الصبر محمود كما زعموا ولكن فى التوى لم تُحمد

اجتمعت أحزان القوم فأوقدت حولها نار الحذر فأطلقت بقلوبهم الحرق وأقلقهم الخوف والغرق لباسهم ملفقان الغرق وطعامهم ما حضر واتفق ، يانور وجوههم إذا جن الفسق ويا حسن دمعهم محدقا بالحدق انقطع المسلك ، فسألت على نسق لو رأيتهم يتشبثون بذيل الظلام ويأنسون بنوح الحمام ويهرعون إلى الفوات وغاية لذاتهم الخلوات يدعونه رغباً ورهباً ، مؤونتهم خفيفة وعلى أنفسهم ثقيلة يلبسون الخلقات ويهرجون الأوطان عليهم من الله شهود حاضرة ، وأعين ناظرة ، أجسادهم فى الأرض وقلوبهم فى السماء ، ليس لهم همٌّ إلا أمامهم يبادرون بالعمل حمامهم .

(١١٩٩) سورة العنكبوت – الآية : ٤٠ .

قال معروف : رأيت رجلاً فى مدح الديباج وليس معـه شيئ فسلمت عليه وقلت له : أين تريد ؟ فقال : لا أدرى ، فقلت له : وهل رأيت أحداً يريد مكاناً لا يريد يدريه؟ فقال: نعم ثم بكى بكاءً شديداً حتى رحمته وبكيت لبكائه ، ثم سمعت من حوله ، فقلت له : إنى سمعت بكاء غيرك قال : نعم إنهم إخوان لى من الجن إذا بكيت ساعدونى ، ثم ولى عنى ، فبقيت متعجباً مما رأيت وسمعت فتبعته وقلت له : يا أخى فَسّر لى ما قلت فعند ذلك صرخ صرخة وخر مغشياً عليه ثم أفاق وقال : أتريد أن تدخل بينى وبين حبيبى ، وعزته وجلاله لا أفسّرنه إلا بين يديه .

شـــعر

كم ذا ينالُ الضنا منى وأحمله ... ويستبيح حمى صبرى وأحمـده
أطاق قلبى افتراق الحى عنه فما ... أدرى بأى فريق منه أنشـده
ما لى وتسكاب دمعى فاضحى بهم ... أخفى هواى عن الواشى وأجحـده
يا للهوى هل عزا لى على سقمى ... وجدى الذى كحر النار وأبـرده
وأطول ليل المعنى شاء ناظره ... من البكاء والرجاء ما شاب أسوده
أمسى ضنى فهو لا لاح يلاطفـه ... يداه شخصاً ولا طيف يهدهده

[شـــجرة المحبة]

يا أخى : المحبة شجرة تغرس فى الفؤاد ، وتسقى بماء الوداد ، أصلها ثابت فى بطن السر ، وفروعها فى سماء الهمة ، وثمرها لطائف الأنس تؤتى أكلها دائما ، والمحب أبدا عديم للقرار ، فقيد الاصطبار لايسكن أنينه ولا يهدى حنينه نهاره ليل وليله ويل ، ونومه مفقود وفى قلبه وقود ، جوره أحلى من عدله ، منعه أشهى من بذله رده أهنى من قبوله ، لايؤذى فتيله ولايسلك إلا بتعجب التجمل سبيله .

قال إبراهيم الخواص : كنت أمشى فى البادية فتهت ، وعدلت عن الطريق فمشيت ثلاثة أيام بلياليها فإذا أنا بأشجارٍ كثيرةٍ وفى وسطها بحيرة وإذا أنا بقومٍ عليهم مرقعات الصوف غير صور الآدميين فسلمت عليهم فردوا علىَّ السلام ، فسألتهم عن حالهم وعن الموضع الذى هم فيه ، فقالوا : نحن الجن وهذا الموضع الذى نحن فيه وهبهُ الله لنا ونحن أسلمنا على يد النبى ﷺ ونحن المسلمون فقلت

لهم : فكم من ها هنا إلى الموضع الذى فارقت الطريق منه قالوا : مسيرة ثلاث سنين فقلت لهم وهل وصل إلى ها هنا آدمي غيرى قالوا : نعم شاب من نيسابور جاء فى تسعة أيام وقد سألناه عن مسألة فأجاب عنها ومات عندنا فدفناه بيننا ، فقلت لهم : أرونى قبره فمشوا معى إلى قبره فإذا أنا بقبر كبير ، وعند رأس القبر نرجس ، وعند الرجل كذلك ، وجلست على القبر وقلت : كيف كانت المسألة فقالوا : سألناه عن قوله تعالى : ﴿ **وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له** ﴾(١٢٠٠) قال : الإنابة إلى الله أن تخرج به منه إليه ، قلنا فما معنى العذاب ، قال : الفراق وشهق شهقة ومات ، قال : فترددت أنا فى الجواب فأخذوا يرقصون وأنا معهم أرقص ثلاثة أيام ثم نمت فلم أنتبه إلا وأنا فى مسجد عائشة رضى الله عنها ومعى ذلك النرجس فبقى معى سنة ثم فقدته .

شعر

أيفقد من أسد بابل ويطمع فى برِه العادلُ
وكيف مثوى ولا صبره مقيم ولا سقمه راحل
سقام لكنه دائمٌ وصبر ولكنهُ زائلٌ
وأين السلامةَ من عاشقٍ له الهوى شُغل شاغل
دعوه فقد قيل أن الغرام جنونٌ وما كذب القائل
ولا تسألوا حاضراً غائباً كفى مخبراً دمعة السائل
وخوضوا بغير حديث الغرام فكل حديث هوى قاتل

« حكاية شاب من الأبدال »(١٢٠١)

قال أبوعبدالله السختيانى : خرجت من عسقلان فصحبنى أبوعبدالله البردعى وكان فاضلاً عالمًا فلما دخلنا يافا وجدنا قارباً مقلعاً إلى صور فركبنا فيه فلما كان اليوم الثانى سكن الريح وكان آخر النهار فأرادوا أن يطرحوا المرسى ،

(١٢٠٠) سورة الزمر – الآية : ٥٤ .

(١٢٠١) الأبدال : مفرد بدل ، والأبدال : الزهاد وعند الصوفية لقب يطلقونه على رجال طبقة من مراتب السلوك عندهم [الوسيط (٤٤/١)] .

وكان معنا فى المركب شاب حسن الوجه رث الثياب فقال لنا : قولوا لصاحب المركب يقدم المركب إلى البر قليلا فأعلمنا ففعل وطرح المرسى فقام الشاب ونزع ثيابه واتزر بمئزر ونزل الماء حتى خرج إلى البر وغاب ساعة ورجع ومعه رزمة فيها حوائج ثم جاء إلى المركب ولبس ثيابه قال السختيانى : فقال لى الشاب : هذا الرجل الذى معك ما يكون منك ، قلت هو رفيقي وهو رجل صالح فقال : ادعه إلىَّ فدعوته فقال لى وله : اعلما أنّى ميت الآن(*) فإذا مت فافتحا هذه الرزمة وكفنانى بما فيها وضعا ثيابى فى هذه المخلاة وتكون معكما فإذا دخلتما إلى صور فأول من يلقاكما ويقول لكما هاتا الوديعة فادفعاها إليه قال : فلما صلينا المغرب قال الركاب : إن رفيقكما نائم لم يصل المغرب ، فقلنا : كيف يصلى ميت ، فقالوا : الساعة كان يكلمنا فحركوه فإذا هو ميت ، قال : فخرجنا إلى البر وبسطنا حصيراً وغسلناه عليها وحفر له رجال قبرا فلما فرغنا من غسله فتحنا الرزمة فإذا فيها ثياب حسنة وصرة فيها شيء كالكافور ورائحة كالمسك فأدرجناه وطيبناه ، وصلينا عليه ودفناه ورجعنا إلى المركب وسافرنا إلى أن وصلنا صور عند طلوع الشمس فلما خرجنا من المركب وإذا بغلام قد استقبلنا حسن الوجه وعلى رأسه منديل ديبقى(١٢٠٢) وعليه غلالةَ(١٢٠٣) شرب ، فسلم علينا وقال : هاتا الوديعة ، فقلنا له : نعم وكرامة ، ادخل بنا المسجد فدخلنا فقلنا له : أخبرنا عن الميت ومن الذى رفع له الكفن ومن أنت فقال : أما الميت فكان من الأبدال الأربعين وأما الذى رفع له الكفن فالخضر عليه السلام وهو الذى عرفه بموته وأما أنا فبدله ثم أخذ المخلاة وأخذ منا الثياب الخلقان ، ونزع ما كان عليه من الثياب ولبس الخلقان وقال لنا : بيعوا ثيابى وتصدقوا بثمنها قال : فدخلنا البلد فلما كان فى اليومْ الثانى بعد العصر أخرجنا السراويل وفيه تكة(١٢٠٤) أرمنيه

(*) هذا الأمر من الغيبيات التى اختص الله بعلمها فهو يتعارض مع العقيدة .

(١٢٠٢) ديبقى : من دقّ ثياب مصر - معروفة تنسب إلى ديبق .
[اللسان (٩٥/١٠ - دبق)] ط. دار صادر

(١٢٠٣) غلاله : شعار يلبس تحت الثوب ، لأنه يتغلل فيها أى يُدخل .
[اللسان (٥٠٢/١١ - غلل)] ط. دار صادر

(١٢٠٤) تكة : وهى تكة السراويل ، والتكة هى رباط السراويل .
[اللسان (٤٠٦/١٠ - تكك)] ط. دار صادر

فدفعناها للمنادى فأخرج التكة وطرح السراويل وقال : حتى أبيع التكة فإنها مثمنه فلم يكن إلا ساعة حتى جاء المنادى ومعه خلق كثير فتعلقوا بنا وقالوا لنا : من أين لكم هذه التكة ، وحملونا إلى دار عظيمة والصياح فيها فإذا شيخ حسن الوجه جالس يبكى والناس يعزونه فقالوا للشيخ : لقد جئنا بالقوم فقال الشيخ : من أين لكم هذه التكة قال : فذكرنا له القصة من أولها إلى آخرها فخر الشيخ ساجداً لله تعالى وقال : الحمد لله الذى أخرج من صلبى مثل هذا ثم أقبلا علينا ودفعا لنا ذهبا كثيرا وقال : تصدقا به عنه ، قال أبوعبدالله : فبينما أنا بعد سنين واقف بعرفات وإذا شاب حسن الوجه عليه رداء شرب فسلم على فرددت عليه السلام فقال : أما تعرفنى ، قلت : لا قال : أنا إبراهيم الصورى صاحب الأمانة فعرفته وسررت برؤيته ثم مضى وتركنا وكان إلى جانبى رجل فقال لى : من أين تعرف هذا الفتى فقلت : إنه من الأبدال الأربعين فقال : يا أخى هذا اليوم من العشرة ثم غاب عنى فلم أره .

شعر

إذا استُنْجِدُوا لم يسألوا من دعاهُم لأيةِ حربٍ أو لأى مكانِ

الفصل الثالث والثلاثون

[يا من أنفاسه محفوظة]

(١٢٠٥)

اسمع : يا من أنفاسه محفوظة وأعماله ملحوظة ، أتنفق العمر النفيس فى نيل الهوى الخسيس ؟

(١٢٠٥) وردت هذه الموعظة بتغيير فى بعض الألفاظ القليلة بالمدهش (ص ٥٢٩ ، ٥٣٠ ، ٥٣١)] من قوله (يا من أنفاسه محفوظة – إلى قوله : لم يضحك الآخرة إليه) .

شعر

جَدَّ الزمانُ وأنت تلعبُ والعمُر فى لاشىءٍ يذهبُ

كَمْ كم تقول غدًا أتوب غد غدا والموت أقربُ

[العمر يُنتهب]

يا هذا أما عمرك فى كل يوم ينتهب ؟ أما المعظم منه قد ذهب ؟ فى أى شىء ، فى جمع الذهب ؟ تبخل بالمال وبالعمر تهب ، يا من إذا خلى تفكر وحسب ، أما نزول الموت فما حسب ، لك نوبة لا تشبه النوب وبين يديك كربة لا كالكرب ، تطلب النجاة ولكن لا من باب الطلب ، تقف فى الصلاة إن صلاتك عجب ، الجسم حاضر والقلب فى شغب ، أنا أعلم بك منك حب الدنيا[١٢٠٦] قد غلب ، ومتى استولى الهوى على قلب لم يفلح وكتب .

شعر

يا آدمى أتدرى ما مننت به أم دون ستر هداك[١٢٠٧] فليس ينجاب

يوم ويوم ويفنى العمر فى لعب عام جديب وعام فيه إخصاب

فلا تغرنك الدنيا بزخرفها وإرثها وإن بلاها عاقل صاب

إخوانى : كأنكم بالدنيا التى قد تولت ، وبالنفوس الكريمة قد هانت وذلت ، وكأنكم بكؤوس الأسى قد انهلت وعلت ، وبحمول الظاعنين على الأسف قد استقلت ، متى يقال لهذه الغمرة التى تجلت ؟ واعجباً لنفس ما تنتبه وقد زلت ، كلما عقدنا عقدة بنفعها حلت ، كم مستيقظ وقد فات الوقت ينظر

(١٢٠٦) كذا بالأصل وبالمدهش (الهوى) .

(١٢٠٧) (ستر هداك) كذا بالأصل ووردت بالمدهش (ذهنك ستر) .

إلى نفسه بعين المقت ، وتصبح بنصيحة لقد صدقت ، وينادى منادى الكسل أنت الذى عوقت فتجيبه أنت من سكرك ماأفقت. كم قدم إلى القبور قادم ؟ كلهم على فراش النوم نادم .

شعر

أطاعوا ذا الخداع وُصَدَّقوه وكمْ نصحَ النصيحُ فَكَذبوهُ
ولم يرضَوا بما سكنوا مشيدا إلى أن فضضوه وأذهبوهُ
أنصوا[١٢٠٨] بالقبيح وتابعوه ولو أمروا به لتجنبوه .
نهاهم عن طلابِ المالِ زهد ونادى الحرصُ ويلكم اطلبوهُ

اسمع يا من هو بالهوى يغرى وسيلهج ، أنسيت عن محبوبك تزعج ؟ تفكر فى حُلةٍ من البلاء تنسج ، يا من بضاعته كلها تبهرج ، ضيقت على نفسك المخرج انتبه فهذه خيول الريح تُسرج .

شعر

ولم يبقَ من أيامِ جمعٍ إلى منى إلى موقف التجميرِ غير أمان

[يا عبيد فلسه]

اسمع يا عبيد فلسه ، يا عدو نفسه ، تعانق الدنيا بعين الحرص عناق اللام للألف ، متى تزل الدرهم من القلب؟ أين منزل الثرى من الترف ، ويحك أتبحث عن حتفك وصلفك؟[١٢٠٩] وتجدع بسيفك مارن أنفك ؟ ما أكرم نفسه قط من أهانها ؟[١٢١٠] فاحذرها فكل ما يجرى عليك منها يا موثق الأقدام بقيد العوائق

(١٢٠٨) كذا بالأصل ووردت بالمدهش (ألظوا) .
(١٢٠٩) كذا بالأصل ووردت بالمدهش (بظلفك) .
(١٢١٠) (من أهانها) كذا بالأصل ووردت بالمدهش (من لم يهنها) .

فاتك السبق فاجهد أن لا تكون لاحق ، من طلب المعالى سهر الليالى ، لولا صبر المضمر على قلة العلف ما قيل سباق ما قدر سجاف ﴿ نعم العبد ﴾(١٢١١) على فتنة ﴿ ووهبنا له ﴾(١٢١٢) حتى جرت فى أمانة ﴿ إنا وجدناه صابرا ﴾(١٢١٣) من لم تبك الدنيا عليه لم تضحك الأخرى له .

[معنى التوحيد والمحبة والزهد]

قال بعض السادة : بينا أطوف بالكعبه إذ نظرت إلى جارية عليها جبة من صوف وخمار من صوف وسراويل من صوف ، فجاءت حتى وقفت خارج الحجر وكان بالحجر أربعة يتذاكرون فسلمت عليهم ، وقالت : أيكم الجنيد فقال لها أحد الأربعة : هو هذا مكلمك فقالت : أنت الذى تزعم طائفة التصوف إنك أعلمها بعلم التوحيد ؟ فقال : أسأل الله بركة ما يقولون ، فقالت : يا جنيد ، وما التوحيد ؟ فقال : قطع الكيفيات واستحاله المثليات ، فقالت : هذا بعض طرق التوحيد فما حقيقة التمجيد والتحميد؟ فقال: عدم القياس وافتقار الإحساس والتنزيه عن الأجناس ؟ ، قالت : اسمع يا جنيد التوحيد ألف ولامٌ وتاءٌ وواوٌ وحاءٌ وياءٌ ودال ، **فالألف** إعلام الوحدانية بعدم القبلية واستحالة البعدية للخروج عن حصول النفسانية فى معرفه رب البرية ، **واللام** للملك والملكوت والعزة والجبروت للعقول مجال فى حقيقة الإدراك إلا الأفراد والاضطرار والأعوان والعدم والهلاك ، **والتاء** تباين المشارب وتفاوت المناهج والمكاسب إعلاماً بالتقديس عن القادسات والتنزيه عن كيفية الكائنات ، **والواو** واو الهوى وشرب الجوى وواو القسم ومزن المعارف والحكم ، **والحاء** حالة المحب الذاكر والموحد الشاكر محيرة العقول والأذهان واضطراب لمشاهدة شهود حقيقة التوحيد كل جنان ، **والياء** ما يحدث بأجسام العارفين من البلايا وبجيوشهم من المصائب والرزايا لكى يدخر لهم فى الآخرة الدرجات العلى ، **والدال** دنو الأرواح على بساط الروح والارتياح وعدم الإجرام وفناء الأجسام وإعداد الحركات ومراعاة

(١٢١١) سورة (ص) – الآية : ٤٤ .

(١٢١٢) سورة (ص) – الآية : ٤٣ .

(١٢١٣) سورة (ص) – الآية : ٤٤ .

الخطرات وكل ذلك إعلامٌ للعبيد ودلائل على حقائق التوحيد ثم قالت : يا جنيد أتدرى فوق هذا قال : لا علم لى ثم غشيه من كلامها حال فخر مغشيا عليه .

شــعر

لقد أملى لهم أحاديث الهوى برق أضاء لنا على ذات الإضا
لطفت أشارته فأشكل فهمها قد ذاك شوق أن يعاد إذا أضا
أبغضتُ حسنَ الصبر مذ أخفيتُه فاعجب لمن أضحى محبا مبغضا
سقمى وبرئى فى يديه وإنما يشفيك من داء الهوى من أمرضا

ثم قالت : أيكم الشبلى ؟ فقال : هو مكلمك ، فقالت : أنت الذى تزعم طائفة التصوف أنك أعلم بحقائق المحبة ؟ فقال : أسأل الله بركة مايقولون ، فقالت : يا شبلى وما المحبة ؟ فقال الشبلى : يا أمة الله المحبة عدم المطلوب وبذل المرغوب فى رضاء المحبوب ، فقالت : هل لك ذوق فوق هذا ؟ فقال : المحبة بذل النعم واستعذاب للنقم والتسليم للرضى والدخول نحن أحكام القضاء ومسرة للقلوب بما يفعل المحبوب ، فقالت : يا شبلى أنت تصف طريقها فأين منك حقائقها ؟ فقال : أليس حقائق المحبة قلوب مع الحق وأجسام مع الخلق ، ثم أنها قالت : يا شبلى اسمع أعلم أن المحبة تذوق ربانى يساعده فى الحياة ووجود جسمانى مادة تمد من الغيب وتتصل بنور العقل يقذفها القادر الجبار فى رايح الأسرار لها كمون فى خزائن الأضمار ككمون النار فى الأحجار ، إن قدحته أورى أو تركته توارى وأيضا ، المحبة ريح يدور مع شغف القلب يديرها سرٌ متحدٌ عن موارد الغيب فمتى خرق ريح الوداد شغف الفؤاد ثم نمتْ ملحة الحب فوطىء الحب بساط القلب ، أتعلم هذا يا شبلى أم عندك زائد عليه قال : فلما سمع كلامها خر مغشياً عليه .

شــعر

طرقتْ ريحُ الصبَا مغناكَ وهناً سحراً حاملُـه ابنــاً لنَـا
نقلتَ عنها أحاديث هـوى أفهمت من غير أن تُسمع أُذنَـا

بمعانٍ في السر خافية فهي لا يفهمها إلا معنا
ذكرها حب حنين أبدًا وأخو الشوق إذا ذُكر حنَا

ثم قالت : أيكم بنان الجمال فابتدر إليها وقال : ها هو مخاطبك فقالت : أنت الذى تزعم طائفة الصوفية أنك أعلمها بحقائق الزهد ؟ فقالت : أسأل الله بركة مايقولون ، فقالت : يا بنان أتدرى ما الزهد ؟ وهل هو إلا من مقامات العوام يا بنان اعلم أن الدنيا لا تساوى ولا تعدل عند الله جناح بعوضة فما قدر نصيبك منها حتى تزهد فيه أتدرى يا بنان ما الزهد ؟ قال : الزهد قطع الخطوط النفسانية وعدم التعلق بالبرية والتسليم فى جميع الحالات والرضى بجميع الأقدار الكائنات والأعراض عن الملاوة الدائرة والإقبال على طلب الآخرة ، فقالت : ويحك يا بنان أنت واصفه بطريقة فأنا لك واصفةً بحقيقتهِ اعلم أن الزهد زاءٌ وهاءٌ ودالٌ ، فالزاء الزينة والهاء الهوى والدال الدنيا فمن سلك طريق الزهد ترك الزينة والهوى والدنيا يا بنان إن لله عباداً زهدوا فى الدنيا والآخرة ، تابعوا الجد لا خوفاً من النار ولا طمعا فى الجنة وزهدوا حتى فى أنفسهم وبذلوا فى الله كل مجهودهم فاستعذبوا الموت واستطابوا الفوت لما عاينوا ما بين العرش والفرش حظوظا كلها تركوا تركوا جميع المخلوقات وأعرضوا عن جميع الحادثات قال : فلما سمع كلامها خر مغشيا عليه .

شعر

أمد ذكرى تلك العهودِ ترفقا أعددت ذكراً أم أردت شمولاً
يا للهوى العذرى أضحك شامتاً منا وأبكى لائما وعذولاً
أضحت جفونى بالبكاء قصيرةً قرحاً وليلى بالسهاد طويلاً
لم يدر ذو القلب الخلى بأننى أمسيتُ ذا كلِفٍ به مشغولاً
ظن السلو ولا سلو لذاهلٍ جمدت مدامعهُ وذاب نحولاً
ومن العجائب أن خصب دموعه فى الخد أحدث فى الضلوع نحولاً
فسل الصبا عن عصر أيام الصبا إن كنت رمت لعهده تبديلاً

ثم اقبلت على الباقى من الأربعة وقالت : أنت يا مرزويه ؟ قال : نعم فمن أين عرفتينى من غير سابق اجتماع ؟ قالت : اعلم أن لله سبحانه وتعالى بساط فى حضرة الملكوت تتعارف عليه الأرواح بتعريف ذى العزة والجبروت يا مرزويه أنت الذى تزعم طائفه التصوف أنك أعلم بحقائق المشاهدة فقال : اسأل الله بركة ما يقولون ، قالت : فما المشاهدة يا مرزويه قال : تسريح العيان فى مشاهدة الملك الديان فالعقل يشاهد أسرار الغيوب الدنيه فى سر القلب مع عدم الكيفيه واستحالة القَبْلية والبعدية فقالت أيدعى مشاهدة الأسرار من هو مشتغل بالنظر إلى الحادثات إنما المشاهدةُ لقومٍ اجتباهم مولاهم فاصطفاهم وحياهم وأكرمهم وحباهم ، أخذهم لهم منهم وأفتاهم به عنهم فغابوا عن مشاهدة العالم بالعليم وتركوا المحدث إجلالا للقديم فالاشتغال بالله قطعهم عما سوى الله فانى سينطقوا ؟ انطقوا بالله وأنى قاموا قاموا بالله وأنى قعدوا قعدوا بالله لايقطعهم قاطع عن الله ولا يعرفون الدارين إلا الله بعينى أنظر إليهم على نجب تخرق بهم الحجب إلى أن أناخوا بباب الملك والملكوت فاتحفوا بتحف لطائف معارف الجبروت أبلغتَ أنت هذا المقام يا مرزويه أم عجزت فادلك عليه فلما سمع قولها خر مغشيا عليه ثم أفاق فاقبل عليها وقال : دلينى رحمك الله فقالت : يا مرزويه أول مقام المشاهدة ما تبصر الآن وآخره ما تبصره يوم القيامة .

قال المخبر : ثم إنها أزالت إزارها عن رأسها وبسطته على الأرض ووضعت أقدامها عليه وإذا بريح قد هبت فرفعت الإزار تلك الريح وغابت فى الهواء .

رضى الله تعالى عنها وعن المسلمين أجمعين

تمت المجالس والمواعظ لابن الجوزى عامله الله تعالى بلطفه

الخفى على يد الواثق بالله الغنى أبى العينين

الزينى المالكى الأحمدى اللهم أحسن

خلاصه من الدنيا بلا كدر وأدخله الجنة

ومتعه لوجهك بالنظر

وارحمه وارحم والديه

جميعا

وكل المسلمين

عاصيا

ومطيعا

آمين

فهرس الموضوعات